

الرحيل إلى هنا
خالد عمار

الرحيل إلى هنا
خالد عمار
الغلاف: فريق (كفر بالعربي)
رقم الإيداع: ٠٠
ترقيم دولي: ٠٠

دار فصلة للنشر و التوزيع
٥٧ حي الزهور الزقازيق - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
www.fasla.org



جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة
الطبعة الأولى يناير ٢٠١٦



جميع حقوق النشر محفوظة لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو إعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائلة القانونية

الرحيل إلى هنا

خالد عمار



دار فصلة للنشر والتوزيع

إهداء

إلى كل قرائي ومتابعي الأفاضل ، اهديكم عملي هذا ، عله يَفز برضاكم
ويضيف لكم خبراً جديداً ، وأهدي هذا العمل لأسرتي ، أبي وأمي وإخوتي
، زوجتي وأبنائي ، هم من احتملوني وحملوني ، فهم شركاء في اخراج هذا
العمل بشكل أو بآخر ، فلطالما انشغلت سواء بجمع المادة أو بالكتابة
لتخرج هذه الرواية بهذا الشكل ، ولطالما تحملوا استغراقي في الأمر ، جدي
رحمه الله ، أكاد أرى فرحته بصدور عملي هذا ، ، رحمك الله أيها الغالي،
لا أنسى في هذا المقام بعض الأصدقاء (زملاء القلم) ، من دفعوني دفعاً
لأستمر في الكتابة ، فقد رأوا فيّ ما لم أره أنا ، كان لتشجيعهم اللا مقطوع
عامل ذي أثر يُلْمَس في نفسي ، فهم يستحقون فوق هذا الاهداء البسيط أن
اتقدم لهم بآيات الشكر وعبارات الثناء والمديح ، هم في حقيقة الأمر اثنين ،
اثنين لشخصيهما ولقلميهما عندي مكان ومكانه متفردة ، قلماهما المتميزان
وأعمالهم أثرت عقل الكثيرين وأنا منهم ، كلاهما تخطى حد التشجيع
والنصح والتوجيه معي ، وصولاً لمحاولة المساعدة والعون ، ولعلي أذكرهما
هنا تقديراً وعرفانا،

الباحث والمؤرخ الاستاذ / أحمد سعد الدين .

الروائية الأدبية الاستاذة / صفاء حسين العجموي .

يتبقى فقط اهداء خاص ، لن يفهمه إلا من شاركني إياه ، اهدي هذه
الرواية ، بل اهدي كل شيء إلى ذلك اليوم حيث بدأت الحياة ،

يوم ٨ يونيو ٢٢

مقدمه

يا من تقرأ أوراقي هذه

تحية طيبة وبعد ،،،

أنا لا أعرفك ،لا أعرف اسمك ،ولا أعرف شكلك ،لا أعرف عمرك ولا دينك ،فأنت المجهول بالنسبة لي ،وأنا المجهول بالنسبة لك.

لكنك ستظل مجهولاً لي ،رغم هذا ،ربما أكون قد عرفتكَ سابقاً ،ربما أنت من زملائي أو أقاربي ،ربما أنت من جيراني ،حتى أنه من الممكن أن تكون أنت في الحقيقة هو أنا ،أنا الآخر ،ولا تستغرب قلبي هذا ،فما ستجده في هذه الأوراق ،لم يخطر ببالك قط ،مهما كان عملك وطبيعته ،فأنت لم تختبر عملاً كالذي قمت أنا باختباره ،المهم ،أنه لا فرصة لديّ لأستبين حقيقة معرفتي بك من عدمها.

ربما تكون على قدر من المعرفة يتيح لك فهم ما بين صفحات أوراقي ،أو هكذا أتمني ،حتى تبحث أنت في الأمر ،وتحاول وضع الختام لهذا الأمر ،حاول ،حاول قدر استطاعتك ،لابد أن ينتهي الأمر عندي ،لابد أن تكون حكايتي فصل الختام في هذه العبثية.

هل تعلم يا من تقرأ الان ،أن تجربتي الغريبة تلك ،والتي أطلب منك أن تحاول منع تكرارها ،هي في الحقيقة لم تحدث ،قلت لك سابقاً لا تستغرب قلبي هذا ،فحقيقة الأمر ،أن تجربتي لم يعلم عنها شيء أي مخلوق في عالمك هذا ،نعم ،لم يعلم عنها أحد في عالمك بأسره شيئاً البتة.

ربما تصفني الآن بالجنون ،لا أعتب عليك ،بالتأكيد أنك تفكر في هذا التضاد

العجيب ،كيف أطلب منك العمل على منع تكرار تجربتي ،وفي ذات الوقت أخبرك أنها لم تحدث وأن لا أحد يعلم عنها أي شيء ،انتظر ،وستجد الاجابات بين هذه الأوراق ،التي ربما تجد فيها بعض الأشياء المفيدة لك ولعالمك بأسره ،ربما تخرج من بين أوراقي هذه براءة اختراع جديد لم يتوصل إليه علمائك الأفذاذ ،لكن تظل هناك تلك الاحتمالية ،بأن يكون جل ما في هذه الأوراق ،أمراً قديماً ومألوفاً لديكم ،وأنكم توصلتم إلي ما هو أكثر ،صدقني ،كل الاحتمالات موجودة ،وبنسب متساوية.

أما أنا ،يا من تقرأ الآن ،فلن أظل مجهولاً إليك ،فستجد بين الأوراق معلومات كثيرة تخصني ،لا داع لأقوم بتعريف نفسي في رسالتي هذه ،يكفيني أنني سأوقعها باسمي ،لكن ما يهمني الآن هو أن اخبرك بالخلاصة ،قبل أن اختتم رسالتي.

الخلاصة هي ،أيها المجهول ،يا من تقرأ هذه الرسالة ،أنني لم أعد أعرف حقيقة أي شيء ،بعدما ظننت أنني عرفت الحقائق الكثيرة في هذا الكون ،أنا أعمل بالعلم ،نعم ،العلم مهنتي التي أعمل بها ،هل تعرف ما هو العلم ؟ دعني أخبرك ،العلم هو أحد جنود الله عز وجل ،إن يشأ ،يجعله معيناً للناس ،وإن يشأ ،يجعله في نحورهم .دع تلك الدهشة عنك ،ألم تكن الرياح والأمطار والفيض والطير والحجر جنداً من جنود الله سبحانه وتعالى ،أهلك بهم أقواماً ظالمين؟

بلي ،هم كذلك.

أولم تكن الرياح والأمطار والفيض والطير والحجر ،مما ينفع الناس ويجدون فيهم الخير بطريق أو بآخر؟

بلي ،هم كذلك أيضاً ،وهكذا العلم ،قد يجعل العلم الناس في رخاء وطمأنينة ،قد يتيح لهم رغد وسهولة العيش ،قد يقرب البعيد ،وقد يمحو الظلام ،لكنه أيضاً ،قد يجعل الناس في بؤس وعناء ،وقد يحيل حياتهم لمآسي ،وقد يبعد عنك أقرب الناس ،وقد يسبب عموم الظلام ،ظلام الواقع ،ظلام القلوب ،وظلام النفوس.

لهذا ،اعتبر العلم جندياً من جند الله عز وجل ،ربما يصبح قولي هذا قولاً ماثوراً عني ،يخبر به الناس بعضهم البعض ،كأقوال الحكماء والعظماء على مر التاريخ.

في الختام ،يا قارئ أوراقى ،لا تنسى مطلبى ،استخدم ما بين يديك لتمنع تكرار التجربة ،هذه التجربة مجرد انجراف وسقوط في هوة مظلمة وسحيقة ،لا يجب أن تتكرر أبداً ،هذا أملى ورجائى.

عماد السيد

السبت / ٢١ فبراير ٢٠١٥

(٨)

- دكتور (علي) -

كان يسير باتجاه مكتبه الخاص في كلية الهندسة ، بجامعة عين شمس ، عندما سمع صوتاً مألوفاً خلفه يناديه ، التفت دكتور (علي مصطفى) ليواجه مناديه ، فوجده (عماد) ، المدرس المساعد لمادة الفيزياء بالكلية نفسها ، ويتجه نحوه مباشرة. تقدم منه (عماد) وعلى وجهه ابتسامة كبيرة ، مديده لمصافحة الدكتور (علي) وقال: -صباح الخير يا دكتور .. أخبرني الزملاء بأنك تريد مقابلي فور انتهائك من إلقاء محاضرتك-

هز الدكتور (علي) رأسه موافقاً ، ثم قال:

-بالفعل أريد لقاءك ، ولأمر هام-

-وما هو هذا الأمر يا ترى ؟- سأله (عماد).

تحرك الدكتور (علي) وهو يشير إلى (عماد) لكي يمشي معه ثم قال:

-نحتاج للجلوس ، فالأمر هام كما أخبرتك-

تحركا سويا ، كان (عماد) يظن بأنه سيجتمع مع الدكتور في حجرة مكتب الأخير ، لكنه تبين أن الدكتور يسير في اتجاه الدرج ، كان مندهشاً ، إلى أين يريد الدكتور (علي) الذهاب ؟ فمكتبه في نفس هذا الدور من المبنى.

بعد أقل من دقيقة ، كانا قد نزلا وخرجا خارج المبنى إلى الفناء ، الدكتور (علي) لا يتوقف ولا يفصح عن المكان الذي يريد الذهاب إليه ، مما دفع (عماد) ليسأله: -إلى أين سنذهب يا دكتور-

-لا تتعجل ، ستعرف بعد دقائق-

قالها (علي) دون حتى أن يلتفت إليه ، كان الموقف غريباً على (عماد) ، فالدكتور (علي) لم يكن من ذلك النوع المليء بالمفاجآت ، سنوات عمره التي تجاوزت الخمسين بقليل أضافت إلى هدوءه المميز وقار و حكمة ، كان من عباقرة الرياضيات والفيزياء على حد سواء ، تمكن من نيل درجة الدكتوراه في كلا المجالين ، من ألمانيا بالتحديد ، حيث درس وعمل هناك لسنوات طويلة ، خلال فترة رسالة الدكتوراه ، لاحظ الأساتذة هناك نبوغه وتفوقه ، فاختره أحد أساتذة الفيزياء ليعاونه في أبحاثه الخاصة ، في مختبر خاص تشرف عليه الدولة ، مقابل راتب ثابت، كما سمح له بالمساعدة في المحاضرات للطلاب بشكل استثنائي ، مما أعطاه الفرصة لتحقيق دخلٍ مادي جيد جداً، وعندما حصل على الدرجة العلمية وتفرغ للعمل ، أصبح من أصغر العاملين في ذلك المختبر، وبسرعة تضاعف أجره وأرتفعت مرتبته.

لكنه عاد مرة أخرى إلى مصر ، بعدما أصبح يمتلك من الخبرة والسمعة ما يملك ، وبدأ العمل في التدريس ، لعلوم الرياضيات والفيزياء على السواء في الجامعة العريقة ، كما شارك أحد زملائه القدامى، دكتور (أحمد النجار) ، الذي كان مدرساً للميكانيكا بنفس الجامعة ، قبل أن يستقيل منذ خمس سنوات ويتجه للعمل الخاص ، أصبحا شريكين في مصنع لإنتاج المواسير والقطع من مادة البولي بروبيلين ، مما ضاعف من ثروته ، حتى أصبح محل حسد غالبية زملائه.

لاحظ (عماد) أنهما يتجهان نحو مواقف السيارات ، زادت دهشته كثيراً ، يبدو أنهما على وشك مغادرة الجامعة كلها .

وصلا إلى الموقف المكس بالسيارات ، عبرا خلال الممرات الضيقة حتى وصلا إلى سيارة الدكتور (علي) ، سيارة أودي الألمانية ، التي يعتز بها كثيراً .

دلفا إلى داخل السيارة ، وما إن استقرا كل منهما على مقعده حتى قال (علي):

-لقد راجعت جدولك لليوم ، وأعرف أنك متفرغ لباقي النهار ، فهل لديك أي ارتباط آخر؟-

هز (عماد) رأسه نافياً

-كلا ، لكن ما الأمر يا دكتور؟-

نظر إليه علي للحظات صامتاً ، قبل أن يقول وعلى وجهه ابتسامة غامضة:

-ستعرف-

(٢)

المكان ، شمال غرب مدينة الشيخ زايد ، غرب طريق الاسكندرية الصحراوي ، يقع مبنى مركز البحث العلمي لتطوير تكنولوجيا الجسيمات متناهية الصغر - DMPT - والذي يمتلكه الدكتور (علي) وشريكه الدكتور (أحمد).

كان المركز الفريد من نوعه ، كونه مركزاً خاصاً وغير حكومي ، مقام على تلك الأرض التي يمتلكها أحمد النجار ، مسطح كبير يصل إلى ثلاثون فدانا كاملة ، المركز عبارة عن مبانٍ ثلاث ، الأصغر عبارة عن مبنى من طابقين فقط خاص بالإدارة ، يحوي قاعة اجتماعات كبيرة ، وقاعة محاضرات مدرجة ، بخلاف المكاتب الإدارية ، هذا المبنى يحتل الواجهة ، بعد المدخل في منتصف السور الذي يحيط بكامل مسطح الأرض ، المبنى الثاني هو مبنى المعامل مكون من ثلاثة أدوار علي مسطح يبلغ ثلاثة آلاف وستمائة متراً مربعاً ، ويقع مباشرة خلف المبنى الإداري ، و على مساحة تكاد تصل إلى ربع مسطح الطابق الأرضي في الركن الشمالي للمبنى يقع المعمل الخاص بالدكتور (علي) ، المبنى الثالث يقع غرب مبني المعامل ، وهو مبني سكني علي شكل حرف U الانجليزي ، وفي ثلاث طوابق أيضاً ومقسم إلي ثلاث أجنحة ، حيث يقيم الحراس والعمال في جناح ، ويقيم الموظفون الإداريون في جناح آخر ، والجناح الأخير للعلماء ، هذه المباني تقع متجاورة في الركن الشمالي الشرقي للأرض ككل ، يربط بينها طرق معبدة بالأسفلت الذي ينتهي باتصاله بطريق الاسكندرية الصحراوي ، في حين تظهر باقي المساحة داخل حدود السور الممتد كأرض ترابية ممهدة.

إدارة المكان هي مسئولية الدكتور (علي) ، المدير التنفيذي للمركز ، يهدف المركز إلى تطوير واستنباط بوليمرات وألياف متطورة ، لتصنيعها في المصانع التي يتشارك

في ملكيتها (علي مصطفى) و (أحمد النجار)،

كان هذا اليوم يوماً عادياً للعاملين في المركز ، الكل منهمك في تأدية عمله ووظيفته في مبنى الإدارة ، مجموعة العلماء عاكفة على اجراء البحث كلاً في تخصصه ومجاله .

داخل المبنى الإداري ، وبالتحديد في حجرة السكريتارية الملحقة بمكتب مدير المركز ، ارتفع صوت رنين جهاز الفاكس الموضوع إلى يمين السكرتير الشاب ، الذي كان جالساً خلف مكتبه ، مشغولاً بمطالعة أحد المواقع الاخبارية .

التفت الشاب نحو جهاز الفاكس ، في نفس اللحظة التي سمع فيها الصوت المميز الذي يعلن عن الاستعداد لإستقبال رسالة ، بضعة ثوان قبل أن تبدأ الألة في إخراج ورقة الرسالة .

تناولها الشاب ، وقرأ محتوياتها بسرعة ، ثم ابتسم ابتسامة رضا ، ثم رفع سماعة الهاتف للاتصال برقم يحفظه عن ظهر قلب.

(٣)

في احدى الكافيتريات ، والتي تبعد خمسة دقائق فقط بالسيارة عن جامعة عين شمس ، جلس كل من الدكتور (علي) و (عماد) متقابلين ، خلف إحدى الطاولات وأمامهما فنجانين من القهوة التركية ، كان قلقاً مبهماً يسيطر على (عماد) ، فطوال الطريق من الجامعة وحتى الكافيتريا لم ينطق الدكتور (علي) ، وبعد وصولهما للكافيتريا بدأ هذا الأخير في الحديث عن استعداد قسم الفيزياء لامتحانات نهاية العام الدراسي بالكلية ، ربما هذا الحديث مقامه مكتب الدكتور في الكلية ، هكذا فكر (عماد) وهو مندهش .

قطع أفكاره صوت رنين هاتف الدكتور (علي) المحمول ، تناول هذا الأخير الهاتف الذكي ، ومرر اصبعه على شاشة الهاتف قبل أن يضعه على أذنه مجيباً:
-مرحبا بك يا (طارق)-

أصغى مستمعاً لما يخبر به (طارق) ، سكرتيه الخاص في مركز البحث العلمي ،

ثم علت وجهه ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- شكراً لك يا (طارق)- ثم أنهى المكالمة.

نظر بعدها مباشرة إلى عماد لثواني ، قبل أن يتسم قائلاً:

-الآن سأخبرك لم أردت لقائك بشكل خاص-

هز (عماد) كتفيه قبل أن يقول:

- وأنا كلي اذان صاغية-

تكلم (علي):

- إن ما أريدك بشأنه لهو أمر هام وفي غاية السرية ، لهذا فضلت أن تكلم بعيداً عن الكلية والجامعة كلها ، لقد اخترتك لهذا الأمر لثقتي الكبيرة بك ، فأنت من أفضل العقول في الجامعة ، إن لم تكن أفضلها على الإطلاق ، وقد أعجبتني أطروحتك التي نلت بسببها درجة الماجستير-

قال (عماد):

-أشرك يا دكتور ، أنا مدين لك بالفضل في هذا الشأن ، فقد عاونتني كثيراً -
هز (علي) رأسه ، ثم تابع قائلاً:

-أنت تستحق ، فقد كان عملك مميزاً جداً ،، دعني أخبرك بالأمر ، كما تعلم، فإن لي عملي الخاص بعيداً عن التدريس بالجامعة ، شراكة مع صديقي الدكتور (أحمد النجار) ، وبصفتنا رجلين من رجال العلم قبل أن نكون من رجال الأعمال والمال ، فقد أنشأنا مركز خاص لبحث وتطوير منتجاتنا ، بالتأكيد تعرف عن التكنولوجيا متناهية الصغر Nanotechnology .

بدى الانبهار واضح على ملامح (عماد) وهو يقول :

-بالطبع ، لقد قرأت الكثير عن هذه التكنولوجيا ، لقد بدأ العالم كله في اللجوء لتكنولوجيا النانو كحل بديل لكثير من المشكلات ، لكن هذه المرة الأولى التي أسمع فيها عن هذا المركز الخاص-

قال (علي) بفخر :

-إنه مركز بحث خاص قمنا بتأسيسه كما سبق وأخبرتكم ، فنحن نملك العلم ، ولا داعي لاستيراد الافكار جاهزة من أوروبا أو أمريكا ، بل علينا تسخير امكاناتنا لتحقيق التقدم ، تماماً كما فعلوا هم -

تناول (علي) رشفة من فنجان القهوة خاصته قبل أن يكمل :

-هذه المراكز العلمية الخاصة ، موجودة بالفعل في العديد من البلدان ، لا أنكر أن علاقات دكتور (أحمد) كان لها الدور الأبرز في الحصول على الموافقات والتصاريح اللازمة ، والتي ربما لا تمنح مرة ثانية لسوانا ، لكن في النهاية أصبح الأمر واقع والمركز

يعمل بالفعل منذ سنتان-

-سنتان-

قالها (عماد) مدهوشاً وقد ارتفع حاجباه ، لم يكن يتخيل مدى إمكانية وجود هكذا مركز على الأرض المصرية ، بعقل مصري لامع كالدكتور (علي) أو الدكتور (أحمد) ، لكن الأمر بات حقيقة ، ومنذ عامين كاملين.

-لكن إن كان المركز له من العمر سنتان ، فلم لم نخبرنا بشأنه من قبل يا دكتور ؟-
سأل (عماد).

هز (علي) كتفيه ثم أجاب:

-العمل بدأ منذ سنتان ، لكن لم يتعدى بعض الأعمال الإدارية ، واستغرقنا وقتنا في التعاقد مع مجموعة من خيرة العقول المصرية ، في بداية الأمر كان حلمنا كبيراً ، نريد مركز يجمع كل العباقرة ، مهما كان عمرهم أو جنسيتهم ، بالطبع أقصد علماء العرب فقط ، نرعاهم ونمدهم بما يحتاجونه ، لكن جموح الحلم ارتطم بصخرة الواقع والاجراءات ، كذلك التكلفة الرهيبة التي لا تملكها مثل هذا الأمر ، فمنذ ستة أشهر فقط قررنا الاكتفاء ببحوث تطوير منتجات مصنعا-.

كان (عماد) يستمتع وهو يهز رأسه إيماء لتفهمه ، ودون أن يتكلم بكلمة واحدة ، مما دفع (علي) ليقول:

-الان ، أنا أعرض عليك العمل بالمركز-

ظهرت المفاجأة على (عماد) ، وابتسم مرتبكاً ، وهو يقول:

-إنه عرض مشوق بالنسبة لي ، لكن ...-

قاطعه (علي):

-اسمعي جيداً ، عندما كنت أعمل على أطروحتي ، لدرجة الدكتوراه ، في ألمانيا ، اختارني أحد أساتذتي لأعمل مساعداً له ، وحدد لي راتب معقول في البداية ، هذا الأمر فتح أمامي أبواب من البحث والتطبيق ، وربما يرجع الفضل إلى ما وصلت إليه الآن ، لاختيار هذا الاستاذ لي بالتحديد ، صدقني ، الفرصة الكبيرة لا تأتي كثيراً-

هم (عماد) بقول شيء ما ، لكن (علي) قال بسرعة:
- ثم إن المشروع الذي اخترتك من أجله ، لا يمكن رفضه أبداً-
تساءل (عماد) :

-وما هو؟-

ابتسم (علي) قائلاً :

-سأخبرك هناك ، في المركز-.

(٤)

هناك ، داخل مركز DMPT ، وبالتحديد في حجرة مكتب الدكتور (علي) ، كان هذا الأخير يجلس في مواجهة (عماد) ، أمام المكتب الأنيق ، كلاسيكي الطابع ، الذي يتوسط الحجرة الكبيرة ، ومن خلف هذا المكتب ، يمكنك أن ترى ما في الخارج من خلال تلك الواجهة الزجاجية المميزة.

مال (علي) للأمام قليلاً ، نحو (عماد) ، وقال :
-لقد كانت أطروحتك لدرجة الماجستير هي السبب الرئيسي لاختياري لك يا (عماد)-
-لم أفهم مقصدك يا دكتور-

تراجع (علي) للخلف ، مسترخياً في مقعده ، ثم سأل:
-حول أي موضوع كان بحثك ؟ -
-لقد كان الشرح المبسط للنسبية اينشتين-
ظهرت ابتسامه على شفتي (علي) ، وقال:
-بالضبط ، الشرح المبسط لنسبية اينشتين .. عندما قرأت ملخص البحث ، شعرت أنني أمام عالم كبير على وشك ان يولد-
- عفواً يا دكتور ، أنا مجرد باحث فقط-

قام (علي) من مقعده ، وسار خطوات قليلة داخل الحجرة الواسعة ، ليتوقف خلف المكتب أمام النافذة الزجاجية الكبيرة ، موليّاً ظهره نحو (عماد)، الذي تابعه ببصره في حيره ، لا يدري أیظل جالساً ؟ أم يتبع أستاذه عند النافذة؟
قطع تواصل التساؤلات داخل عقله صوت (علي) :
-بالطبع تعرف أن أحد تطبيقات النسبية ، هو السفر خلال الزمن-

لم يتمكن (علي) من رؤية كم الدهشة والمفاجأة في ملامح (عماد) الذي ردد:
-السفر خلال الزمن؟!-

لثوان ، شعر (عماد) بالتيه ، فمئذ دقائق دخل بقدميه إلى مركز بحث علمي مملوك للأفراد ، مرافقاً أستاذه ، الذي عرفه على منشآت المركز ومبانيه ، واصطحبه بين الأروقة ليجلسا في هذه الحجرة ، ليتحدثا عن السفر عبر الزمن ، لابد أنه يحلم ، هكذا فكر (عماد).

قام (عماد) من مقعده ببطيء ، واستدار ليووجه الدكتور (علي) ، الذي لا يزال موليا ظهره نحو الأول .

-أتقصد حقا السفر عبر الزمن يا دكتور؟-

هنا ، التفت (علي) لينظر في عيني (عماد) مباشرة ، ثم سار عائداً ، ليجلس مرة أخرى أمام (عماد) ، ثم أشار إليه بيده لكي يجلس هو الآخر.

جلس (عماد) ببطيء ، كان غارق في بحر من الحيرة والشك ، التساؤلات تتلاحق داخل عقله ، شعور غريب بدأ يتملكه ، بأن هذا الاجتماع البسيط لن ينتهي إلا بأمر مدهش ، شعور بأنه يستعد لاستقبال أمر هام جداً ، لكنه غامض.

-في الواقع أفضل تعبير خلال الزمن ، وليس عبر الزمن-

قطعت عبارة الدكتور (علي) حبل الأفكار في عقل (عماد) من جديد ، وعقد حاجباه وهو يسأل:

-وما الفارق ؟-

هز (علي) كتفيه ، ثم قال:

-كلمة (عبر) تحمل في معناها الاجتياز ، والوصول للمنتهى ، فعندما تقول مثلاً أنك تسافر عبر المحيط ، فسيتبادر إلى ذهنك أنك تجاوزت المحيط لتصل إلى البر المقابل ، عكس كلمة (خلال) ، فلو أن أحداً قال أسافر خلال الليل ، فمعناه أنه سيستغرق جزءاً من الليل في سفره .. ولهذا أفضل مصطلح السفر خلال الزمن ، لأننا ببساطة لن نتجاوز الزمن ولن نعبره، بل سنتحرك خلاله-

لم تتغير النظرة في عيني (عماد) ، ولا زال حاجباه على انعقادهما ، كان يفكر في ما قاله (علي) ، حين قال:

-كلامك منطقي جداً يا دكتور ، بل أنه يغير من منطق البحث في مسألة السفر عبر الزمن ... أقصد خلال الزمن-

-لقد بدأت تفهمني- قال (علي).

-لكن أتجري بحث حول السفر خلال الزمن يا دكتور؟- سأل (عماد)

لم يجبه علي ، بل سأله:

-ماذا تعرف عن مفارقة التوأم؟-

ارتفع حاجبا (عماد) بدهشة بالغة ، وقال:

-يا إلهي ، يبدو أنك تجري تجاربك بالفعل يا دكتور-

ابتسم (علي) وقال:

-لم تجب سؤالي بعد-

حذق (عماد) في وجه (علي) للحظات ، قبل أن يقول بحماس:

-مفارقة التوأم هي نظرية داخل النظرية النسبية ، تتلخص ببساطة في أنه لو أن هناك توأم ، أحدهما على الأرض ، والآخر يستقل مركبة فضائية تدور حول الأرض بسرعة الضوء ، واستمر الذي داخل المركبة الفضائية في رحلته ، بسرعة الضوء تقريبا ، لمدة عشر سنوات حسب التوقيت داخل المركبة ، ثم عاد للأرض مرة أخرى ، فسيجد توأمه أصبح يكبره بسنوات كثيرة -

ظل (علي) مبتسماً أثناء كلام (عماد) ، وما إن أنهى الأخير كلامه حتى هز الأول رأسه موافقاً ، ثم هب واقفاً وهو يقول:

-هيا بنا يا (عماد) ، لابد أن ترى شيئاً مهماً-

قام معه (عماد) وهو يفكر - ماذا بعد أيها الدكتور؟-

(٥)

ما رآه (عماد) في هذا اليوم ، لم يكن ليخطر بباله قط ، اصطحبه (علي) داخل معمله الخاص ، المعمل من المساحة بما يكفي دفعة بكالوريوس كلية الهندسة بالكامل ، أجهزة كثيرة تشبه تلك الموجودة في معامل الجامعة ، لكنها أكثر تطوراً ، أجهزة أخرى يشاهد صورها في مجلات الدوريات العلمية ، وأجهزة أخرى لا يدري عنها شيء ، على محيط المعمل ، تكتسي الجدران بالخزانات المعدنية ، وتنتشر طاولات متعددة الاستخدام في كل مكان ، لم يحاول أن يحصي عدد الطاولات ولا استخداماتها ، فقد كان (علي) يسير وهو يتبعه دون توقف ، ويجوب المكان بعينه مدهوشاً ، هناك الكثير من الحواسيب ، بعضها يعمل بالفعل وشاشته مضاءة ، والبعض الآخر مطفئ.

قطعا طول المعمل سوياً ، حتى نهايته ، وعند اقترابهما من آخر المعمل ، لاحظ (عماد) وجود باب مصعد ، ضغط (علي) زر الاستدعاء فانفتح الباب فوراً ، دلفا داخل المصعد ، لاحظ (عماد) أن المصعد به زرين اثنين فقط ، ضغط علي احد الزرين ، فانغلق عليهما المصعد ، ومع حركة المصعد ، وما يصاحبها من انفعال لحظي نتيجة انتقال الجسم من الحالة الاستاتيكية إلي حالة الحركة ، فهم (عماد) أن المصعد يهبط للأسفل.

مرت الثواني بسرعة ، توقف المصعد وانفتح بابه ، خرج (علي) وتبعه (عماد) عبر ممر صغير ، مضاء إضاءة خافتة بعض الشيء ، وفي نهاية هذا الممر يوجد باب معدني ، له رتاج يعمل بالأرقام السرية ، اقترب منه (علي) بثقة ، وضغط الأرقام بسرعة ، فسمعا صوتاً معدنياً كناية عن انفتاح الباب ، استدار على نحو (عماد) وقال:

-استعد لما ستراه يا (عماد)-

ثم فتح الباب ، كان واضح ان الباب ثقيل بعض الشيء ، انفتح الباب كاشفاً عن غرفة تحكم ، أضاءها (علي) لتظهر معالمها ، هناك حاسب آلي كبير يحتل زاوية الحجرة بالكامل ، شاشته كبيرة ، خمسون بوصة تقريباً ، تكاد تكون لوحة المفاتيح بحجم طاولة متوسطة ، تمتلئ بمئات المفاتيح ، ثم هناك باب معدني آخر ، له نفس الرتاج الالكتروني كالباب الخارجي للغرفة ، غير أن هناك مقبض على شكل عجلة دائرية.

وقف علي مزهوا داخل الغرفة ، وأشار بيده تجاه الباب ، بحركة مسرحية ، وقال بصوت يمتلئ فخرًا:

-خلف هذا الباب ، يستقر أعظم انجازاتي العلمية-

كان (عماد) مبهوراً بكل ما يراه ، كان يحاول ان يستوعب كل ما حوله ، وكل ما أمامه ، لذا كان من الصعب أن يحذر ما الموجود خلف ذلك الباب ، بل أنه لم يحاول حتى التفكير في ذلك.

-وهل هناك ما هو أروع من هذا المعمل ؟!- قالها (عماد)،

ابتسم (علي) بثقة وقال: -أنت لم ترى شيئاً بعد-

ثم ضغط زرا على الحائط ، أشبه بمفتاح الانارة ، لكن لم يحدث شيئاً البتة ، فكر (عماد) أن هذا المفتاح ربما يضيئ الغرفة خلف الباب.

للحظات ، ظل (علي) ينظر إلى (عماد) باسم الثغر ، أما هذا الأخير فلا تظهر على ملامحه أي انفعال ، عكس الزهو والفخر الباديان علي الأول.

استدار (علي) مرة أخرى ليووجه الباب المعدني ، ثم ضغط الأرقام الخاصة ، فأضاء مصباح صغير جداً باللون الأخضر ، لم يكن (عماد) قد لاحظ ذلك المصباح الدقيق فوق الأرقام قبل هذه اللحظة ، بعدها أمسك (علي) بالمقبض ، وجذبه نحوه بقوة ، ثم لفه في عكس اتجاه دوران عقارب الساعة ، فسمعا ذلك الصوت المعدني المميز لفتح القفل.

فتح (علي) الباب ، ثم أشار بيده إلى الداخل وقال: - تفضل بالدخول-

دخل (عماد) ، وتبعه (علي) ، الذي لم يغلق الباب خلفهما ، توقف (عماد) مصدوماً ، ف خلف الباب كان هناك ممراً عجيب الشكل ، الممر مظلم ، إلا من مصابيح صغيرة جداً ، لا تكفي أبداً لإنارة هذا الممر العملاق ، بالفعل كان الممر عملاقاً ، أشبه بسرداب ضخمة ، العجيب أن الممر أو السرداب هذا يأخذ الشكل الاسطواني ، بسبب ضعف الانارة لم يميز عماد الجدار الاسطواني ، ولم يميز مادته أو لونه ، لكن كان الممر يمتد أمامه وكأنه بلا نهاية.

بسبب ضعف الانارة أيضاً لم يتمكن (عماد) من تبين ملامح (علي) ، لم يكن (عماد) يستوعب ما الرائع في هذا السرداب ، ولماذا يفتخر به الدكتور (علي) بهذا الشكل ، قرر استبيان الأمر ، فسأل:

- ما هذا النفق يا دكتور ؟-

- قلت لك ، هذا أهم انجازاتي -

لم يفهم (عماد) أي شيء ، وانتظر التوضيح أكثر ، ولم يتأخر التوضيح كثيراً ، فقد أتاه صوت (علي) يقول:

- هل سمعت شيئاً عن مسرع الجسيمات ؟ -

- بالطبع يا دكتور ، أتقصد ذلك الموجود داخل جهاز التلفاز ؟-

ضحك (علي) وقال : - ذلك هو المسرع الخطي ، أنا أتكلم عن المسرعات الضخمة ، المسرعات الدائرية-

صمت (عماد) للحظات ، محاولاً تذكر أي شيء بهذا الخصوص ، ثم قال:

- ربما أكون قرأت عن ذلك الأمر -

قال (علي) :

- مسرع الجسيمات الدائري ، أو المسرع الضخم يختلف عن المسرع الخطي المهبطي الموجود في أجهزة التلفاز العادية ، فالمسرعات الدائرية تستخدم لأغراض أكثر سمواً من توليد الفوتونات أو الأشعة السينية ، فهي تعتمد على دفع وتسارع جسيمات

الطاقة كالضوء مثلاً ، لتحريك البروتون بسرعة خارقة تصل إلى سرعة الضوء تقريباً عن طريق دفع شحنات كهربائية متضادة ، وذلك بهدف دراسة نشأة الكون ، ويستخدم أيضاً في تصادم البروتونات بعد تحييد شحناتها تحت السرعة العالية لإنتاج الطاقة-

شعر (عماد) بالخجل لجهله هذا الأمر ، لكنه استوعبه بسرعة ، كان يستشف من لهجة (علي) بأن الأمر قد تم بالفعل وتم استخدام مثل هذه المسرعات ، لكنه شعر بقلق من عبارته الأخيرة فقال:

- تصادم نواتين .. إنتاج الطاقة .. أشعر وكأنك تتحدث عن صناعة قنبلة نووية متطورة يا دكتور-

لم يرى (عماد) الابتسامة على شفتي (علي) وهو يسمعه يقول:
- أنت لم تعرف بالأمر حقاً ، أنا لا أتكلم عن سلاح من أي نوع ، في نوفمبر من عام ٢٠٠٩ ، تمكن مركز البحوث النووية الأوروبي (CERN) من تشغيل أكبر مسرع جسيمات على وجه الأرض ، المسرع الدائري الذي يبلغ طول محيطه ٢٧ كيلومتر تقريباً ، مبني بالكامل تحت سطح الأرض علي عمق يزيد عن ١٠٠ متر ، ويمتد تحت فرنسا وسويسرا ، كما قلت لك أنفاً ، بغرض دراسة بداية نشأة الكون ، وتحويل الطاقة إلى مادة ، بل وإنتاج المادة المضادة نفسها ، التي تعتبر سر أسرار الكون ، وتدمير نظرية أن المادة لا تستحدث من العدم ، لكني لم أذكر تصادم نواتين لذرة ما ، فالنظرية تعتمد على تصادم جسيمات دون ذرية وهي البروتون ، في الانبوب العملاق في اتجاهين متضادين وبسرعة خرافية ، وينتج عن هذا التصادم طاقة هائلة ، لك أن تتخيل أن الطاقة التي يكتسبها البروتون داخل المسرع هي ٧ تيرا إلكترون فولت ، وعند تصادم البروتونات تتضاعف هذه الطاقة إلى ١٤ تيرا إلكترون فولت-
للمرة الثانية شعر (عماد) بالخجل ، لجهله بهذه المعلومات ، فحاول التأدب وهو يسأل:

- اسمح لي يا دكتور (علي) ، فأنا لست بقدر علمك الوفير ، كما أنني غير متخصص

في فيزياء الجسيمات ، فهل توضح لي ما هي المادة المضادة بالضبط ؟ .. لكن بالله عليك دعنا نخرج من هذا الظلام أولاً-
فوجئ (عماد) بكف (علي) فوق كتفه ، وهذا الأخير يضحك قائلاً:
- لا عليك .. فلنصعد مرة أخرى لمكتبي ونكمل حديثنا هناك-

(٦)

مرة أخرى ، عادا إلى مكتب الدكتور (علي) ، وهذا الأخير يجلس خلف مكتبه ، وقد قام بتشغيل جهاز الحاسب المحمول الخاص به على المكتب لعرض أحد مقاطع الفيديو ، على شبكة الانترنت ، والتي تتكلم عن المادة المضادة ، ليشاهدها هو و (عماد) ، كان يضغط الأزرار بسرعة وهو يقول (لعماد):

- المادة المضادة يا (عماد) هي نقيض المادة ، وهي ليست الفراغ بالطبع ، كل شيء في الكون له نقيض ، موجب وسالب ، موت وحياة ، ماء ونار ، كل شيء حتى المادة نفسها ، لها نقيض ، يمكنك أن تعتبر أن المادة المضادة هي كم من الطاقة ، ليست فراغاً ، لكنها طاقة صافية ، لكنها غير ملموسة ، ببساطة لأن مجرد تعرضها للهواء أو لملامسة أي سطح كان ، ستفنى فوراً ، لذلك ، فعلماء مركز سيرن ، حاولوا حبس المادة المضادة في محابس خاصة جداً ، مفرغة الهواء ، ومصنوعة من السيلكون كاربيد والتيتانيوم ، ومعرض لشحنات كهرومغناطيسية ، فالأمر ليس باليسير أو الهين- كان (عماد) يصغي مستمعاً ، ومستمتعاً ، فالعلم لا حدود له ، وما يقوله الدكتور (علي) ، لهو أمر يثلج صدر أي باحث أو عالم على ظهر الأرض.

شعر (عماد) بأنه بدأ يفهم الآن ، مسرع جسيمات عملاق ، اسطواني الشكل ، لابد أن هذا هو النفق أو السرداب الذي اقتاده (علي) إليه قبل دقائق ، يا له من انجاز كبير حقاً .

ظل يتابع مقطع الفيديو باهتمام ، حتى انتهى العرض ، فقال:
- إذأً ما رأيته تحت الأرض قبل قليل ،هو مسرع جسيمات مصري ،بنيته أنت يا دكتور-

لمعت عينا (علي)، وقال :

- ليس تماماً ، فبناء مثل هذا النموذج يحتاج ميزانية رهيبة ، تعادل ميزانية دولة صغيرة ، لكن ما رأيته قبل قليل ، فكرة قريبة من فكرة مسرع الجسيمات-

-صدقني يا دكتور (علي)، إن هذا اليوم لن ينمحي من ذاكرتي، فقد ذهلت مما رأيته، وأكثر ما أسعدني أنه بأيدي مصرية وعلى أرض مصر -
-وأمامك فرصة لتكون جزء مما رأيته - قال (علي)

كان قول (علي) مباغتاً، صمت (عماد) للحظات يفكر، رغم كل ما رآه كان هناك شعور مبهم في أعماقه، شعور بأنه حال قبل العمل في أبحاث الدكتور (علي)، فإن شيئاً جلل سيقع، لكنه لا يشعر بأريحية تجاه الأمر.

-يبدو أنك لا زلت متردداً يا (عماد) - قالها (علي).

-إنني في حيرة بعض الشيء يا دكتور .. فقد تصاعدت الأحداث بسرعة كبيرة في الساعتين الماضيتين، حديثنا عن النسبية جعلني أفكر بأنك تجري تجربة للسفر خلال الزمن، ثم هذا المعمل العبقري، والمضمار الخاص الذي لم تطلعني على سره بعد، وموضوع المادة المضادة، كل ذلك يربكني .. أنا بحاجة لبعض الوقت للتفكير -

صمت (علي) بدوره، كان يجد كلام (عماد) منطقياً جداً، وحيروته وتشتته أمر عادي بعد كل ما رآه، لكنه قرر ألا يحرق آخر أوراقه أمام (عماد)، ربما يرفض هذا الأخير العرض بالعمل معه على مشروع مجهول بالنسبة له، لهذا يجب أن يحتفظ ببعض الأسرار .

-حسناً، خذ وقتك، لكن أرجو ألا يتأخر الرد كثيراً-

(٧)

وقف (عماد) في شرفة منزله ،متكىً على سورها الحديدي ،في شارع جسر السويس ،بالقرب من فندق كونكورد السلام ،مستمتعاً بنسمات الهواء اللطيفة التي هبت هذا المساء لتنعش جسده وعقله معاً ،تناول كوب الشاي الموجود بجواره على طاولة صغيرة ، كان يحاول أن يصفى ذهنه ليفكر جيداً.

كان أكثر ما يشغله ،هو إيجاد الرابط بين كل ما شاهده بعينه ،وكل ما سمعه من الدكتور (علي) ،ربما لم يكن يرفض مبدأ العمل في هكذا معمل ،سيعود عليه الأمر بالفائدة العلمية والمادية ،لكن هناك ذاك الشعور المبهم بداخله ،شعور يجعل قلبه غير مرتاح.

هل يفكر (علي) في محاولة السفر خلال الزمن ؟ بدا ذلك من كلامه الأول ،أم يحاول محاكاة مسرع الجسيمات الموجود في مركز سيرن الأوروبي ،تبدو هذه فكرة خاطئة ،فقد ذكر (علي) مدي ارتفاع التكاليف ،فما هو إذاً سر النفق العجيب هذا ؟ إنه مشابه لذلك الممتد تحت سويسرا وفرنسا ،لكن أصغر بكثير ،لماذا لم يطلعهِ الدكتور مباشرة على ما يريد؟

كل هذه التساؤلات والأفكار ،تتلاحق داخل عقله ،هناك شيء يربط بينهم بالتأكيد ،لكنه لا يستطيع كشف هذا الرابط ،لقد كانت تعتمل بداخله مشاعر متضاربة ،لديه الشغب والرغبة في التعاون مع الدكتور علي ،ولديه هاجس مبهم يقلقه.

انتزعته من أفكاره ،يد والدته ،حين شعر بها على كتفه ،فأجفل ،والتفت لتستقبله

بابتسامة حانية وتقول -أتحب أن أحضر لك العشاء يا ولدي؟ -
أمسك بكفها، وطبع قبلة رقيقة عليه، ثم قال -أشكرك يا أمي، سأعمل على جهاز
الحاسب لبعض الوقت-

- حسناً ، سأخلد للنوم يا (عماد) ، حتى أستيقظ لأداء صلاة الفجر إن شاء الله -
قبل عماد رأس أمه ، ثم قال -حفظك الله يا أمي -

ربتت على وجنتيه بحنان ، ثم انسحبت إلى داخل المنزل ، كان يعيش مع والدته
وحدهما ، فقد توفي والده منذ سنوات ،وله من الإخوة شقيقة واحدة ، (نرمين)
،التي تزوجت من (وليد) ،ولهما بنتاً صغيرة في الثالثة من عمرها ،تدعى (لجين)
، (نرمين) تعمل كمعلمة للمرحلة الابتدائية ،واعتادت أن تترك (لجين) يوماً مع
والدتها وتذهب للعمل ، ثم تمر بعد انتهاء عملها لتساعد الأم المسنة في أعمال البيت
،قبل أن تصحب (لجين) وتعودا لمنزلها ،لم تعد الأم قادرة على تحمل أعباء البيت
وأعباء (عماد) ،فقد هاجمتها الشيخوخة ،كما تعاني من ارتفاع نسبة السكر في الدم
بشكل كبير وخطير.

دخل (عماد) إلى حجراته ،وجلس أمام الحاسب المحمول خاصته ،فتح بريده
الالكتروني ،ليتفقد كعادته ،مر بعض الوقت قبل أن يغلق الجهاز ،ويطفئ نور
الحجرة ويستلق فوق سريره.

لا يزال عقله مشدوداً لحديث الدكتور (علي) ،وعرضه المشوق ،فجأة تذكر عماد
تجربة ما ،كان قد قرأ عنها منذ فترة ،تجربة الانتقال الانى لقطعة معدنية ،التجربة
كانت تتمثل في نقل قطعة معدنية من انبوب زجاجي إلى آخر بينهما مسافة ٩٠
سنتيمتر ويربطهما أنبوب اسطواني يغلفه مجال مغناطيسي قوي ،وذلك بعد تسخين
القطعة المعدنية وقياس حرارتها ،ستنتقل القطعة عبر الأنبوب ذو ٩٠ سنتيمتر طولا
بفضل المجالات المغناطيسية وقوتها ،استغرقت القطعة ساعة و ٦ دقائق بالضبط
،لتنقل بين الأنبوبين ،وبعد قياس درجة حرارتها ومعدل فقدان المعدن للحرارة تبين
انها فقدت جزء بسيط من حرارتها ،جزء يعادل ما يفقده هذا المعدن في زمن قدره

٤ ثواني فقط ،بمعنى أن الزمن الذي استغرقه الانتقال بالنسبة لمراقب التجربة ،كان ساعة و ٦ دقائق ،لكن زمن الانتقال بالنسبة للقطعة المعدنية هو ٤ ثواني فقط ،وهو ما يعني أن الزمن الحالي بالنسبة لزمن القطعة هو المستقبل.

ربما كان عيب هذه التجربة هو عندما حاول العلماء نقل أكثر من قطعة معاً ،فبعد الانتقال وجد العلماء أن القطع المعدنية قد اندمجت معاً ،وتداخلت بشكل عجيب بعض الشيء.

-هل تمكن الدكتور (علي) من التغلب على مشكلة الاندماج ؟ هل تمكن من الحفاظ على الكتلة المنقولة ؟ - تسائل (عماد) في نفسه.

تقلب على جانبه الأيمن ،وأغلق عينيه ،محاولاً استحضار النوم ،وفي أعماقه كان قد حسم أمره ،واستقر على قرار.

سيقبل عرض الدكتور (علي)،

(٨)

انتصف النهار، عندما كان (عماد) قد انتهى من الدروس العملية التي يلقيها على الطلاب، أصبح متفرغاً الآن، لكنه يحفظ جدول محاضرات الدكتور (علي)، وهذا الأخير لن يحضر إلى الكلية اليوم، فهذا اليوم موعد الدكتور ليدرس في كلية العلوم جامعة القاهرة.

دخل (عماد) حجرة المعيدين في الكلية، حيا زملائه وظلوا يتبادلون الأحاديث حول أمور متفرقة، أمضي وسطهم دقائق، قبل أن ينزوي جانباً، ليتمكن من الاتصال بالدكتور (علي) هاتفياً، ومحدثته في هدوء.

طلب رقم الدكتور (علي)، ثواني قبل أن يتلقى إجابة، كان صوت الدكتور مفعماً بالحماس حين قال:

-أرجوا أنك فكرت في موضوع الأمس يا (عماد) -

-بالفعل يا دكتور، وأنا أقبل العمل معك -

-كنت متأكد من أنك لن ترفض .. سنلتقي بعد غدٍ إذن في الكلية-

-وهو كذلك يا دكتور -

ثم أنهى الاتصال.

غادر (عماد) حجرة المعيدين، عائداً للمنزل، على غير عادته، حيث اعتاد أن يقضي فترة الظهيرة مع زملائه في الكلية، يتبادلون الحديث في مختلف الأمور، لكنه اليوم ليس كعادته، باله مشغول، يفكر باستمرار فيما هو مقبل عليه، يساوره قلق مبهم تجاه المشروع الذي يعمل عليه الدكتور (علي)، يشعر في أعماقه بأن هذا المشروع سيؤثر على حياته كلها، ربما سينقله لمرتبة عالية في نجال علوم الفيزياء، ستتكالب

عليه المؤسسات العالمية بكل تأكيد ،سيجني المال والشهرة ببساطة ،لكن مازال هناك ما يؤرق جانبه.

تفاجئت به والدته حين دخل من باب المنزل ،كانت اعتادت عودته قبيل المغرب ،كانت جالسة أمام التلفاز في الصالة ،تتابع أحد المسلسلات حين دخل (عماد) ،
- لماذا عدت مبكراً يا (عماد) ؟ أنت بخير؟ -

هز (عماد) رأسه وقال مبتسماً:

- لا تقلقي يا أمي ،فقد انتهيت من المحاضرات مبكراً -
- حمدا لله على سلامتك يا ولدي ،. ألم ترى (نرمين) ؟ لقد غادرت لتوها -
- كلا - قال وهو يلقي بجسده فوق أقرب المقاعد إليه.

اعتذلت الأم تجاه ابنها وقالت:

-يبدو عليك الارهاق ، هل أنت بخير حقاً؟ -

-اطمئني يا أمي ، أنا بخير والحمد لله ،فقط هناك موضوع يشغل تفكيري بعض الشيء-

تهللت أسارير أمه ،وتورد وجهها فرحاً ، وقالت:

-أفرحني يا ولدي ،ما هو هذا الموضوع الذي يشغل تفكيرك؟-

هز كتفيه ، ولم يفهم ما تفكر به أمه ، ثم قال:

-لقد عُرض عليّ فرصة عمل جيدة في مركز خاص للبحوث ،وسيعود علينا بدخل إضافي -

خبت حماسة الأم وقالت

-عمل جديد ؟! -

لم يلاحظ (عماد) ما على والدته ، وتابع قائلاً:

-لكنه عمل جيد ،. فالحقيقة عمل ممتاز ،سيعود على ابنك بفائدة علمية كبيرة جداً

،وقريباً ستفتخرين بابنك الدكتور-

هزت رأسها وقالت -وفقك الله-

هنا فقط لاحظ (عماد) شيء من الحزن في صوت أمه ،ووضح هذا الحزن أيضاً في ملامح وجهها المضيء ،حتى أنها أشاحت بوجهها عنه وعادت بنظرها صوب التلفاز مرة أخرى.

- ما بك يا أماه ؟- سأل (عماد)

قالت دون أن تنظر إليه -لا شيء -

قام من جلسته ،ثم تجاوز الطاولة الصغيرة أمام الأريكة حيث تجلس أمه ،جلس بجوارها وتناول راحتها الضعيفة بين كفيه ،ثم طبع عليها قبلة حانية ،ونظر في عينيها مباشرة وقال:

- تخفين شيء ما يا أمي ،يمكنني ملاحظة ذلك بسهولة-

قالت بحنان بالغ -أنا قلقة عليك يا (عماد)-

قال -صدقيني أنا بخير حال والحمد لله ،ربما التفكير الزائد هو ما يجعلني أبـدو — قاطعته -لم تفهم مقصدي يا ولدي -

نظر متسائلاً ،فتابعت هي - اسمعني جيداً يا ولدي ،لقد مر من العمر ما مضى ،وأيامي المتبقية قليلة —

قاطعها (عماد) -أطال الله في عمرك يا أمي ،هل تشعرين بشيء؟ -

هزت رأسها ،وقالت -لا تقاطعني ،واسمع ما أقوله جيداً ،يا عماد لن أعيش كثيراً لأظل بجوارك ،هذه سنة الحياة يا ولدي ،أنا عجوز مريضة ،وأحتاج الراحة من ربي ،لكني أعيش على أمل أن أراك في بيتك ،مع زوجتك وأولادك ،أريد الاطمئنان عليك قبل رحيلي يا ولدي ،لقد تجاوزت الثلاثين من عمرك ،ولم تخبرني يوماً بشأن أي فتاة ،ولقد عاهدت نفسي أن أتركك تختار بنفسك ولا أفرض عليك أحد من بنات العائلة أو المعارف ، وانتظرتك كثيراً ،لكنك لم تتحرك أبداً ،أرجوك أجعلني أرتاح قبل موتي يا ولدي-

تضاربت مشاعر (عماد) ،قبل يد أمه ورأسها ،ثم اعتدل جالساً بجوارها ،كان عماد من النوع المستقيم والملتزم ،لم يمر بما يمر به الشباب في المراهقة من قصص العشق

وحكايات الغرام ،وفي مرحلة الجامعة ،كان همه الوحيد أن يتفوق ليصبح معيداً في الكلية ،كما لم يكن قد فكر في الزواج من قبل ،أو بالأحرى كان يؤجل التفكير في الأمر ،كل ما كان يهمله ،دراسته وأمه ،فكيف يتزوج ويتركها وحيدة وهي بحاجة إليه .
قال مازحاً -وهل تريدني أن أتزوج وأتركك بمفردك ؟-

لم تنل دعابته تلك استحسان والدته ،ولم تتفاعل معها مطلقاً ،حتى بدى وكأنها لم تسمعها من الأساس عندما قالت :
-عليك أن تفهم ،أنا من سأرحل وأتركك بمفردك ،للمرة الثانية أطلب منك أن تريح قلبي يا بني -

-يا أماه ،مثل هذه الأمور لا تتم بين عشية وضحاها ،ثم من أي لي بمصروفات الزواج وثمان شقة الزوجية والأثاث وخلافه؟ -
-ولم تشتري شقة خاصة بك؟- قالت الأم -فلتتزوج هنا -
-هنا! - قال (عماد) مندهشاً -هذه شقة والدنا رحمه الله ،وليست ملكي لأتزوج هنا-

قالت -بالطبع ليست ملكك ،لكن بعد موتي ستكون لك أنت و (نرمين) فقط ،ويمكنك عندها شراء نصيبها أو ترك الشقة شركة بينكما ،كما يحلو لكما ،وأنا سأفاهم مع أختك من الآن -

كانت المشاعر تجيش في صدره ،وعقله يئن من التفكير ،كيف نسي أمر الزواج ،زملائه تزوجوا ،ومعظمهم أنجب بالفعل ،هل سرقه الزمن ،فجأة توقف تفكيره عند تلك النقطة ،الزمن ،فهو الآن بصدد خوض تجارب الانتقال خلال الزمن .
شرد بذهنه للحظات ، لكن صوت أمه أعاده للواقع وهي تقول:
-لم أسمع رأيك يا (عماد) -

تعجب في داخله من الطريقة التي تتكلم بها والدته ،فهي تبدو صلبة ومتماسكة جدا ،هو يعرف أن المرض جعلها أضعف وأنحل ،لكن من أين لها بهكذا قوة ؟ لابد وأنها تتعامل بجدية لأنها حقاً تخشي تركه وحيداً ،شعر أن والدته محقة في كل ما

قالتة ،شعر وكأنها دقت جرس إنذار ما في أعماقه ،في منطقة لم يفكر بها يوماً.

-حسنا يا أمي ، لكن عليك اختيار عروس مناسبة إذن -

ابتسمت الأم ابتسامة رضا وقالت - لم أفرض عليك شيئاً في يوم من الأيام يا ولدي ،ولن أفعل الآن ،عليك البحث عن الفتاة التي ستشاركك حياتك وعمرك ،لكن رجائي أن تسرع في هذا الشأن-

هز رأسه موافقاً ،دون أن يكون لديه أي فكرة ،كيف يبحث عن عروس؟

(٩)

فتح (عماد) صنبور المياه ، ثم انحنى ليدس رأسه أسفل المياه ، تاركا الماء البارد يغمر رأسه وشعره ، كان انقباض أوعية الدموية سبباً في زيادة تدفق الدم إلى دماغه ، مما منحه شعوراً بالانتعاش والتيقظ ، مد يده فوق الحوض ليغلق الصنبور وهو لا يزال منحنيًا ، ظل ثابتاً لبضع ثوان أخرى ، ليدع أكبر قدر من الماء يسقط عن رأسه ، ثم بدأ يرفع جسده ببطيء ، حتى استقام واقفاً أمام المرأة المعلقة فوق الحوض بداخل الحمام ، تساقط قطرات الماء لتبلل كتفيه وصدره ، وتبلل الفانلة الداخلية التي يرتديها ، حتى أن بعض القطرات وصلت إلى بنطلونه الرياضي كذلك الذي يرتديه اللاعبون الرياضيون في تدريباتهم.

استند بكفيه على الحوض ليميل قليلاً نحو الأمام ، ويقرب وجهه من المرأة ، كان ينظر مباشرة إلى انعكاس صورته في المرأة ، لا يدري لماذا يتذكر فترة مراهقته ، حين كان طالباً في المرحلة الثانوية ، كان ولا زال من تلك النوعية المستقيمة والملتزمة خلقياً ودينياً ، في تلك الفترة كان همه الأول والأخير هو الحصول على مجموع جيد ليفرح والديه ، كان يبحث في ذاكرته عن أي نزوة ، فلا يجد ، ربما هذه المرة الأولى التي يلاحظ فيها أن أصدقائه المقربين منه في تلك الفترة ، كانوا هم أيضاً على نفس القدر من الأدب والالتزام ، فهو من ذلك النوع الذي لم يفكر مجرد التفكير في تجربة التدخين ، كمعظم شباب جيله ، ولم يخط بباله قط محاولة الارتباط بأي فتاة في مثل عمره ، بل أنه يتذكر أنه لم يعرف أي فتاة في نفس عمره آن ذاك ، فحتى مجموعات التقوية التي كان يحضرها بعد اليوم الدراسي ، كانت لشباب دون الفتيات ، لأن تلك المجموعات كانت تقام في نفس المدرسة التي يرتادها.

مد يده وتناول المنشفة المعلقة علي باب الحمام من الداخل ،ثم جفف رأسه ووجهه من المياه ،وترك المنشفة فوق كتفيه ،ثم عاد ينظر لصورته في المرآة ،يتذكر الآن كيف كان يقضى فترة الدراسة بكلية العلوم ،كان يواظب علي حضور المحاضرات والدروس العملية دون انقطاع إلا بسبب المرض الشديد ،حتى هذا الانقطاع لم يحدث طوال سنوات الدراسة الجامعي سوى مرتين أو ثلاثة تقريباً ،لا يذكر بالتحديد كم مرة تغيب عن الدراسة ،لكن في تلك المرحلة ،كان قد تعرف على كثير من الفتيات ، زميلات الجامعة ،لا ،هن من تعرفن إليه ،فبسبب تفوقه الملحوظ ،ووصوله ببساطة للمركز الأول على دفعته في كل عام ،جعله محط للعيون ،الكثير من العيون ،وليس عيون الفتيات فحسب ،كان غالبية الطلاب من الجنسين يجالسوه كثيراً بين المحاضرات ،فقط ليشرح لهم بعض الأجزاء التي لم يفهموها جيداً ،كان يجد في نفسه سعادة جمّة ،كلما طلب منه زميل أو زميلة أن يشرح جزء ما من المقرر ،ويؤدي دوره بأمانة ،يا إلهي ! لقد كان مثالياً لدرجة بعيدة.

خرج من الحمام ،ودخل إلى المطبخ ،ثم أعد كوباً من الشاي وهو مشئت الذهن ،أخذ كوبه الساخن ودخل به إلى الشرفة ،ليستمتع بنسمات الهواء الباردة ،لكن في هذه الليلة أبت النسمات اللطيفة أن تزور هذا الحي من العاصمة ،لقد كان الجو حاراً إلى حد ما.

عاد مرة أخرى لمتابعة أفكاره وذاكرياته المرسلّة ،هذه الأيام ،يمر عليه ويومياً عشرات الفتيات ،طالبات يقوم بالتدريس لهن ،أمامه الكثير منهن ليختار ،بدت هذه الفكرة مزعجة جداً ،فبنات هذه الأيام لسن من تلك النوعية التي يفضلها ،بل أنه كثيراً وزملائه المعيعدين بالكلية ،ما ينتقدون هؤلاء الطالبات ،لقد أصبحن أكثر جرأة وأكثر تحرراً ،ولا يتخيل نفسه زوجاً لإحداهن.

-ألم يكن من الأفضل أن أرتبط بإحدى زميلاتي في الدراسة؟ - قالها لنفسه وهو يتابع حركة المارة في الشارع أسفله ،يشعر بأن البحث عن فتاه تناسبه وتتوافق معه هو أمر صعب ،بل هو الأصعب على الإطلاق ،فعلاقاته العامة محدودة ،وغير

متشعبة إطلاقاً، كان يقضى فترة الإجازة الصيفية وهو طالب، في التهام الكتب، كان كمعظم أبناء جيله، ممن تربى على روايات (أحمد خالد توفيق) و(نبيل فاروق) و(خالد الصفطي)، وسهر الليالي بين أوراقهم، كما كان له شغف خاص بقراءة روايات (نجيب محفوظ)، رغم انه كان يجد في نفسه بعض الخجل في كثير مما ترويها روايات حائز جائزة النوبل.

تتلاعب بعقله الكثير من الأفكار، وتمر بباله ذكريات متفرقة، ذكريات تقليدية لشاب تقليدى، بل وربما من الطراز القديم نسبياً مقارنة بشباب جيله، غير أنه مقتنع بكلام والدته، صحيح أنه تفاجئ بالأمر، حتى وأنه لم يتخيل يوماً نفسه يعيش قصة حب من أي نوع، ولم يفكر في الزواج من قريب أو من بعيد، لكن وماذا بعد، والدته محقة كل الحق، سيما ولقد تجاوز الثلاثين من عمره، يمكنه بالفعل أن يتخذ من هذا المنزل سكناً خاصاً له، وستكون زوجته المستقبلية عوناً لأمه المريضة، وهو بالطبع سيعطي (نرمين) مقابل نصيبها في البيت إذا ما قررت بيعه، أما باقي مستلزمات الزواج فيمكنه تدبيرها، خاصة مع وجود دخل جديد بعد عمله في مركز (DMPT) مع الدكتور (علي)،

لكن أين هي هذه الفتاه ؟

هل سيطول بحثه ؟

أم سيهديه الله سبحانه وتعالى إلى ضالته قريباً؟

تناول آخر جرعة في كوب الشاي، ثم عاد إلى داخل البيت، قرر أن يتوضأ ويصلي ليدعوا بدعاء الاستخارة، كما اعتاد أن يفعل في كل خطوات حياته، سيدعو الله عز وجل، وهو واثق أن الله سيهديه إلى ضالته ..، وقريباً.

(١٠)

كان (عماد) يشعر بحماسة كبير ،عندما انتهى من محاضراته ،أسرع الخطى نحو مكتب الدكتور (علي) ،فاليوم موعد لقائهما ،وصل للمكتب ،تفاجئ أن المكتب مغلق ،وقف بشيء من الارتباك أمام الباب ،الموعد هو اليوم بالتأكيد ،وهذه فترة استراحة الظهيرة ،ولا توجد أي محاضرات ولمدة ساعة كاملة.

أخرج هاتفه المحمول من جيب سرواله ، هاماً بالاتصال بالدكتور (علي) ،وهو يتمم -أين أنت يا دكتور؟ -

ما كاد يخرج هاتفه ،حتى دق معلنا قدوم اتصال ،أجفل عماد قليلا ،قبل أن يرتفع حاجباه في دهشة ،فلقد أضيئت شاشة التليفون باسم المتصل ،الدكتور (علي) ،مرر (عماد) إصبعه على شاشة الهاتف ليحجب الاتصال :

-أين أنت يا دكتور (علي) ؟ أنا أمام حجرة مكتبك -

-لا ، وافني أمام بوابة الجامعة بسرعة -

لم يجد (عماد) أي فرصة للنقاش ،فلقد أنهى الدكتور (علي) المكالمة فوراً ،ظل (عماد) واقفاً مكانه لثواني إضافية ،أدرك أنه على وشك الذهاب مرة أخرى لمركز (DMPT) ،فتحرك ليلحق بأستاذه عند البوابة الرئيسية.

وصل (عماد) للبوابة ،حيث وجد الدكتور (علي) واقفاً ،اقترب منه (عماد) قائلاً -كيف حالك يا دكتور؟ -

التفت الدكتور (علي) نحو (عماد) وتصافحا بحرارة كبيرة ،ثم احاط الدكتور (علي) كتف (عماد) بذراعه ليسيرا سويا بعيداً عن زحام البوابة في هذا التوقيت.

-أين سيارتك يا دكتور -

-السيارة هناك ،. في المركز-

استغرب (عماد) الأمر ،لكن قبل أن يفكر في سبب منطقي لذلك ،سمع علي ينادي أحد سيارات الأجرة ،فتوقفت أمامهما ،فتح (علي) الباب الخلفي المقابل له ،ودخل إلى السيارة وهو يقول -اصعد من الباب الآخر يا (عماد)-

وما إن استقرا داخل السيارة ،حتى انطلقت بهما ،كان (عماد) مرتبك قليلاً ،كان من المتوقع أن يصاحب الدكتور (علي) إلى المركز ،لكن لما ترك هذا الأخير سيارته هناك ؟ لم يجد (عماد) اجابة منطقية لهذا السؤال.

طوال الطريق لم ينبس (علي) ببنت شفه ،احترم (عماد) صمت استاذة ،وفهم أنه يفكر بعمق ،وصلت السيارة إلى المركز أخيراً ،وتوقفت أمام بوابة المركز الرئيسية ،وترجل منها (علي) و(عماد) ،ناول علي السائق مبلغاً كبيراً من المال ،نظير إيصالهما ،ثم دخلا إلى المركز.

بضع دقائق مضت قبل أن يجتمعا في حجرة (علي) ،لم يمر على دخولهما المكتب دقيقة واحدة حتى دخل عليهما (طارق) ،سكرتير (علي) ،اقترب (طارق) وناول (علي) سلسلة مفاتيح تحتوي مفتاح واحد لسيارة ،توقع (عماد) أنه مفتاح سيارة (علي) الخاصة ،فكر (عماد) في نفسه -هل لديهم قسم لصيانة السيارات في هذا المركز ؟ -

-لقد انتهى المهندسين من المطلوب بخصوص السيارة - قاله (طارق) بهدوء قال (علي) : -استدع المهندسة نهى ، واجلب لنا كوبين من الشاي وفنجان القهوة الخاصة بي-

قال (طارق) -على الفور - ،ثم استدار منصرفاً ،خرج وأغلق باب الحجرة خلفه. نظر (عماد) نحو علي ،فوجده مشغولاً بمطالعة بعض الأوراق داخل ملف بلاستيكي شفاف ،فشعر بالضيق يتسلل إلى نفسه ،فالدكتور (علي) كأنه لا يشعر بوجوده ،سمع عماد طرقات على باب الحجرة ،قبل أن ينفتح الباب ويدخل شاب في أوائل العقد الثاني من عمره ،حاملاً صينية عليها الشاي والقهوة وقوارير المياه

المعدنية ،تقدم الشاب تجاه (علي) ،واضعاً قدح القهوة أمامه ،وكذلك قارورة مياه ،
ظهر الارتباك على الشاب ،حيث لا يرى أمامه سوى (علي) و(عماد) ،فلمن يا ترى
كوب الشاي الزائد؟

قال (علي) مخاطباً الشاب -ضع الشاي على الطاولة - قالها وهو يشير إلى الطاولة
أمام (عماد) ، فوضع الشاب ما يحمله على الطاولة ،وغادر في صمت.
لم يمر وقت طويل قبل أن يسمع (عماد) طرقات جديدة على الباب ،هذه
المرّة دخلت (فتاة) شابة ،في النصف الثاني من العشرينات تقريباً ،ترتدي بنطلون
من الجينز ،عليه بلوزة رمادية طويلة ،ويغطي رأسها حجاب باللون الأبيض ،ورغم
مظهرها البسيط هذا إلا أنها كانت منمقة ،بشرتها خمرية ،لكن لها عينين خضراوين
يلفتان النظر بشدة ،كانت تتقدم برشاقة وبخطوة سريعة ،شعر (عماد) بأنه يعرف
هذه الفتاة بطريقة أو بأخرى.
-مساء الخير يا دكتور (علي) -

قالت الفتاة التي لم تكن سوى المهندسة (نهى) ،وهي تقف أمام المكتب الكبير
،فأشار لها (علي) كي تجلس وهو يقل -اجلسي يا (نهى) -
جلست بالفعل على المقعد المواجه لـ(عماد) ،فتبادلا نظرة سريعة قبل أن تقول
هي :

-المهندس (عماد) ! يا لها من مصادفة-
عقد (عماد) حاجبيه ، وابتسم بخجل ،بالتأكيد هو يعرف (نهى) ،لكن لا يذكر
كيف يعرفها ،كانت حيرته جلية ،فلم يجد ما يقوله في مثل هذا الموقف.
قال (علي) :

-ألا تذكر المهندسة (نهى) ؟ هي خريجة الكلية في العام قبل الماضي ،من شعبة
هندسة الميكانيكا ،لا بد وانك قمت بالتدريس لها من قبل -
بدأ (عماد) يتذكر بالفعل ، فقال بسرعة:
-بالطبع أتذكر ،كيف حالك أيتها المهندسة؟ -

-بخير حال يا مهندس (عماد) -

سأل (علي) : -هل انتهيت من سيارتي يا (نهي) ؟ فلقد عانيت في التنقل منذ أمس -
ابتسمت (نهي) وقالت بثقة :

-لا تقلق أبداً يا دكتور ،لقد قمت باللازم ،وعليك التحمل قليلاً يا دكتور لنصل لما
تريد ،أليس كذلك؟ -

ضحك (علي) ضحكة خفيفة قبل أن يقول :

-عليّ التحمل ! ها أنتِ تستعيرين كلامي -

ضحكت بدورها وقالت : -تلميذتك يا دكتور -

هنا التفت (علي) نحو (عماد) وقال : -لا يمكنني أن أفهم كيف يظل الشباب
ذوي الإمكانات الجيدة بلا عمل ،ربما لا تعرف يا (عماد) أن والد (نهي) أحد معارفي
القدامى ،وفوجئت باتصال هاتفني منه ،يطلب أن اتوسط لابنته لكي تجد عمل جيد
،رغم أنها حاصلة على تقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف ، وترتيبها الثالثة على دفعتها
،إلا أنها ومنذ تخرجها جليسة بيت أبيها -،

هز (عماد) كتفيه وقال :

-للأسف يا دكتور ،فالكثير من الشباب الجيد لا يجد فرصة عمل تناسبه وتبرز مهاراته
،إنها مشكلة عامة -

أشار لهما (علي) وهو يقول :

-تناولا الشاي ،أنتم الآن زملاء في مشروعنا الكبير -

شرع كل منهما في تناول كوب الشاي من على الطاولة ، وللحظة تلاقت عيونهما
،لحظة واحدة جعلت (عماد) يشعر بشيء غريب في أعماقه ،لقد قام بالتدريس
لـ(نهي) بالفعل ،هاتان العينان الخضراوات ،فعلا بداخله ما فعلا .

ارتشف (علي) رشفة من القهوة قبل ان يقول :

-اسمعاني جيداً ،أنا أعكف على دراسة موضوع هام جداً ،لإجراء تجربة معينة ،إذا
كتب لنا النجاح ،ستكتب أسمائنا في كتاب التاريخ بماء الذهب ،ولقد اخترتكما

بعناية لتشاركاني الأمر ،لقد قمتِ بتوقيع عقدك يا (نهى) وأصبحتِ رسمياً تنتمين إلي (DMPT) ،وبالنسبة إليك يا (عماد) ،فستفعل هذه الأمور اليوم بعد اجتماعنا هذا -

انتهى (عماد) من شرب كوب الشاي ،فترك الكوب على الطاولة قبل أن يقول:
-إن العمل معك يا دكتور (علي) ،لهو شرف كبير بالنسبة لي ،وهي فرصة لا تأتي كثيراً
-

هز (علي) رأسه ،ثم ابتسم ابتسامه غامضة وهو يقول :
-لقد أطلعت كل واحد منكما علي بعض المعلومات البسيطة عن المشروع ،والآن ،أحب أن أسمع تصور كل واحد حول ماهية المشروع -
كانت (نهى) لا تزال تشرب الشاي ،وبدأت هي بالكلام قائلة:
-حسب ما طلبت مني القيام به يا دكتور ،أعتقد أننا بصدد العمل على تطوير محرك سيارة وهيكلها ، لنجعلها تصل إلى سرعة خارقة ،دون أن يتأثر هيكلها بالضغط ولا بالحرارة -

هز (علي) رأسه متفهماً قبل أن يسأل (عماد) بنفس الابتسامة : -وما رأيك يا (عماد)؟-

قال (عماد) :

- لقد فكرت كثيراً يا دكتور ،وأعتقد أننا سنقوم بتجارب على الانتقال الآني ،يبدو أنك توصلت لحل معضلة اندماج الكتل ،وتأثير الحرارة على التجربة-
عقد (علي) حاجبيه وقال :

-الانتقال الآني ؟! من أين أتيت بهذه الفكرة ،إن كنت تقصد تجربة نقل قطعة معدنية عبر أنبوب طوله ٩٠ سنتيمتر ،فأحب أن أؤكد لك ،أن هذه التجربة لا تزيد عن كونها إدعاء علمي كبير ،وليس هناك دليل واحد علي صحة هذه التجربة -
بهت (عماد) لما سمع من الدكتور (علي) ،وبدا التوتر على ملامحه ،يبدو أن تصوره خاطئ ،فهل من المعقول أن الدكتور (علي) يعمل على تطوير السيارات كما

قالت (نهى) ؟ ولم لا ،فهذا المركز كله بهدف تطوير تكنولوجيا الصناعات المختلفة.
قاطع (علي) استرسال (عماد) في أفكاره وهو يقول :
-ربما لم أطلعك يا (نهى) على الكثير من المعلومات ،فقد تركت لكِ سيارتي لتقومين
بعمل مخططات تفصيلية لها ولماكينتها طوال يومين كاملين ،على هذا الأساس بنيت
تصورك للمشروع ككل ،لكن ما قلتيه ليس هو المشروع الكلي ،بل مجرد مرحلة
من عدة مراحل في المشروع الكبير ،لكن كنت أتوقع أن تفهم أنت الأمر يا (عماد)
خصوصاً بعد لقائنا السابق هنا بالتحديد-

انهى كلامه ثم تناول الملف الشفاف الذي كان يطالعه قبل وصول (نهى) ،وناولها
إياه ،وهنا فقط لاحظ (عماد) أنه هناك نسخة أخرى للملف لها نفس الغلاف
البلاستيكي الشفاف ،تناول (علي) النسخة الثانية وناولها لـ(عماد)،
قال (علي) :

-ما بين أيديكم الآن ،هو تفاصيل مشروعنا ،والبرنامج الزمني الدقيق لمراحل العمل
المختلفة ،من يوم البداية وحتى آخر أيام العمل -

قال عبارته الأخيرة تحديدا بحماس واضح ،وهو يلوح بذراعيه ،أما ملفي المشروع
في يد كل من (نهى) و(عماد) ،لم يشير غلافهما إلى شيء ،فرغم أن المغلف البلاستيكي
شفاف تماماً ،إلا أن صفحة الغلاف كانت ناصعة البياض ولم يخطها الحبر ،وبلا تنسيق
مسبق ،فتح (عماد) و(نهى) الملفين في اللحظة ذاتها ،ثم قلبا الصفحة البيضاء ،لتظهر
لهما صفحة الغلاف في كلا الملفين ،صفحة بيضاء يتوسطها ثلاث كلمات مكتوبة بخط
عريض ، ثلاثة كلمات جعلت عيون (نهى) و(عماد) تتسعان بدهشة قبل أن يرفعا
نظرهما نحو بعضهما البعض ،ويتبادلان نظرة صامتة ،ثم ألقى كل منهما نظرة أخرى
تجاه الثلاث كلمات عنوان المشروع .

كان العنوان هو (السفر خلال الزمن)

(١١)

استلقى (عماد) فوق سريره ،محاوِلا الاسترخاء لتصفية ذهنه ،بعد أن انتهى من توقيع عقد العمل في مركز DMPT ،كان يحاول الاسترخاء حتى يتمكن من التفكير بروية ،هو مقبل على خوض تجربة العمر ،تجربة ستجعله ممن يشار إليهم بالبنان حول العالم بأسره في مجال الفيزياء ،ربما سينال جائزة نوبل أيضاً.

لقد قرأ الملف بعناية ،وتشاور مع (علي) و(نهى) في بعض التفاصيل ،كان من الجلي أن الدكتور (علي) وضع برنامجاً دقيقاً للقيام بالعمل ،ودوره في هذا المشروع دور رئيس وكبير ،ومن الواضح أيضاً أن (نهى) تملك من الذكاء والنبوغ ما يؤهلها لإنجاز دورها بدقة.

توقفت أفكاره عند (نهى) ،تذكر لحظة لقاء العيون بينهما ،يا لهما من عنين خضراوين ،فيهما صفاء ودفئ ،تشعان ذكاء وفطنة ،يمكنك أن تثق في صاحبة هاتين العينين ،فهما عينان لم تتعودا الكذب ،وحين تبسمت ،شعر بطمأنينة وراحة محبة للنفس ،كل هذه المشاعر لم يختبرها قبلاً ،وجودها بقربه اليوم ،ورغم أنها المرة الأولى التي يلتقيان فيها منذ كانت طالبة ،إلا أن وجودها منحة راحة عجيبة ،راحة من نوع خاص ،راحة مقترنة باضطراب وقلق ،فهو يريد البقاء أكبر وقت ممكن في حضورها ،يريد أن يظل يناجي عينيها ،لكن كلما التقت العيون يصاب بالاضطراب ،ويصاب بالخلج أيضاً ،حديثها الواثق الدال على ذكاء كبير كان يمتعه ،صوتها الرقيق يجد من خلاله الدفء ،كل ما فيها يعطيه شعور مختلف ،ويعطيه الاحساس بالأمان.

حاول أن يعود بذاكرته لأيام ما كانت طالبة في الكلية ،يتذكرها بالفعل ،لقد كانت نابهة جداً ،وتوقع لها الكل أن تكون من بين الطلاب أصحاب المراتب الأولى ،وقد

كانت ، لكن للأسف ، لا يملك ذكريات كثيرة يتشاركها فيها ، فقد كانت مجرد طالبة بين عشرات الطالبات ، وهو المعيد المختص بالدروس العملية .

- ما هذا الذي أفعله ؟- سأل (عماد) نفسه بعصبية ، وجد في نفسه حرج من التفكير في (نهى) ، هي الآن زميلته بالعمل ، ويجب عليه أن يتوقف عن مثل هذه الأفكار ، يجب ألا يسمح لنفسه بالانسياق وراء تلك المشاعر والأفكار .

- لكن لم ؟- سأل نفسه مجدداً ، فهو يستطيع أن يكبح نفسه عن اقتراف الحماقات ، غير أنه يريد الارتباط والزواج ، وربما تكون (نهى) هي فتاته المنتظرة ، ثم أنه أدى صلاة للاستخارة في أمر الزواج ، وقد وجد (نهى) في طريقه بعدها ، بل أنها ستشاركه العمل تحت قيادة الدكتور (علي) .

شعر بطمأنينة كبيرة ، بعد فكرته الأخيرة ، لقد وفقه الله بعد كل دعاء استخارة لما فيه الخير ، ويشعر أن هذه المرة أيضاً سينال نصيبه من الخير ، يجد في أعماقه ثقة قوية في أن (نهى) هي الخير له ، ربما كان أمر تشاركهما العمل جاء في الوقت المناسب الذي حدده له الله سبحانه وتعالى لكي يحرز نصف دينه .

(١٢)

مرت أسابيع ثلاثة، هذه الفترة كان الفريق الثلاثي يعمل على مرحلة التحضير للتجربة، مراجعة ملف التجربة أكثر من مرة حتى يحفظه الجميع عن ظهر قلب، المزيد من مراجعة تفاصيل التنفيذ، المزيد والمزيد من دراسة العواقب والمخاطر. كانت فترة التحضير هذه سيعقبها توقف لمدة شهر ونصف كاملين، وذلك لبدء امتحانات نهاية العام بالكلية، وأرادها الدكتور (علي) أن تكون فترة راحة قبل الانطلاق بقوة، ربما ليست فترة راحة بالمعنى الحقيقي للكلمة، فلقد أخذ الدكتور (علي) على عاتقه مسؤولية البحث للحصول على الخامات المطلوبة، من حول العالم، لما يتمتع به من علاقات وطيدة مع الجهات العلمية والبحثية ذات المستوى الرفيع. كان هذا هو اليوم الأخير في هذه المرحلة، قبل الركون للراحة لمدة شهر ونصف، وكان الفريق الثلاثي مجتمع في مكتب الدكتور (علي) في مركز DMPT، كانت علاقة (علي) الشخصية بكل من (نهى) و(عماد)، تجعل جو العمل جواً ودوداً، رغم خطورة ودقة التجربة، إلا أن روح الود كانت تبث الهدوء في نفوسهم جميعاً، وقد أصاب الدكتور (علي) في تكرار مراجعة التفاصيل معهما مراراً وتكراراً، حتى باتا يحفظان كل التفاصيل وكأنهما من وضعا الأفكار والبرنامج التفصيلي للتجربة. قال (علي) :

-من واقع خبرتي وتجربتي، فقد أصبحت أؤمن بضرورة الإدارة العلمية لأي مشروع، إن علم إدارة المشروعات هو حجر الأساس لبناء أي عمل ناجح، ولهذا حرصت على أن تدرسان البرنامج الزمني وجدول الأعمال بكل تفاصيله، ليس فقط لتتضح خطوات وتفاصيل التجربة إليكما، لكن لتشعرا بأهمية وجود نظام للعمل

نظام ثابت ومحدد المواعيد ،وهذه نصيحتي إليكما ،يجب التخطيط لتنفيذ أي عمل بدقة قبل الشروع في تنفيذ العمل ،ومهما كان العمل بسيطاً-

كان (عماد) و(نهي) يستمعان إلى (علي) بحرص وإمعان ،فلقد أيقنا عبقرية هذا الأخير ،ورغم عدم البدء فعلياً في التنفيذ ،إلا أنهما استفادا من خبرة الرجل في ناحية التخطيط وتنظيم الأمور.

-والآن ،أريد منكما ،ولمرة الأخيرة ،مراجعة التفاصيل قبل القيام بالإجازة لمدة خمسة وأربعين يوماً -قالها علي.

قالت (نهي) : -ربما أنا من سأقوم بالإجازة بالمعنى الحرفي ، لكنكما لديكما ما تقومان به -

قال (علي) : -أريد مراجعة التفاصيل يا (نهي) -يبدو أن دعابتها لم تلق استحسان (علي)،

قالت :

-حسننا ،التجربة تقوم على التحرك بسرعة قريبة من سرعة الضوء ،وحسب معادلات النسبية فإن كلما زادت السرعة إلي ما يقارب ٨٧٪ من سرعة الضوء ،فإن الزمن خارج الجسم المتحرك يقل بمقدار الضعف ،وهو ما يعرف بتباطؤ الزمن-
قال (عماد) :

-سنقوم بتطوير سيارة ،بالتحديد سيارتك الأودي ،بحيث يصبح هيكلها من خليط من الصلب والتيتانيوم وكاربيد السيليكون ،لتتحمل ما يترتب على السرعة الخارقة ،سنضع ساعة السيزيوم أو الساعة الذرية Atomic clock ،داخل السيارة ،لقياس الزمن بدقة ،فنسبة الخطأ في هذه الساعة تصل إلى ثانية واحدة لكل ٢,٧ مليون سنة-،

قالت (نهي) :

-وبالنسبة لمحرك السيارة ،وبعد دراسة التقنية التي أقرتها مؤسسة واينبرج في لندن ،فسوف نطور محرك السيارة ليعمل بوقود الثوريوم ،وهو الوقود الذي يؤمن للسيارة

الحركة في الأجواء الطبيعية لمدة تصل إلى مائة سنة كاملة، وذلك لضمان عدم نفاذ الوقود لسبب أو لآخر خلال التجربة-
(عماد):

-نأتي إلى الجزأين الأكثر عبقرية في التجربة من وجهة نظري، الجزء الأول مكان التجربة، فكل النظريات تتناول حركة مركبة فضائية، في الفراغ، حول الكرة الأرضية، بسرعة تصل أو تقارب سرعة الضوء، وهو الأمر الذي يصعب تنفيذه داخل الغلاف الجوي، ولهذا، فقد تم تشييد النفق الخاص تحت سطح أرض المركز، والذي استوحيت فكرته من مسارع الجزيئات في مركز CERN، لكن هنا تتجلى العبقرية المصرية، فالأنبوب الاسطواني الدائري الشكل، لا يستخدم في تصادم الجسيمات دون الذرية، البروتونات، بل هو في واقع الأمر نموذج مضخم جداً لغرفة انعدام الجاذبية الأرضية وبطول ٣ كيلومتر كاملة، مما يوفر الأجواء المطلوبة للتجربة دون الحاجة للحركة في الفضاء، أي أن السيارة ستنتقل بسرعتها الخارقة داخل هذا الأنبوب، وغير خاضعة للجاذبية الأرضية -

صمت (عماد) بضعة ثواني، في محاولة للسيطرة عن حماسة الزائد، وانبهاره المستمر بعقل استاذة، ثم عاد وأكمل قائلاً:

-أما الجزء الثاني، فهو في حد ذاته، أمر جلل، وتجربة تستحق جائزة نوبل أكثر من مرة، وهو استغلال الطاقة المتولدة عن تكون المادة المضادة، للحصول على الاندفاع بسرعة تصل إلى سرعة الضوء.، العالم كله تعرف على المادة المضادة عندما تم تشغيل مسرع الجسيمات في CERN عام ٢٠٠٩، واعتقد العالم أن انتاج المادة المضادة - Antimatter - لا يتم إلا من خلال هذا المسرع العملاق، لكن هناك طريقة أخرى لإنتاجها، طريقة طبيعية، يراها العالم كل يوم عدة مرات، في ظاهرة البرق، البرق الذي يضيء في السماء ما هو إلا طاقة تكون وفناء المادة المضادة، ومن هذا المنطلق، سنحصل على كمية من ضئيلة من المادة المضادة، نستخدم في محرك إطلاق صغير مشابه لمحركات الصواريخ ومركبات الفضاء، وسيتم إضافة هذا المحرك

تنهد الدكتور (علي) بارتياح، لقد ألمّ (عماد) و(نهى) بالأمر تمام الإلمام، وكل منهما درس المعادلات والتقنيات التي سيعمل عليها لإنجاح التجربة، قال بارتياح:
-أنا مطمئن الآن، وخلال الخمسة وأربعين يوماً القادمة، سأنتهي الإجراءات للحصول على Atomic clock من سويسرا، كما سأنتهي اتفاق مع أحد الشركات التي تنقب عن الثوريوم في الصين -

قالها ثم قام، معلنا انتهاء الاجتماع، شعر (عماد) بغصة مفاجئة، فسيوقف عن رؤية (نهى) لمدة شهر ونصف، لقد اعتاد أن يراها بشكل دائم الآن، بل أصبحا كالصديقين الحقيقيين حتى أنهما يناديان بعضهما باسميهما مجردين، وكل منهما لا يمتلك سيارة خاصة، وبالتالي كانا يذهبان للمركز ويعودان في سيارة المركز الخاصة بنقل العاملين وهو ما جعل بينهما مجالا للحديث الطويل بعيدا عن تفاصيل العمل.
قال (علي) وهو يمد يده لمصافحة (عماد) :

-يمكنكما الانصراف الآن، أما أنا فلدي بعض الأمور لأراجعها مع (طارق).
حياه (عماد) و(نهى)، ثم انصرفا مغادرين المكتب، ثم المبني كله، سارا سوية إلى موقف السيارات حيث تنتظرهما سيارة المركز، الغريب أنهما كانا صامتين، على غير العادة، كل منهما شرد بعض الشيء، كان (عماد) يشعر بضيق وغصة لاضطراره الابتعاد عن (نهى) لمدة شهر ونصف الشهر، وكانت (نهى) هي الأخرى تشعر بنفس الشعور.

(١٣)

جلس (عماد) في إحدى قاعات الكلية المخصصة للامتحانات ، يقوم بدوره اليوم في مراقبة سير اختبار مادة Structure Analysis للفرقة الثالثة من شعبة الهندسة المدنية ، حقيقة الأمر ، لم يكن منشغلاً بمراقبة الطلاب ، إنما كان منشغلاً بهاتفه المحمول.

كان يقوم بمراسلة (نهى) ، خلال حسابهما على موقع (فيس بوك) للتواصل الاجتماعي ، حيث تعودا الأمر منذ توقف العمل في تجربة السفر خلال الزمن ، لانشغال (عماد) و(علي) بمرحلة الامتحانات وتصحيح الأوراق.

يمكنك أن تلمس مدى تطور علاقتهما ، فمن يستيقظ منهما أولاً يسارع بإرسال رسالة للأخر متمنيا له وقت سعيد لهذا اليوم ، أما باقي النهار ، فكل منهما يرسل الآخر حول تفاصيل يومه ، ولا يختلف الحال في المساء ، فلا بد لهما من حديث قصير عبر الرسائل ينتهي دائماً بالتمنيات بالأحلام السعيدة.

في هذا الوقت بالتحديد ، كان (عماد) يشرح لـ(نهى) أسباب شكه في أحد الطلاب ، فهو يشعر أن هذا الطالب يحاول الغش من زملائه ، وعليه علامات الاضطراب واضحة جلية ، وكانت هي تخبره بأن يترك الطالب المسكين ، فلقد درست هذه المادة وتدرّك مدى صعوبتها ، وتسترحمه بشتى الطرق لكي لا يطرد الطالب من الاختبار.

فجأة ، رن الهاتف في يده ، وعلى الشاشة يظهر اسم الدكتور (علي) ، فقال عماد :

-كيف حالك يا دكتور ؟ -

-بخير حال والحمد لله يا (عماد) ، أين أنت الآن ؟-

-أنا في لجنة للاختبار -

-على امتحان أي مادة تراقب؟ -

- Structure Analysis -

-أعانك الله يا (عماد) .، لدي أخبار هامة -

-خيراً إن شاء الله ؟! -

-لقد أتممت الاتفاق مع أحد الشركات السويسرية ،المعنية بتصنيع Atomic clocks

،وقد حجزت موعداً للسفر إلى هناك لإحضار الساعتين بنفسي-

قال (عماد) -هذه أخبار جيدة جداً يا دكتور-

قال (علي) :

-هناك المزيد .، لقد تواصلت مع أحد الزملاء في الصين ،يعمل في معهد شنغهاي

للفيزياء التطبيقية والتكنولوجيا ،وسنحصل بمساعدته على الثوريوم الذي نحتاج إليه

،لكنك ستقوم أنت بالسفر إلى الصين -

-أنا .، الصين ؟! - صاح (عماد) مدهوشاً

-ومن سواك يمكنني الاعتماد عليه في هذا الشأن ؟ سوف يتصل بك (طارق) للتنسيق

معك ،ولاستخراج التأشيرة اللازمة وما إلى ذلك ،لا تقلق ستكون رحلة سريعة ،فيجب

أن نحافظ على برنامجنا الزمني للمشروع -

-لا أدري ماذا أقول -

-لا تقل شيئاً ،سيقوم (طارق) بالاتصال بك هذا المساء -قالها (علي) ثم أنهى

الاتصال.

ظل (عماد) يحدق في هاتفه مصدوماً ،هل سيسافر إلى الصين حقاً؟

(١٤)

كانت (نهى) جالسه بجوار والدتها ، في بيتها في وسط القاهرة ، وبالتحديد في غرفة المعيشة علي الأريكة الكبيرة أمام شاشة التلفزيون ، يتابعون إعادة أحد البرامج الحوارية ، (نهى) هي اكبر أبناء والديها ، والدها هو (مصطفى) ، خريج كلية العلوم ، وتزامن أثناء دراسته مع الدكتور (علي) ، وبعد التخرج ، التحق بالعمل في إحدى شركات البترول ، ليعمل في معامل الشركة ، لكنه احتفظ بعلاقته بالدكتور (علي) ، ولها من الاخوة أخ وحيد ، (محمود) ، يصغرها بثلاث سنوات ، ويدرس في كلية التجارة .

كانت (نهى) بين الحين والآخر تتناول هاتفها المحمول ، وتقوم بإرسال رسالة ما أو تقرأ رسالة ما ، لم يكن حال (نهى) خافيا على أمها ، من ناحية كانت الأم تتمنى أن تصارحها ابنتها بما تمر به من تلقاء نفسها ، فتقدم لها النصح والمشورة ، ومن ناحية أخرى هي متأكدة من حسن تربية (نهى) وأخلاقها .

ها هو ذاك الصوت المميز للرسائل ، وبلهفة تتناول (نهى) هاتفها لتقرأ الرسالة ، هذه المرة خبى لمعان عينيها ، وتصلبت ملامحها في صدمة ، لاحظت ذلك الأم ، فشعرت بالقلق .

- ما بكِ يا (نهى) ؟ - سألتها أمها

كان هناك اضطراب في صوت (نهى) وهي تجيب : - لا شيء يا أمي -

- أنا أمك يا (نهى) ، وأكثر من يعرف مشاعرك ، وأكثر من يحس بكِ ، هناك شيء ما في تلك الرسالة أصابكِ بالقلق ، أليس كذلك ؟ -

صمتت (نهى) ، هي لم تتعود الكذب أبداً ، لكنها كأى فتاة عربية ، تخجل من التعبير عن مشاعرها ، حتى لأقرب الناس إليها ، حتى لأُمها ذاتها ، لا تدري ماذا تفعل ، الشيء

المؤكد أنها لن تبدأ بالكذب الآن.

قالت (نهى) :

-حسنا يا أمي .. سأخبرك بالأمر -

-وأنا كلي آذان صاغية -

صمت (نهى) للحظات ، لحظات قصيرة تستجمع فيها شتات نفسها ، وترتب

أفكارها ، نظرت لأمها بنظرات زائغة وهي تقول :

-أنت تعرفين العمل الذي أقوم به ، في مركز تطوير تكنولوجيا الصناعات حالياً ، وسأشاركك سرّاً ، لقد اختارني الدكتور (علي) ، صديق والدي القديم ، للعمل في المركز خصباً من أجل بحث كبير يقوم به شخصياً ، فأنا ضمن فريق لا يتكون سوى من اثنين ، أنا ، وزميلي بالمركز المهندس (عماد) وتحت إشراف مباشر من الدكتور (علي) ، هو ليس مهندساً ، فهو خريج كلية العلوم ، لكنه يعمل معيداً في كلية الهندسة ، بالإضافة لعمله بالمركز ، ولقد أرسل لي الآن رسالة بخصوص المشروع ، فسياسفر الدكتور (علي) إلى سويسرا كما سيسافر (عماد) إلى الصين وذلك لجلب بعض ما يتطلبه البحث -

نظرت لها الأم طويلاً ، هي على يقين بأن ابنتها تخبرها بالحقيقة المجردة ، لكن هناك شيء ما تخفيه ، دفعت الأم دفعة الحديث قليلاً حين قالت :

-إذن فتلك الرسائل المتتابعة على هاتفك كلها من صديقك (عماد) هذا -

قطبت (نهى) حاجبيها الرفيعين وقالت غاضبة :

-صديقي ؟ .. ما هذا يا أماه ؟! هو زميلي وليس صديقي -

ابتسمت الأم ، ابتسمت بحنان وعذوبة ، فقد نجحت مناورتها ، وبدأت تتيقن

من حقيقة الأمر ، فقالت :

-لم غضبتِ هكذا ؟ أنا لم أقصد شيء ، ربما اختيار غير مناسب للكلمة فقط ، دعي

هذا الغضب وأخبريني عن زميلك (علاء) هذا .. فأنا لا أفهم طبيعة العمل الذي

يجمع بينكما -

هدأت (نهى) وقالت:

-اسمه (عماد) يا أمي ..(عماد) وليس (علاء)-

مرة أخرى رأت الأم شيئاً في هاتين العينين الخضراوين ،فابتسمت نفس الابتسامة
وقالت :

-اعذريني يا حبيبتي ،لم أركز في الاسم ،هيا ،هاتِ ما عندك -
تحول حال (نهى) إلى الحماس وهي تقول:

-حسنأ ،كما أخبرتك هو يعمل معيدا بكلية الهندسة ،وزميلي في المركز ،كان يدرس لي
حين كنت طالبة في الكلية ، لكن لمرات قليلة فقط ،وبعد هذه السنوات ،تفاجئت
به في المركز ،فقد وقع اختيار الدكتور (علي) عليه في البحث الذي يجريه كما قلت
لكِ ،لقد كانت مصادفة غريبة بعض الشيء-
قالت الأم :

-إذن فهو قام بالتدريس لكِ سابقاً ،لقد تصورتك تتحدثين عن شاب لا عن رجل
أشيب-
(نهى):

-من هو ذاك الأشيب ،يا أمي المعيدين هم شباب صغار السن ،في حين الاساتذة أو
الدكاترة هم الأكبر سنأ-
الأم:

-ومن أين لي معرفة تلك الأمور يا ابنتي ؟أنا ربة منزل وفقط ،لكن أخبريني هل
تستطيعين تخمين عمر هذا الشاب ؟لقد تحمست له من كلامك هذا ،يبدو شاب
نابه ومتميز -

قالت (نهى) بحماس كبير :

-جدا يا أمي ،هو ذكي ونابه جداً ،وهو يكبرني بستة أعوام ،أي أنه في الثلاثين من
عمره -

كانت الأم تقوم بمناورة مدروسة مع ابنتها ،هذه المناورة أتت ثمارها بكل

تأكيد ،ساعدها على نجاح تلك المناورة طيبة وفطرية (نهى) ،وتلقائيتها الكبيرة ،لقد تأكدت من الأمر ،(نهى) تكن مشاعر تجاه (عماد) ،عادت لها ابتسامتها وهي تقول: -هل تعرفين يا (نهى) ،لقد بدأت أحب (عماد) هذا ،تماماً كأخيك (محمود) ،كم سأفرح به إذا وصل إلى ما وصل إليه (عماد) هذا ،لطالما تمنيت أن يكون مولدي الأول ولدًا ذكيًا ورائعًا هكذا -

قطبت (نهى) حاجبيها وقالت:

-هكذا إذن ،بعد أربع وعشرين سنة تخبريني أنك تمنيتني ولدًا! -

ضحكت الأم ضحكة صافية ثم قالت:

-يا حبيبتي ،أنتِ قرّة عيني ،وأنت أفضل مما تمنيت ،ويعلم الله أنني راضية عنكِ وعن أخيك ،لكنني قد تقدمت في العمر واحتاج لمن يرعاني أنا ووالدك بعد ما ألم بي ألم المفاصل ،وأتمني أن يرزقك الله بالزوج الصالح الذي يرعاك ويتحمل مسؤوليتك ،فشباب هذه الأيام لتجدي أكثرهم غارق في عدم تحمل المسؤولية -

(نهى) :

-ليس كل الشباب هكذا يا أماه ،هناك دائماً النبت الصالح والنبت الطالح ،سأخبرك

شيئاً ، لو تقابلت مع (عماد) ،سيغير فكرتك عن شباب هذا الجيل -

قالت الأم : -من يدري يا ابنتي .. من يدري -

(١٥)

اجتمعت اسرة (نهى) الصغيرة أمام شاشة التلفاز ،في حجرة المعيشة ،كانوا يشاهدون فيلم أمريكي ،بطولة (توم هانكس) ،كان الأب ،(مصطفى) ،والأم ،و(محمود) مشدودين لأحداث الفيلم ،في حين كانت (نهى) تتابع الفيلم بنصف تركيزها ،فقد كان يعمل عقلها على التفكير في أمر آخر ،التفكير في (عماد) ، صدرت عن تليفونها المحمول تلك النغمة المميزة للرسائل ،فتناولت هاتفها الموجود بجوارها بالفعل ،في حين لم يعر (محمود) الأمر أهمية ،وظل يتابع مشاهدة الفيلم.

غير أن (مصطفى) وزوجته ،تبادلا نظرة سريعة ،ثم ألقيا نظرة أخرى على ابنتهما المنهمكة في التعامل مع هاتفها ،قبل أن يتبادلا نظرة خاصة ،ثم يلتفتا لمتابعة الفيلم ،يبدو أن حديثاً خاصاً قد دار بين الأب والأم بعيداً عن العيون والآذان .
أما (نهى) ، فلم تلاحظ نظرات والديها ،فقد كانت تنتظر تلك الرسالة منذ أخبرها (عماد) بخبر سفره إلى الصين ،كانت رسالة (عماد) تقول:
-كيف حالك يا (نهى) ؟-

أرسلت له (نهى) عبر تطبيق المحادثات قائلة:
-بخير .. أخبرني بما جرى بينك وبين (طارق) -
-عندما اتصل بي هاتفياً ،حددنا موعداً في مقهى قريب من منزلي ،وطلب مني احضار جواز سفري ،وقد كان ،تقابلنا وأعطيته جواز السفر -
-وهل حدد لك موعد السفر والتفاصيل كلها؟ -
-كلا ،لقد أخذ جواز السفر ،وسيقدمه صباحاً إن شاء الله إلى قنصلية الصين ،وبعد

صدور تأشيرة السفر ،سيتم حجز تذاكر الطيران فوراً ،كل ما علمته ،أن الدكتور (علي) قال أن تكون مدة الرحلة ثلاثة أيام فقط -

-وهل تريد البقاء هناك لمدة أطول ؟- سألته (نهى) وهي تشعر بالحنق.

-على الإطلاق ،كل ما في الأمر أنني لا أعرف ماذا سأفعل هناك بالتحديد ،الدكتور

(علي) لم يفصح عن شيء .، بصراحة أشعر بقلق كبير حيال هذه الرحلة -

-إن شاء الله خيراً ،حاول أن تطمئن ،فأنت تعرف الدكتور (علي) جيداً ،فهو يحسب

حساب كل شيء جيداً -

-أأمل هذا ،والآن أخبريني ماذا تفعلين ؟ -

-لاشيء مهم ،أنا والأسرة نتابع فيلم Captain Phillips -

-عجباً ! أنا وأمي نشاهد نفس الفيلم الآن ،أنا اتابع أفلام (توم هانكس) -

-أنت أيضاً .، أنا اتابع أعماله بشغف ،فهو فنان رائع حقاً -

-بالفعل هو كذلك .، حسناً يا (نهى) ،سأتركك لتستمتعين بالفيلم مع اسرتك ،إلى

اللقاء-

-إلى اللقاء !-

أغلق (عماد) هاتفه ،وعاد لمتابعة نفس الفيلم ،والذي تتابعه (نهى) بمصادفة

قدريّة ،توقف الفيلم لدقائق بسبب الإعلانات ،فالتفت له والدته الجالسة بجواره

مباشرة وقالت:

-إذن من المحتمل أن تسافر خلال شهر رمضان -

قال : -لا أدري يا أُمي ،ربما بالفعل يكون السفر خلال رمضان -

سألته : -ألم يحدد لك الدكتور (علي) هذا موعد السفر ؟-

هز رأسه نفيّاً وهو يقول : -لن يمكنني معرفة موعد السفر إلا بعد صدور تأشيرة

السفر -

قالت وهي تشير بيدها نحو هاتفه المحمول : -لقد ظننت أنه يخبرك بالموعد عن

طريق الرسائل على هاتفك-

ابتسم متعجباً ثم قال :

-لكنني لم اكن أراسل الدكتور (علي) -

-ومن هو إذن ؟-

ارتبك (عماد) بعض الشيء ،وظل ينقل نظره بين والدته وبين هاتفه المحمول ،لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال .

قالت الأم : -حسناً ،طالما لا تود إخباري ،فهذا شأنك -

ازداد ارتباك (عماد) ،واضح أن أمه تشعر بما يمر به ،ماذا يقول لها؟ فكر (عماد) في نفسه ،حاول استجماع افكاره وهو يقول مماطلاً :

- ولم أخفي عنك هوية من أراسله ،إن الأمر هين -

لم تنبس الأم ببنت شفه ،وظلت محدقة في عينيه بصمت ،شعر (عماد) بأنها تسبر أغواره ،وتغوص في داخله لتكشف كل شيء.

قال : -إنها زميلتي في العمل ،زميلتي في المركز -

رفعت الأم حاجبيها ،ثم قالت بنبرة متشككة :

-زميلتك ! وكيف حالها يا ترى ؟ -

قطب حاجبيه قائلاً : -ما هو قصدك بالضبط يا أمي؟ -

-أنت تفهم مقصدي يا ولدي -

ثم صمتت للحظات ،قبل أن يعود إلى صوتها حنانه المعهود وهي تقول:

-منذ التحقت بعملك في ذلك المركز ،ألاحظ أنك دائماً ما تمسك هاتفك هذا ،وتقوم بإرسال واستقبال الرسائل ،أنت تعمل في الجامعة منذ سنوات ،ولم تكن تلك عاداتك قبل أن تلتحق بالمركز ،ففهمت أنك تراسل أحد العاملين هناك ،أقصد احدعاملات هناك-

قال بارتباك واضح : -ليس الأمر كما تظنين يا امي ... -

قاطعته بسرعة : -هل تصر ؟-

صمت (عماد) ،أمه تفهمه تماماً ،وتشعر به في كل شيء ،هو بالفعل تحركت

مشاعره تجاه (نهى)، لا يدري أهو الحب الذي لم يختبره من قبل، أم هو مجرد إعجاب فقط ؟ هو ليس خبيراً بتلك الأمور .

كل ما يعرفه أنه يفتقد (نهى) كلما ابتعدت عنه، ومنذ توقف العمل بالتجربة، لظروف امتحانات نهاية العام الدراسي، زاد شعوره بافتقاده إياها في كل يوم، لا بل في حقيقة الأمر، هو يشفق لوجودها بقربه، لا يدري لماذا يشعر بالطمأنينة في وجودها ؟ تغمره راحة نفسية محبة حين يراها ويحادثها، لقد أصبح النظر في عينيها، أشبه بممارسة طقس وشعيرة مقدسة بالنسبة له، يتمني الاستمرار في هذا الطقس على الدوام، صوتها يرن في أذنيه بنغمة تأسره، حتى وكأن في صوتها ناي يشدو بعذوبة، حين تبتسم تلك الابتسامة الخفيفة التي تميزها، يشعر وكأن شمساً دافئة تمده بالضوء والدفء والحنان، -يا إلهي، إنني أحبها- قالها في نفسه.

غاب في هيامه، فأشاحت أمه بناظريها بعيداً عنه، مما جعله يخشي أن يغضبها.

-اسمها (نهى) - قالها عماد بصوت خفيض.

التفت له والدته، وقد لانت ملامحها وسألته :-أأنت معجب بها ؟-

ابتسم (عماد) خجلاً، وهز رأسه موافقاً دون أن ينطق.

سألته والدته : -وهي، هل تبادلك نفس الاعجاب ؟-

قطب (عماد) حاييه، وهز كتفيه قائلاً : -لا أعرف حقيقة مشاعرها -

-وهل أخبرتها أنت بمشاعرك نحوها ؟-

-كلا بالطبع، لا يمكنني هذا، فلم نتعرف ببعض سوى قبل شهرين -

-ادعوا الله أن تكون فتاة جيدة، حتى اطمئن عليك معها-

-أنا واثق أنك ستعجبين بها يا أمي -

-اسمع يا ولدي، طالما اعجبت بالفتاة، وتأكدت أنها هي من تبحث عنها

، فأول ما عليك القيام به، هو مصارحتها ومصارحة أهلها أيضاً، فطالما تتحدثان معاً بهذا الشكل، فلقد خرج الأمر عن حيز الزمالة، ويجب عليك أن تستأذن والدها في الحديث إليها، ثم نحدد موعداً قريباً لزيارتهم بشكل رسمي لطلب يدها وقراءة

الفاتحة على ذلك-

شعر (عماد) بالخجل من نفسه ،فقد جرفته مشاعره بعيداً عن عقلانيته ،أحس بتأنيب الضمير من كلام أمه ،لقد داوم على مراسلة (نهي) لشهر كامل دون أن يفكر في عاقبة ذلك الأمر.

-معك حق يا أمي ،يبدو أنني أخطأت في حقها وفي حق نفسي-

-لا عليك يا ولدي ،لكن أسرع ،فخير البرِ عاجله -

هز رأسه موافقاً ،وفي نفسه ،قرر أن يعجل بمصارحتها بمشاعره ،والحديث مع والدها ،قرر أن يعجل بالأمر ،يُعَجِّل به بشدة.

(١٦)

فتح (مصطفى)، والد (نهي)، باب بيته، ودخل إلى البيت، عائداً من عمله، ترك مفاتيحه علي الطاولة بجوار الباب، كان باب الشقة يفتح على طرقة صغيرة، في منتصف جدارها الأيمن يوجد باب المطبخ، نادى (مصطفى) زوجته، التي هرعت إليه خارجة من المطبخ وهي تسأله بقلق :

-لماذا تأخرت يا (مصطفى) ؟ لقد مر على موعد عودتك المعتاد أكثر من ساعتين -
-سأخبرك، لا تقلقي، لكن أخبريني هل الأولاد في البيت؟ -

-نعم، (محمود) يشاهد التلفاز، و(نهي) في حجراتها -

هز رأسه بتفهم، ثم قال -حسناً، اتبعيني -

دخلا إلى الصالة، فقام (محمود) من مقعده احتراماً لقدم والده، فحياه هذا الأخير بكلمات سريعة ثم توجه مع زوجته إلى حجرتهم الخاصة.

دخلا إلى الغرفة، وأحكم (مصطفى) إغلاق الباب خلفه، قبل أن يذهب ليجلس على طرف الفراش وهو يشير لزوجته بالجلوس جواره، جلست هي الأخرى وقد بدت الحيرة على ملامحها وصوتها حين قالت -

-ماذا هناك؟-

قال : -هل تذكرين الأمر الذي حدثتني حوله بالأمس؟ -

صمتت قليلا وهي تنظر إليه، قبل أن تهز رأسها بالإيجاب وتقول -نعم -

قال :

-لن تصدقي ما حدث، لقد عدت في مواعي ككل يوم، ووجدت في مدخل البناية شاب ينتظرنني مع حارس البناية، لم يكن ذلك الشاب سوى (عماد)، المهندس (عماد)

الذي أخبرتني عنه -

اتسعت عيني المرأة في دهشة، قبل أن تردد - (عماد)؟! -
قال (مصطفى) :

-هو بعينه، في الحقيقة تفاجئت بوجوده، ثم طلب مني الجلوس معه للحديث في أمر هام جداً، فدعوته ليصعد معي إلى هنا، فاعتذر بأدب، وطلب أن نجلس في مكان غير البيت، وبالفعل ذهبنا إلى أحد الكافيتريات القريبة من هنا -
صمت لحظات وكأنه ينتظر تعقيباً ما من زوجته، التي لم تطل فترة انتظاره عندما قالت بترقب :
-هيا، أكمل بالله عليك -

-لقد أخبرني بأنه معجب بابتنا (نهى)، ويريد التقدم لخطبتها بشكل رسمي، وحي لي عن ظروفه وعمله في الجامعة وعمله في نفس المركز الخاص بالدكتور (علي) مع (نهى)، هو ابن وحيد لوالده المتوفى، له اخت واحدة متزوجة ولديها بنتاً، وهو يعيش مع أمه، والشقة حيث يقطن ستكون شقة زواجه، لقد كان واضحاً وصريحاً لدرجة لا تصدق .. هل تتخيلين أنه ظل يعتذر مني مراراً بسبب مراسلته لـ(نهى) على هاتفها دون اخذ اذن مني ؟ لدرجة أنه أخبرني بأنه لا مانع لديه من أن يطلعني على محتوى تلك المحادثات لأتأكد من حسن نيته -

قالت الزوجة -يبدو أن ما قالته عنه (نهى) صحيح تماماً -

هز رأسه موافقاً، ثم أكمل : -لقد طلب مني أن يستمر في مراسلة (نهى)، وطلب أن لا نفتحها في الأمر، فهي لا تملك أدنى فكرة عما دار بيننا، ويريد أن يخبرها هو بمشاعره ليري هل ستوافق عليه كزوج أم لا، فحتى الآن لم يخبرها بشعوره نحوها -
قالت الزوجة متشككة -وهل صدقته في أنه لم يخبرها بمشاعره ؟-

ضحك (مصطفى) ضحكة خفيفة قبل أن يقول -لو كنتِ حاضرة للقائنا، لتيقنت من صدق هذا الشاب، نسيت أن أخبرك، فبعد دخولنا الكافيتريا ببعض الوقت، سمعنا أذان العصر، وقمنا لأداء الصلاة في المسجد، وبعد انتهاء الصلاة جلسنا في

المسجد، وأخبرني بما سبق وقلته لكِ، ولا أظن أن شاب كهذا، يمكنه الكذب أو الغش داخل أحد بيوت الله عز وجل -

كان هناك شيء ما يعتمل بنفس الأم، شيء باطني، تحسه وتشعر به، بل أنها تكاد تدركه، لكنها لا تعرف حقيقته وماهيته . أطرقت قليلاً قبل أن تقول:
-تبدو لي متحمساً تجاه هذا الشاب يا (مصطفى)-

هز رأسه بما معناه أنه يوافق على ما قالتها هي، وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة رضا وغبطة، فقالت:

-حسناً، فلندع الله عز وجل أن تكون حقيقة (عماد) هذا هي ما رأيته منه دون تصنع-

هز (مصطفى) رأسه مجدداً ثم قال :

-إن شاء الله، هو كذلك . لدي احساس بأن هذا الشاب أمامه الكثير في مستقبله-
قالها، دون أن يدري أن (عماد) ينتظره الكثير، في المستقبل القريب..
القريب جداً.

(١٧)

استلقى (عماد) فوق فراشه ،في حجرته الخاصة في منزله وأمه ،لقد تجاوزت الساعة الحادية عشر مساءً ،أما هو فقد أخبر والدته بما دار بينه وبين (مصطفى) بمجرد عودته من اللقاء ،وأخبرها بأن الأخير قد أبدى موافقة مبدئية على طلبه للزواج من (نهى) ،غمرة الأم غبطة وسرور ،وأخذتها قافلة مرتحلة بعيداً عن أوجاع جسدها من جراء المرض ،وأحست بأن الفرحة قد شفى عنها الكثير مما تعانیه ،وقد هرعت لحجرتها الخاصة لتخبر (نرمين) بالأمر عبر الهاتف ،والتي فرحت هي الأخرى فرحاً كبيراً.

بالعودة إلى (عماد) المستلقي فوق فراشه ،كعادته ،يمسك بهاتفه النقال ،مراسلاً (نهى) ،في هذا اليوم تعاضمت بوجوده مشاعر جمّة ،أو ربما هو شعور عجيب تكون خصباً في قلبه ،هو مزيج من النشوة والقلق والفرح والفخر والتردد ،كل هذه المشاعر مجتمعة ،يكاد قلبه يغادر مستقره فرحاً ،ويتربّح رد فعل (نهى) بقلق ،بل يجد الصعوبة الكبيرة في اختيار الكلمات ليصارحها بحبه لها ،حتى عبر الرسائل النصية ،قال في نفسه -كيف كان الأمر سيجري لو كنا وجهاً لوجه؟-

استمر بعض الوقت في الحديث المعتاد عن يومه ،بالطبع لم يشر إلى لقائه بوالدها عصر اليوم ،ثم وجد نفسه يرسلها قائلاً:

-هل من الممكن أن أستشيرك في شأن خاص يا (نهى) ؟ -
أجابته -بالتأكيد-

-أنتِ تعرفين أنني تجاوزت الثلاثين من العمر ،فهل تعتقدين أن هذا السن مناسب للزواج ؟-

لم يصله الرد من (نهى) بالسرعة المعتادة، فشعر بارتباكها لسؤاله، فكر أنه لم يختار الكلمات المناسبة، لكن بعد لحظات اضافية، وصلت رسالة (نهى):
- أنت فقط من يمكنه تحديد الوقت المناسب للزواج، ربما الآن، وربما قبل ذلك أو بعده بقليل، هذا الأمر قسراً عليك وحدك -
علت وجهه ابتسامة خفيفة وهو يرسلها مجدداً:
- دائماً ما أجد فيك من راحة العقل والفتنة، ما يجعلني آخذ برأيك -
لم ينتظر منها رداً، فتابع بسرعة:
- أنا شخصياً أجد هذا السن مناسباً، لن أخفيك سراً، فلقد بدأت التفكير بجدية في الزواج منذ فترة بسيطة، وهناك فتاة كنت قد تعرفت إليها قبل سنوات، وأرى أنها الزوجة المناسبة لي، فهل تعتقدين أنها ستقبل بي زوجاً؟ -
هذه المرة طال انتظاره للرد من (نهى)، في البداية كانت على وجهه ابتسامة كبيرة، كان يشعر بإثارة لطريقته تلك في محاولته البوح لها بإعجابه، لكن مع مرور اللحظات، وتلتها الدقائق، تبدل حاله، وبدء القلق يعصف بعقله وقلبه معاً، فتح هاتفه وفتح المحادثة بينهما، كانت هناك تلك الإشارة التي تعني أن (نهى) رأت رسالته، فلماذا لم تجبه؟
- أمازلتِ معي؟ - سألها (عماد) بقلق.
جاءته منها هذه الرسالة:
- عذراً، فقد شُغِلت بأمر ما. على أية حال مبارك لك الزواج، معذرة سأضطر لإنهاء الحديث .. إلى اللقاء -
صدمته رسالتها، وشعر بارتباك وقلق بالغين، يبدو أنه أفسد الأمر، فكر في نفسه أنه لا يجيد فهم تفكير المرأة بشكل عام، أرسل مرة أخرى:
- انتظري قليلاً فأنا بحاجة لمساعدة كبيرة منك -
ظل ممسكاً بهاتفه، محدقاً به، حتى ظهرت تلك العلامة، بما معناه أنها رأت رسالته، فتنهد بارتياح، وهذه المرة جاءه الرد بالسرعة المعتادة:

-مساعدة مني أنا؟-

-نعم ، ويمكنك اعتبارها رجاءاً شخصياً مني -

-تفضل ، سأحاول إن استطعت -

-بصراحة يا (نهى) ، لا أعرف طريقاً لأخبرها بإعجابي ، رغم أن علاقتنا كصديقين جيدة ، لكنني لا أجد وسيلة لأصارعها الأمر-

تلقت (نهى)* رسالته الأخيرة ، وهي جالسه خلف المكتب الصغير ، في حجرتها بمنزل أبيها ، كانت مشاعرها متضاربة ، يغالبها الحنق والغضب تجاه (عماد) ، كيف يجروء على ما يقول ؟ هكذا فكرت ، تريد أن تخبره بأنها لا شأن لها بالأمر لتنتهي الحديث ، بالفعل هي بحاجة لإنهاء هكذا حوار ، تفرقت عينها بدمعات حانقة ، من جراء نار الحسرة المستعرة ، التي تلتهم أعماقها ، وتنهش قلبها بمخالب من حديد ، فتمزقه قبل أن تحرقه .

مسحت عن وجنتها بكفها الرقيق دمعة فارة ، من قيد جفניה ، ثم أرسلت إلى (عماد):

-أفضل شيء ، المواجهة المباشرة ، اذهب لها وأخبرها .. سأضطر لإنهاء المحادثة الآن ، فوالدي يناديني -

انتهت من الإرسال ، وتركت الهاتف على سطح المكتب ، وإن ظلت محدقة فيه بعض الوقت ، لم يلبس أن صدر عنه صوت استلام رسالة جديدة ، فزفرت بحنق وتمتمت بغضب -ماذا تريد بعد ؟- ثم تناولت الهاتف لتطالع الرسالة ، فوجدت (عماد) يقول :

-حسناً ، كالعادة لديك الرأي السديد ، المشكلة أنه لا يمكنني الذهاب إليها لأخبرها ، فنحن في إجازة من العمل الذي يجمعنا ، ولا نتواصل إلا عبر هذه الطريقة ، عبر الرسائل ، لعلك الآن عرفت من هي الفتاة التي شغلت عقلي منذ التقيتها -
جمدت الدموع في عيني (نهى) ، واعتدلت وقد ملكها الحماس ، وبدء قلبها يخفق بقوة ، حتى خيل لها أنها تسمع دقاته بوضوح ، فأرسلت تسأله :

-ماذا تقصد؟ -

جاءها الرد منه بسرعة عجيبة ،وكأن عماد كان ارسله في نفس اللحظة التي سألته هي فيها :

-هذه الفتاة هي أنتِ يا (نهى) ،لم يكن أحداً سواكِ ،ولن يكون-

ازداد خفقان قلبها بعنف أكبر ،حتى أنها وضعت كفها على صدرها على موضع القلب ،وكأنها تخشى عليه من فرط المشاعر الجياشة أن ينطلق خارجاً من بين ضلوعها،وعادت دموعها تجري باندفاع ، لكنها كانت بالنسبة لها دموع مريحة ،بل وسعيدة ،كانت لا تزال ممسكة الهاتف بيدها الأخرى ،وتحدق فيه ،عندما جاءتها رسالة جديدة:

-أنا معجب بكِ جداً يا (نهى) وأتمنى الزواج منكِ .. فهل تقبلين؟ -

شعرت بدوار يلم بها ، وكأنها ستفقد الوعي ،يكاد قلبها يتوقف ،وبدأت تتنفس بصعوبة بعض الشيء ،يا إلهي ،أهكذا هو الحب ؟ سألت نفسها ،كانت تشعر بحرارة الجو ،لقد غطى جبينها العرق ،هل ارتفعت درجات الحرارة في غرفتها فقط ؟ -أمازلتِ معي يا (نهى) ؟- سألها (عماد)

حانت منها التفاته نحو مرآتها ،فوجدت وجهها ملوناً بالأحمر ، ضغطت بإصبعها الرقيق شاشة الهاتف لترسل قائلة:

-بلى ،أنا هنا ،لا أجد ما أقوله-

-حسننا ،سأستعير كلامك قبل قليل ، أفضل شيء ،المواجهة المباشرة ،وها أنا أفعل وأسأل مباشرة ،هل تقبليني زوجاً لكِ ؟ فقط قولي كلمة واحدة ، نعم أو لا -

لا يمكن وصف مشاعر (نهى) الآن ،يمكنها أن تحلق دونها جناحين ،لقد داست القمر بقدمها ،ولامست النجوم بأناملها ،لقد صار الكون من حولها لطيفاً وعذباً ،حتى انها نست الغضب والحنق منذ دقائق بسبب مناورة عماد الكلامية ،أجابته بكلمة واحدة كما طلب منها :

-نعم-

اهتز جسدها وانتفضت لحظة أرسلت أجابتها إليه ،شعرت بخجل عظيم عندما ظهرت لها العلامة التي تعني أنه رأى رسالتها ،كانت تشعر أن حرارة الجو من حولها ،تنبعث من جسدها ،وكانها هي الشمس بذاتها.

-هل تساعديني كما طلبت منك ؟-

-فيم ؟-

-بأن تخبرين والديك بطلبي خطبتك ،وبإذن الله ،نتمم الأمر بعد عودتي من رحلة الصين-

فجأة تذكرت أمر الرحلة ،بل تذكرت أمر التجربة ككل ،لقد نسيتها تماماً في الأيام الماضية ،لم يشغلها سوى (عماد) ،والحديث المستمر بينهما ،فقالت له عبر الرسائل:-
-سأخبر والدي وهي ستقوم باللازم ،لقد سبق وتحدثنا بشأنك -

-أنا أيضاً أخبرت والدي عنك وعن رغبتني في الزواج بك ،ولا يمكنك تصور مدي فرحها بك قبل حتى أن تراك-

-أنا أيضاً أتوق لرؤيتها ،لكن متي موعد رحلة الصين ؟-

-لم تتحدد بعد ،لكنها اقتربت ،فقط أخبرني والدتك وأعطيني رقم والدك الخاص لأحدثه -

لم تكن لديها أدنى فكرة عن أنه يمتلك الرقم بالفعل ،وهي تمليه عليه بسرعة ، فقال لها :

-شيء أخير أود أن أقوله قبل أن ننهي المحادثة -

-خيراً-

-أُحِبُّكَ-

(١٨)

في اليوم التالي، قبيل الظهر بقليل، اتصل (طارق) بعماد ليخبره بصدور تأشيرة السفر إلى الصين، وأنه قام بالحجز على الطائرة المغادرة بعد خمسة أيام بالتحديد. على الفور، أخبر (عماد) والدته بالأمر، ثم أخبر (نهى)، كان يشعر بالحماس والقلق في آن واحد، متحمس هو لمجرد السفر إلى الصين، ذلك البلد التي غزت العالم كله اقتصادياً، متحمس هو للحصول على الثوريوم اللازم للتجربة، ومتحمس أكثر لأنه بعد عودته، ستتم خطبته بالفتاة التي يحب، (نهى).

لم يشعر (عماد) في حياته كلها بسرعة مرور الأيام، كما شعر بمرور هذه الأيام الخمسة، قبل سفره، بل أنها بالكاد كَفَّتْه، فقد كان عليه التنسيق وترتيب حفل الخطوبة، وتم الاتفاق بينه وبين (نهى)، على حفل بسيط للغاية، في نادي نقابة المهندسين بمدينة السادس من أكتوبر، في حضور الأهل والأصدقاء المقربين فقط. وبعدها بيوم كان قد تحدث مع (مصطفى)، وأخبره بموعد الرحلة، واتفقا على أن يزورهم عماد وأسرته، لقراءة الفاتحة بينهما، ولتعارف الاسرتين، وهو ما كان. قام بشراء الشبكة، بعد بحث ليس بالقصير بين محال الذهب، وهنا كان جلياً قدرة كل من والدته وحماته على الفصال في البيع والشراء، ذلك الأمر الذي لا يجيده إطلاقاً، أنهى ترتيبات الخطبة وبدأ يستعد للرحلة.

كانت الرحلة كلها، تستغرق أربعة أيام فقط، لقد رتب الدكتور (علي) كل شيء بدقة، لقد تواصل مع أحد العلماء في معهد شنغهاي للفيزياء التطبيقية والتكنولوجيا، وطلب منه شراء كمية من الثوريوم لتجارب خاصة بمحركات السيارات، وأنهى الاتفاق، ولضمان السرعة، قرر أن يكون الاستلام هناك، في الصين، لذا سيسافر عماد

،بدلاً من اجراءات الشحن التقليدية ،وهكذا أخبر علي تفاصيل الرحلة إلى (عماد) ،وقد سر الدكتور (علي) بشدة ،لما تلقى من عماد خبر خطبته على (نهى) ،وهنأهما بذلك.

اتفق (عماد) مع أخته (نرمين) ،وزوجها (وليد) ،على أن يقيما وابنتهما مع والدته ،مدة الأربعة أيام ،وحتى عودته من الصين ،قام بشراء حاجيات البيت ومؤنه التي تكفي طوال فترة غيابه ،حتى أن قام بشراء ما يزيد عن الاحتياج لمثل هذه الفترة الوجيزة ،لكن كان غرضه ألا تحتاج والدته لشيء مهما كان بسيطاً ،وهو مسافر.

في صبيحة يوم السفر ،توجه (عماد) إلى المطار برفقة الدكتور (علي) فقط ،كان اليوم هو الثلاثاء ،وستقلع طائرته في الواحدة ظهراً ،أصر (عماد) على ألا يرافقه أي من أفراد الأسرة إلى المطار ،بما فيهم (نهى) ،وودع أهله في البيت ثم غادر ،وصلا إلى المطار ،وقبل أن يفترقا عند إدارة الجوازات ،حيث غير مسموح لغير المسافرين بالمرور ،وقف (علي) يودع (عماد) ويعطيه التعليمات الأخيرة :

-حاول أن تكون مقلا في الكلام مع الدكتور (تاو) ،فقط تعطيه الشيك بالمبلغ المتفق عليه وتتسلم الشحنة ،وقد أنهى هو كما أخبرتك حفظها بشكل آمن ،وما عليك سوى شحنها في طريق عودتك مع الأصناف القابلة الكسر - (عماد):

-لا تقلق يا دكتور ،لقد حفظت تعليماتك عن ظهر قلب -

ابتسم (علي) وقال :

-لا داعى أيضا لمخالطة الصينيين ،فلا تدري ما يريدوه منك حقاً -

ضحك (عماد) وقال :

-أي مخالطة يا دكتور ،الرحلة كلها سأقضيها متنقلا بين الطائرات-

ضحك الدكتور (علي) لدعابته ،فقد كانت الرحلة شاقة بالفعل ،ولن يقضي

(عماد) في شنغهاي أكثر من ليلة الأربعاء ،و يوم الخميس ،وستكون بداية عودته مع الساعات الأولى من يوم الجمعة .

قال (عماد) -حظاً موفقاً لك أيضاً يا دكتور في رحلتك السريعة إلى سويسرا-
-أشكرك-

تعانقا وودع كل منهما الآخر، ثم دخل (عماد) إلى منطقة الجوازات، لاستصدار بطاقة صعود الطائرة، وشحن الحقيبة الوحيدة الصغيرة التي يحملها. تابعه علي بنظره، إلى أن أنهى الإجراءات، ثم ذاب وسط الزحام، استدار ليغادر المطار، لينل قسطاً من الراحة، ويعود مرة أخرى في المساء، فقد كانت رحلته إلى سويسرا في نفس الليلة.

(١٩)

الرحلة إلى شنغهاي ليست باليسيرة على الاطلاق ،فمدة الرحلة التي تجاوزت اثنين وعشرين ساعة كاملة ،ليس من اليسير احتمالها ،فلقد بدأت الرحلة بالذهاب إلى الدوحة ،عاصمة قطر ،في رحلة جوية دامت لأكثر بقليل من الساعات الثلاث ،مدة التوقف في مطار الدوحة الدولي تجاوزت الثماني ساعات ،قبل أن تبدأ الرحلة إلى مطار (PVG) بشنغهاي ،والتي دامت لقرابة التسع ساعات من الطيران بلا هوادة.

شنغهاي هي واحدة من البلديات المركزية الأربعة في الصين ،البلديات الأربعة المركزية هي بكين ،تيانجين ،تشونج تشينج ،وشنغهاي،وتعتبر هذه الأخيرة هي العاصمة الاقتصادية للصين ،وواحدة من المدن التجارية العالمية ذات الصيت ،موقعها المميز عند مصب نهر اليانجتسي ،في ساحل البر الصيني ،منحها مرفأً تجاري كبير ،وأصبحت قطباً من أقطاب المدن الصناعية ،ليس في الصين وحسب ،بل علي مستوى العالم أجمع ،وهي من المدن شديدة الازدحام أيضاً ،فمساحتها البالغة ٨٢,٠٠٠ كلم٢ تكتظ بنحو ٣٢ مليون نسمة.

شنغهاي في ذاتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام ،المدينة الأجنبية ،وهي الموجودة شمالاً ،حيث تتواجد البنوك والشركات العالمية الكبرى ،والمباني الإدارية المختلفة ،وتشتهر بوجود ناطحات السحاب بكثرة ،هي سكنى غالبية الأجانب المقيمين بشنغهاي ،والمدينة إجمالاً ذات طابع أوروبي واضح ،وهي مستقر رأس المال ،الصينيون الموجودون بها ،يتجمعون في منطقة تعرف بالحي الصيني.

القسم الثاني من شنغهاي ،هو المدينة الصينية ،أو المدينة القديمة ،وهي التي لا

زالت محتفظة بطابعها الصيني وأسلوب الحياة الصينية، وبيوتها صغيرة وغير شاهقة، ولا تناطح السحاب بعكس المدينة الأجنبية، وهي تقع في جنوب تلك الأخيرة، وهي أقل ثراءً بكثير.

القسم الأخير، الضواحي، وهي المخططات الجديدة التي تعتبر الامتداد العمراني للهروب من التكدس بالسكان، والازدحام المتنامي، وقد شرعت الحكومات الصينية المتعاقبة، منذ منتصف القرن الماضي، وحتى الآن، في بناء وتطوير تلك الضواحي، لتكون مسكناً مريحاً، وبيئة عمل مناسبة لكل المجالات.

وصل (عماد) أخيراً للمدينة العملاقة، وهو بالكاد يقوى على الاحتفاظ بعقله متيقظاً، والاحتفاظ بعينه مفتوحان، فلقد بلغ به التعب مبلغه، فهو لم يذق طعم النوم ليلة أمس، تلك الليلة التي اضطر لقضائها في مطار الدوحة الدولي، منتظراً موعد قيام الرحلة للصين، كانت الرحلات الطويلة تصيبه بالأرق، فقرّر تمضية وقت الانتظار بين التجول داخل منطقة الأسواق الحرة بداخل المطار، وبين قراءة بعض المجلات والكتيبات وهو يحتسي أقذاح القهوة.

الساعات التسع للرحلة من الدوحة إلى شنغهاي، كانت كفيhle بتحويل دماغ (عماد) إلى آلة طنانة، لا تتوقف عن الطنين، وبات نظره مشتتاً، وذهنه غير صافٍ، وإحساسه بما يحيط به بدا أقل من الطبيعي، كل أعراض قلة النوم تجمعت معاً، لتهاجم البقية الباقية من يقظته وبضراوة.

أنهى إجراءات الدخول للأراضي الصينية، ثم ذهب خارجاً من المطار، دافعاً أمامه حقيبة الوحيدة، وهو يكاد يسقط من التعب والإرهاق، كان من المفترض، حسب ترتيبات الرحلة، أن ينتظره أحدهم بالمطار، لكنه لا يعرف شكل أو اسم منتظره، يتذكر حين أخبره الدكتور (علي) بأنه أرسل صورته الشخصية إلى الدكتور (تاو)، وبالتالي فإن من ينتظره بالمطار هو من سيتعرفه، سار عدة خطوات قبل أن يلمح بعينين نصف مغمضتين، شخصاً قادمًا باتجاهه مباشرة، وفي يد هذا الرجل لافتة صغيرة بيضاء، كُتِبَ عليها اسمه هو باللغة الانجليزية.

تقدم إليه الرجل باسمًا، ثم رحب به باللغة الانجليزية، لكن بلكنة سكان دول البلاد الآسيوية، بالكاد فهمه (عماد)، خصاً مع تلك الطريقة التي ينطق بها الرجل حرف الـ F، فهو ينطقه P، في الأخير فهم منه (عماد) أنه سيقله إلى مقر إقامته في أحد الفنادق، وسيعود للقائه في منتصف نهار الغد مع الدكتور (تاو)، كان هذا الرجل يدعى (سون كي).

شعر (عماد) بقليل من الراحة، بعد لقائه (سون كي)، رافق هذا الأخير خروجاً من المطار، وحتى منطقة مواقف السيارات الخاصة، وهناك، كانت سيارة من نوع مرسيدس بانتظارهما، مع السائق الخاص، والذي ما إن رآهما، حتى أسرع بأخذ الحقيبة من (عماد)، ثم تركها عند صندوق السيارة، قبل أن يفتح بابها الخلفي للراكبين، ويعود ليضع الحقيبة بصندوق السيارة، ويصعد خلف مقودها، وينطلق بها بنعومة.

برغم كل ما أُلِّمَ بـ(عماد)، من جراء الرحلة الطويلة، إلا أن ما رآه في مسيرته من المطار ووصولاً إلى الفندق، جذب انتباهه بشكل أو بآخر، فلقد لفتت المبان الشاهقة، البالغة في ارتفاعها مئات الامتار، لفتت نظره نحوها، بارتفاعها الكبير، وواجهاتها المعدنية والزجاجية اللامعة، كما ملح عدد من المبان التي تحمل شعارات تجارية عالمية، كانت تلك المقرات الدولية للشركات، تبدو وكأنها تتنافس فيما بينها، ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب، بل أيضاً تتنافس في روعة مبانيها وشكلها المعماري الخلاب، بدأ (عماد) يُسَرُّ بما يرى، وتصور أنه يسير في ضاحية أوروبية، أو جادة أمريكية .

وصل أخيراً للفندق، حيث سينال قسطاً من النوم، هو بحاجة ملحة إلى النوم، كان كل شيء معد مسبقاً، وانتهت إجراءات دخول الفندق بسرعة، وودعه (سون كي)، إلى لقاء الغد، وصعد (عماد) إلى غرفته، لينهل من نهر النوم الممتع.

(٢٠)

استيقظ (عماد)، بعد نوم عميق، لمدة قاربت الساعات الست، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً بتوقيت شنغهاي، فتح عينيه ليجد نفسه وسط ظلام الغرفة، مد يده ليضيء المصباح القابع بجوار الفراش، شعر (عماد) أنه يري غرفته للمرة الأولى.

عندما وصل إلى الفندق، في ظهيرة هذا اليوم، كان التعب والإرهاق وقلة النوم، أوصلوه لدرجة من عدم التركيز، فلم يعبأ بتأمل الغرفة عند دخوله إليها، بل أخرج ملابس النوم، وارتداها ثم ألقى بجسده المنهك فوق الفراش ليغرق في بحر النوم. اعتدل جالساً، وجال بنظره في الغرفة، على ضوء المصباح الخافت قليلاً، كانت نظيفة ومرتبّة، عند بابها يقع الحمام الخاص بالغرفة، وإلى يمينه خزانة الملابس، وفي مواجهته شاشة تلفاز مطفئة، كانت علي يساره ثلاجة صغيرة، نظر نحوها ثم قام من فراشه، وفتح الثلاجة الصغيرة، وجد بداخلها طبقاً ممتلئاً بفواكه متنوعة، وقارورة مياه وأخرى للحليب، مد يده وتناول قارورة المياه من داخل الثلاجة قبل أن يغلق بابها الصغير، ويجلس مرة أخرى على حافة الفراش، فتح القارورة وهم بتناول جرعة منها وهو يقول -اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وثبت الأجر إن شاء الله .. بسم الله الرحمن الرحيم-، ثم شرب حتى ارتوى.

كان (عماد)، على عادته القديمة، لاشيء يثنيه عن اتمام صيام شهر رمضان، فلم يسبق له أن استعمل رخصة الافطار على السفر أو للمرض، مهما طال سفره أو اشتد به المرض، كان يجد في الصوم راحة رغم كل شيء..

أغلق قارورة المياه، وتركها على المنضدة الصغيرة بجوار الفراش، ثم فتح الثلاجة

من جديد ،وتناول ثمرة موز ،وشرع بتقشيرها وأكلها وهو يقول وكأنه يخاطب ثمرة الموز -أنا احتاج للسكر والنشا الموجودين بك -

تناول الموزة باستمتاع ،قبل أن يفتح حقيبته الصغيرة ويخرج منها المنشفة ،وملابس نظيفة ،ثم دخل إلى الحمام ،ليغسل عن جسده وعقله معاً ،عناء الرحلة الشاقة.

خرج بعد أن استمتع بحمام دافئ ،وارتدى ملابسه ،وهو يتذكر ما قاله له (سون كي) ،فلقد أجاب (سون كي) على سؤال (عماد) حول وجود مطاعم قريبة من هذا الفندق بقوله -لا تقلق أبداً يا صديقي المصري ،أنت تسكن في برج لؤلؤة الشرق ،والمطاعم في هذا البناء تحتل الطوابق من الثاني وحتى الخامس عشر -

خرج (عماد) من غرفته ،وتتبع اللافتات الارشادية المضيئة ليصل إلى المصعد ،وبالفعل وصل بسهولة وركب في المصعد ليصعد إلى الدور العاشر ،لقد اختار الدور العاشر بطريقة عشوائية وبلا تخطيط مسبق ،تذكر الآن لحظة وصوله للبنية الكبيرة ظهيرة هذا اليوم ،فبناء مثل برج لؤلؤة الشرق هذا ،قادراً على جذب انتباهه مهما كان متعباً أو مرهقاً ،فالبرج ،أو بالأحرى ناطحة السحاب ،البالغة ٤٦٨ متراً ارتفاعاً ،تتكون من كرة كبيرة ،بقطر ٥٠ متراً ،وترتفع هذه الكرة عن الأرض مسافة تقدر بحوالى ٥٠ متر ،محمولة على اعمدة اسطوانية الشكل وكأنها جذور ضاربة في الأرض ،ثم هنالك كرة اخرى ترتفع لأكثر من مائتي متر عن الأرض ،وبقطر ٤٥ متراً ،وترتبط الكرتان بثلاثة أعمدة اسطوانية بأقطار ٩ متر لكل منها.

وصل المصعد إلى محطته ،وخرج منه (عماد) ،بحث سريعاً بنظره عن اللوحة الدليلية للدور ،وبالفعل وجدها بالقرب من السلام المتحركة ،توقف أمام اللوحة ،التي تحوي مخطط تفصيلي لهذا الدور ،وفي حواشيها ،تفاصيل لما هو كائن في باقي الأدوار ،استمر في قراءة اسماء المطاعم ،حتى وجد مطعماً شهيراً جداً للوجبات السريعة ،فقرر التوجه إليه ،سلك المسار كما في اللوحة ،ووصل إلى غايته بسهولة ،وطلب وجبته ثم جلس ينتظر الانتهاء من اعدادها.

أخرج هاتفه المحمول، ليتصل بوالدته، وحمد الله لأن الدكتور (علي) أصر على تفعيل خاصية الاتصال من خارج مصر، قبل السفر، في حين كان هو متردد في الأمر، وكان يفضل الاتصال عبر أحد التطبيقات المختلف، التي تتيح الاتصال عبر شبكة الانترنت.

تحدث (عماد)، عبر هاتفه، مع امه وأخته (نرمين)، وزوجها (وليد)، واصفاً لهم رحلة من القاهرة إلى شنغهاي، مروراً بالدوحة، ثم وصوله للفندق الرائع في لؤلؤة الشرق، وتبادلوا الدعابات التي دارت كلها حول الاحتراس مما يقدمه له الصينيون، فلقد برعوا في تقليد المنتجات لتحكي المنتجات الأصلية، لكن بدرجات جودة أقل.

بعدما اطمئن على أسرته، اتصل بـ(نهى)، وتحدث إليها وإلي أسرته، وأخبرها بتفاصيل رحلته، وبأن رحلة العودة التي ستبدأ في منتصف الليلة القادمة، لن تقل في مشقتها عن رحلة القدوم بساعاتها العشرين، وبخصوص شحنة الثور يوم، فسيتسلمها في ظهر الغد حسب الترتيب المعد مسبقاً، كان يرغب في أن يطول حديثه مع (نهى)، لكن تلك الأخيرة اضطرت لإنهاء المكالمة بعد وقت قصير، وداعبته بأنه نسي مسألة فرق التوقيت بين القاهرة وشنغهاي، والذي يبلغ ست ساعات كاملة، فالساعة عندها الخامسة والنصف، في حين أن الوقت في شنغهاي هو الحادية عشر والنصف مساءً، لذا، فعليها مساعدة والدتها في تحضير طعام الافطار.

انهى (عماد) المكالمة، ثم التفت نحو عمال المطعم، ليجد المسئول عن تسليم الطلبات للزبائن، ينادى على رقم الطلب الخاص به، فقام من مكانه ليستلم طعامه، ثم عاد حيث كان، ليسد جوعه ويستعيد حيويته ونشاطه كاملين.

(٢١)

فرغ (عماد) من تناول الطعام، ثم اتجه إلى محل لبيع القهوة، أخذ فنجاناً من القهوة ثم جلس بالقرب من الواجهة الزجاجية، يتأمل المنظر الخارجي، وأضواء شنغهاي المبهرة، الممتدة أمامه.

بدأ يتطلع في وجوه الناس من حوله، ربما لو قام بالتقاط صورة للجالسين أو المارين من حوله، وعرضها على زملائه عند عودته، ما ظنوا أبداً أنه كان في الصين، فحوله، وجد وجوهاً أوروبية وأمريكية وعربية، من يتصور أن يجتمع كل هؤلاء، من مختلف الجنسيات في مكان واحد، ولكل منهم غرضاً مختلف يسبب تواجده في هذه البلاد، يبدو أننا في مصر، لا نعرف حقيقة ما وصل إليه الصينيين.

كان من طبيعي جداً، أن يطلق على المدينة اسم المدينة الأجنبية، بالفعل عدد الجنسيات كبير ومتنوع بشكل ملفت، حتى أننا لن نبالغ إذا قلنا أن الوجوه الصينية المميزة، نسبة حضورها قليل في هذا المكان .

استمر (عماد) في مراقبة المحيطين به، حتى تناهى لمسامعه صوت قهقهة، فالتفت نحو الصوت بتلقائية، فوقع نظره على شابين، يسيرا متجاورين، كل منهما يحمل مشروباً في يمينه، ويتحدثا بهرح، وبلغة عربية، وبالتحديد لهجة عامية مصرية، كانا شابين مصريين، جلسا على مقربة من (عماد)، الذي شعر بحماس لرؤيتهما، وفكر أن يذهب ويتعرف إليهما، ويجلس معهما بعض الوقت، لكنه سريعا ما طرح الفكرة جانباً وهو يشعر بسخافتها.

تعجب من الشعور في أعماقه، لماذا دب الفرح في قلبه عندما رأى بني وطنه ؟ لماذا يريد الانضمام لهما وسؤالهما عن أحوالهما ؟ وعن ما يفعلان في هذه البلاد ؟ فهو يتذكر كلام العديد من زملائه القدامى، اللذين يعملون في الدول العربية

،كلامهم حول مدى الفرحة بالتعرف بالمصريين في بلاد الغربه ،هم يقولون ذلك برغم إقامتهم في دول عربيه شقيقه ،تحدث نفس اللغة العربيه ،وهناك شيء من التقارب بين العادات في هذه الدول وبين عادات المصريين ،فما بالك بمن هو في بلاد غير عربيه ،لا تجد فيها تقارب الاصل ولا اللغة ولا العادات ،ورغم كل هذا ،فتجد هناك من يشكو من زملائه المصريين في الغربه ،وبأنه يجب ألا تأمن جانب زميلك الذي تعرفت إليه خارج مصر ،فهذه الفئة موجوده بالفعل ،فئة المتملقين والوصوليين ،الذين يستغلون أخطاء غيرهم في تحقيق المكاسب لدى رؤسائهم ،ربما كان ذلك بالباطل أيضاً ،لكن من قال بأن تلك الفئة المأفونه حكراً على المصريين في الخارج ،هذه الفئة موجوده في كل زمان وكل مكان ،وفي كل جنسيه وكل دين ،الأمر أننا كمصريين نبدع في إبراز عيوبنا ،ربما للسخرية منها ،فنحن الشعب الأبرع في السخرية من آلامه وعيوبه ،وربما كان نوعاً من جلد الذات.

أنهى قهوته ،وهو لا يزال يراقب الشابين المصريين ،وبداخله ذلك الشعور بالفضول نحوهما ،لكنه ترك فكرة التعرف بهما لتظل مجرد فكرة ،ولم يضعها موضع التنفيذ. تناول هاتفه ،وقام بالاتصال بـ(طارق) ،طمأنه بأن الأمور على ما يرام ،وتسير حسب ما تم الاتفاق عليه ،وبأنه سيتسلم الشحنة ظهيرة الغد ،وبادله (طارق) بأخبار الدكتور (علي) في سويسرا ،وبأن هذا الأخير أيضاً أتم مهمته بنجاح ،وتسلم الساعات الذرية المطلوبه.

(٢٢)

في تمام الواحد من ظهر يوم الخميس ،بتوقيت شنغهاي ، دق هاتف حجرة الفندق ،وعندما أجاب (عماد) الاتصال ،أخبره موظف الاستقبال أن هناك من ينتظره في بهو الفندق ،تماماً كما هو محدد من قبل.

هبط (عماد) ،الذي كان مستعداً للمقابلة ومنتظراً لها بالفعل ،هبط ليقابل ضيفه ،وما إن وصل للبهو الفسيح ،في مدخل الفندق ،حتى وقعت عيناه على (سون كي) ،لقد باتت هناك ألفة لرؤية (سون كي) ،كان جالساً بجوار رجل آخر ،تخطى الخمسين من عمره ،أشيب الشعر ،وقد أصابه صلع ملحوظ.

رأى (سون كي) عماد مقبلاً ،فقام هو والرجل الأشيب لاستقبال عماد ،تصافحوا جميعاً بسرعة وجلسوا ،فقال (سون كي) :

-مرحباً بصديقي المصري ،أود أن أعرفك إلى الدكتور (تاو)-

قالها وهو يشير للرجل الأشيب ،الذي أوماً برأسه وهو ينظر إلى (عماد) وقال:
-لقد سررت بلقائك يا سيد (عماد) -

ابستم له (عماد) ، ليس فقط ليجامله ، ولكن لأن اللغة الانجليزية التي يتحدث

بها أفضل كثيراً من دون تلك اللكنة التي يتحدث بها (سون كي)،

-أنا الأسعد يا دكتور (تاو) ،لقد كنت متشوقاً للقاء أحد العلماء ذوي السمعة مثلك ،فلقد أخبرني الدكتور (علي) الكثير عنك-

ضحك (تاو) ضحكة خفيفة ثم قال:

-الدكتور (علي) صديق قديم ،لقد تمنيت لقائه معك بعد سنوات طوال من عدم اللقاء ،لكنه أخبرني بعدم قدرته على المجيء معك -

-بالفعل يا دكتور (تاو) ،الدكتور (علي) مشغول جداً ،ولم يكن ليترك أعماله هذه الأيام ،ربما يمكنه لقائك قريباً -
هز (تاو) رأسه متفههما ،وقال:

-أنا أعرف حجم العمل الذي يشغل الدكتور (علي) ،فتطوير محركات السيارات لتعمل بوقود الثوريوم ليس بالعمل اليسير .، لن أخفيك سراً ،لم أكن أتصور أنكم تبحثون في هذا الأمر في مصر -

كان (عماد) يدرك أن ذلك هو ما أخبر به الدكتور (علي) ،وبالطبع أمر تجربة السفر خلال الزمن سر لا يمكن كشفه ،فقال:

-أنت تعلم أن الدكتور (علي) شريك في مركز بحثي خاص ،وهذا المركز يبحث أمور عدة متعلقة بالصناعة -

-هنيئاً لكم أيها المصريون ،فأنتم على الطريق الصحيح -

شعر (عماد) بالحنق ،فلو علم (تاو) الحقيقة لما قال عبارته الأخيرة ،فالمركز لا يعمل على تطوير صناعي عملاق كما قال ،بل يعمل في الحقيقة لخدمة مصانع (أحمد النجار) و(علي مصطفى) ،حتى التجربة المجنونة للسفر خلال الزمن هي من بنات أفكار الدكتور (علي) الخاصة.

قطع (تاو) على (عماد) استرسال أفكاره ،حين قال:

-لقد تعرفت يا سيد (عماد) إلى (سون كي) بالطبع ،لكن لعلك لم تعرف أنه زميل لك أيضاً ،فهو مدرس مساعد للفيزياء في معهد العلوم -

هز (عماد) رأسه وقال مخاطباً (سون كي):

-إذن فنحن زملاء نفس المهنة والتخصص -

-نحن كذلك يا صديقي المصري ،لكنني لم احصل على درجة الماجستير مثلك بعد -

-آمل أن تنالها قريباً -

-شكراً لك -

-دعونا نقوم بالعمل ،فالوقت ضيق كما تعلمنا -قالها (تاو) ،فقد كان اللقاء خلال

ساعة الراحة التي ينالها في منتصف النهار ،وبسرعة ،تناول (سون كي) حقيبة أوراق جلدية ،سوداء اللون ،كانت بجوار المقعد ،ولم يلاحظها (عماد) عند قدومه ،لكنه انتبه لها وإلى حقيبة معدنية صغيرة ،مستطيلة الشكل ،أصغر بقليل من حقيبة الأوراق طولاً وعرضاً ،لكنها أكبر في السمك من حقيبة الأوراق التي فتحها (سون كي) ،واخرج ملفاً صغيراً وتركه على الطاولة التي تتوسط المكان بينهم ،ووضع قلماً بجوار الملف قبل أن يترك الحقيبة مرة أخرى بجوار المقعد .

أشار (تاو) إلى الأوراق وقال:

-هذه هي أوراق الشحنة ،باسم مركزكم للبحوث ،DMPT ،وبالطبع باسم أحد شركات التعدين التي تنقب عن الثوريوم في البلاد ،هذه العقود لضمان الحقوق - تناول (عماد) الملف ،وفتحه قائلاً:

-اسمح لي بالإطلاع عليها يا دكتور (تاو) -

أشار له (تاو) بيده ،شرع (عماد) في قراءة محتويات الملف ،الذي لم يحتوي سوى على عقد البيع ،أوراق بمواصفات وطبيعة العينة ،وبها حجمها ووزنها ونسبة الاشعاع وكل شيء ،كانت الأوراق ممهورة بتوقيع البائع بالفعل ، ومتبقي توقيع مندوب DMPT ،ليصبح الأمر رسمياً.

تناول (عماد) القلم ،وخط توقيعه في المكان المخصص لذلك ،كان يشعر بالحماس

،لقد أتم جزءاً مهماً ومرحلة من مراحل التجربة ،قال (تاو):

-مبروك ،لقد أصبح الأمر رسمياً -

-لكن أين العينة ؟ - سأل (عماد)

أشار (تاو) بيده إلى (سون كي) ،فتناول هذا الأخير الحقيبة المعدنية الموجودة بجوار المقعد منذ البداية ،ووضعها على الطاولة جهة (عماد) ،وهو يقول: -مرحباً بكم أيها المصريون في تكنولوجيا المستقبل -

تناول (عماد) الحقيبة ،وفتحها بحرص وبطيء ،كان كمن يفتح قبلة موقوتة ،سرت في أطرافه ارتعاشة باردة عندما وقعت عينيه على محتوى الحقيبة ،لقد كانت

قطعة من الثوريوم الخام، ذات لون مائل للأبيض، تتوسط الحقيبة تماماً وداخل تجويف خاص لها، كانت العينة مستطيلة في سطحها، كانت أشبه بقلب من قوالب الطوب المستخدم في كسوة الواجهات، وسمك لا يتجاوز السنتيمترات الأربعة، تناول عماد العينة بحرص، وقلبها بين يديه، وشعر ببرودتها، قبل أن يعيدها موضعها ويغلق الحقيبة.

نظر (تاو) إلى ساعته، ثم قام واقفاً، وتبعه (سون كي) في الوقف، ومد (تاو) يده نحو (عماد) مصافحاً وهو يقول :
-الآن انتهت مهمتي، واسمح لي بالعودة إلى عملي، فوقت الراحة يوشك على الانتهاء

-
صافحه (عماد) بحرارة، ثم صافح (سون كي) أيضاً وهو يقول:
-كنت أتمنى أن نقضي وقتاً أطول معاً، لكنني أعلم أعبائك يا دكتور (تاو) -
رافقهما (عماد) حتى بوابة الفندق، وأثناء سيرهم سأل (سون كي) :
-ألا توجد بالقرب من هنا مراكز تسوق جيدة يا (سون كي) ؟ -
ابتسم (سون كي) وقال:
-بل يوجد الكثير منها-
تابع (تاو): -أنت في حي بودونج، وبالقرب من برج لؤلؤة الشرق ستجد كل ما تحتاجه وأكثر-

قالها (تاو)، وهو يشير بيده نحو خارج الفندق، ثم قال -يمكنك التجول على قدميك، وستجد كل ما تريد بالجوار عند جسر المشاة -
وصلوا إلى مدخل الفندق فقال (سون كي):
-سأمر عليك في تمام التاسعة والنصف لأوصلك للمطار أيها المصري -
حياهما (عماد)، وعاد إلى داخل الفندق ببطيء، ثم ألقى نظره على حقيبة الثوريوم في يده، ثم توجه نحو موظف الاستقبال وسأله:
-هل جسر المشاة ذلك قريب من هنا ؟-

ابتسم الموظف وقال -بالطبع يا سيدي ،إنه يقع في جياتسوي ،لن تستغرق أكثر
من دقائق للوصول إليه يا سيدي ،وستستمتع كثيراً هناك -
هز (عماد) رأسه متفهماً ،ثم استدار ليصعد إلى غرفته ،فكر في نفسه ،أن يصعد
إلى غرفته ليترك العينة هناك ،ثم يعاود النزول ليذهب إلى جسر جياتسوي للمشاة .

(٢٣)

خرج (عماد) من الفندق ،في برج لؤلؤة الشرق الرائع ،بعدهما أدى صلاة العصر ،وسار متجهاً نحو جسر المشاة ،متبعا الوصف الدقيق الذي لقنه إياه موظف الاستقبال بالفندق.

لم يكن الوصول إلى الجسر عسيرا على الإطلاق ،وصله (عماد) وتوقف ،ليتأمل روعة الجسر ،كان الجسر دائري الشكل تماماً ،يقع على طريق جياتسوي الرئيسي ،وبالتحديد عن التقاطع خماسي الأفرع ،كان الجسر مرتفعاً عن الطريق المتفرع بما يعادل ستة أمتار ،كان عرض الجسر يتجاوز الخمسة أمتار ،ولاحظ (عماد) وجود لافتات تشير إلى أحد مداخل الجسر ،فذهب في هذا الاتجاه على الفور.

وصل إلى المدخل ،ووجد المدخل يحتوي سلام كهربائية وأخرى عادية ،صعد مستخدماً السلم الكهربائي ،وصل للجسر ،وتقدم نحو حاجز الجسر الداخلي ،ووقف يتأمل المشهد أمامه ،أو بالأحرى تحته ،فقد كان الجسر يرتفع فوق ميدان مستدير مزين بالحشائش والزهور الطبيعية في مزيج مذهش للألوان الخضراء والحمراء والصفراء ،الميدان الذي يجمع تفرعات طريق جياتسوي الخمسة ،فكر (عماد) أن الجسر ليس فقط مزاراً سياحياً ،لكنه حل لمشكلة المرور في هذا التقاطع الكبير ،وتخيل عماد حال المرور في هذا الطريق قبل بناء الجسر ،لابد أن العبور من هنا كان مخاطرة كبيرة في السابق .

كانت للجسر مداخل ومخارج متعددة ،وعلى الطريق لافتات ارشادية كثيرة ،كان الجسر يربط بين الطرق المؤدية لبرج لؤلؤة الشرق ومراكز التسوق الكبرى في المدينة ،وكذلك المناطق الترفيهية والسياحية ،ومنطقة المقاهي والمطاعم ،ومنطقة المكاتب

والشركات، بهر الجسر (عماد) لدرجة أنه طاف به لشوطين كاملين يتأمل المكان ككل، ويتأمل المخارج والأماكن المؤدية إليها .

أخيراً قرر (عماد) نزول الجسر، واختار لنزوله المخرج المؤدي لمنطقة مراكز التسوق، وتجول بعض الوقت بين الاسواق، كان يشتري هدايا لأمه وأخته، ولـ(لجين) ابنة اخته الصغيرة، ولم ينسى (وليد) أيضاً، وبالطبع قام بشراء هدايا لـ(نهى) وأسرتها فرداً فرداً.

كادت الشمس أن تغيب، معلنة انتهاء هذا اليوم، فقرر (عماد) المرور على منطقة المطاعم والمقاهي، عبر جسر المشاة، ليتناول طعام الإفطار، قبل أن يعود مرة أخرى للفندق، ليحزم حقيبته، ويستعد لرحلة العودة لمصر.

(٢٤)

لم تكن رحلة العودة إلى القاهرة، مرهقة كمثل رحلة الذهاب، حتى أنها استغرقت وقتاً أقل، فقد كانت مدة التوقف في مطار الدوحة، ثلاث ساعات فقط، أي أنها أقل من زمن التوقف في رحلة الذهاب بمقدار ست ساعات كاملة، وبالتالي فإن زمن الرحلة ككل ينقص بمقدار الست ساعات تلك، وتكون رحلة العودة في خمسة عشر ساعة، لكنها استغرقت قرابة اثنتى عشرة ساعة فقط.

هذا الأمر، جعل (عماد) يفكر مرة أخرى في نسبة الزمن، وعلاقته بسرعة الحركة، هذه المرة توقف عند شيء هام، اتجاه الحركة، إن رحلته إلى شنغهاي من القاهرة والعكس يؤكد حقيقة هامة، أنك إذا تحركت من الغرب إلى الشرق لمسافة كبيرة فأنت تقطع الرحلة في زمن أكبر من زمن قطع نفس المسافة، لكن في حال الحركة من الشرق إلى الغرب، لأنك في حركتك من الغرب للشرق، تتجه نحو فرق التوقيت بين خطوط الطول بالزيادة، وفي الحركة من الشرق للغرب تتحرك نحو الفرق بالنقص في التوقيت بين نفس خطوط الطول، وهذا الفرق هو المسبب في ما يحسه (عماد) من أن زمن الرحلة أقل.

عاد (عماد) ليجد (طارق) في انتظاره في المطار، تسلم منه العينة وأوراقها، وقام بتوصيله إلى بيته ثم انصرف فوراً، فوجئ (عماد) عند عودته لمنزله بوجود أسرة أخته (نرمين)، وأخبرته والدته أنها قدمت الدعوة لأسرة (نهى) كلها، لتناول طعام الافطار معهم، وأخبرته بأن والدي (نهى) حاولا الاعتذار بحجة أن (عماد) سيكون متعباً من السفر، إلا أنها أصرت عليهم بالحضور، فلقد أصبحوا أسرة واحدة .

خبر قدوم (نهى)، تلبية لدعوة والدته، بنفض عنه بعضا من عناء السفر والرحلة، وتسلسل له بعض النشاط، فدخل إلى الحمام واغتسل، ثم حلق لحيته، وخرج وطلب

من والدته أن تتركه لينل قسط من النوم لحين وصول أسرة (نهى)،
شعر (عماد) بشيء ما يجذبه من شعره، فاستيقظ واستدار ليرى من هناك، كانت
الصغيرة (لجين)، تجذبه من شعره وهي تقول ضاحكة:
- استيقظ يا خالي، فقد وصل الضيوف -
احتضنها وقبلها من جبينها، وهو يقول بصوت ناعس:
- ألن تتوقفين عن عادة جذب الشعر تلك ؟ -
ضحكت ببراءة وقالت :

- هذه الوسيلة الوحيدة لإيقاظك -

قالتها، ثم نزلت من على الفراش وأسرت نحو باب الغرفة متقافزة، وقالت:
- سوف أخبر جدتي بأنك استيقظت -

تململ (عماد) قليلاً، قبل أن يقوم من فراشه ويبدأ في ارتداء ملابس غير ثياب
النوم، كان يشعر بسعادة لوجود (نهى)، صفف شعره بعناية، كان يحاول أن يكون
على درجة من التألق، انتهى سريعاً من هندامه، وخرج إلى حجرة الصالون، كان
صوتهم من خارج الحجرة مملوء بالضحكات، مما جعل الطمأنينة تجد لنفسه سبيلاً.
دخل عليهم وصافحهم بحرارة، ورحب بوجودهم وتشریفهم له بالزيارة
، واستمر الحديث الودي بينهم، كان يتأمل (نهى) الجالسة بين أمها وأخيها، كانت
تشع نوراً، وكأن الشمس سكنت عينيها الخضراء.

استمر الحديث لدقائق قليلة، ثم استأذن (عماد) ليؤدي صلاة العصر، فذهب
ليصلي، كما استأذنت والدته لتنتهي تحضير الطعام، وصحبته (نرمين)، في حين أصرت
(نهى) أن تقدم لهما يد المساعدة، فذهب ثلاثتهن للمطبخ.

انتهى (عماد) من أداء الصلاة في غرفته، ثم خرج صوب الصالون لينضم للضيوف.
عندما دخل (عماد)، كان (مصطفى) وزوجته و(وليد) منغمسين في حديثٍ
سياسي، ويتبادلون وجهات النظر حول الأوضاع في البلاد، في حين كان (محمود)
يجلس متابعاً، ويتدخل في الحوار بتأدب في بعض الأوقات.

ما إن دخل (عماد)، واتخذ مجلساً له، حتى قال (وليد) :

- فنغير موضوع الحديث، إذ أن (عماد) لا يحب الحديث السياسي -
التفت (مصطفى) نحو (عماد) مبتسماً وقال:

- هذا فارق كبير بينك وبين (نهي)، فهي لا تنفك تتكلم في هذه الأمور -

- أعانني الله على أن أجعلها تترك هذه العادة السيئة -

بدت الدهشة على وجوه الجميع، بعد عبارة (عماد) الأخيرة، وتبادلوا جميعاً

نظرة صامتة للحظة، قبل أن يسأل (مصطفى):

- عادة سيئة ! ماذا تقصد بقولك هذا؟ -

أطرق (عماد) للحظة، فلم يمهله (وليد) فرصة ليرتب أفكاره، واندفع قائلاً بحماس

:

- ألم أقل لكم أن (عماد) لا يحب هذه الأحاديث؟! فهو ينأى بنفسه عن الخوض في

أي حديث يتعلق بحال البلاد، بل ينصحنا بالابتعاد عن هذه الأمور، ودائماً يتعلل

بأنه ليس بفاهم في أمور السياسة -

كان (عماد) لا يزال مطرقاً رأسه، وإن صُوبت نحوه الابصار، فقالت والدته (نهي) :

- ما هذا القول؟ أحقا لا تفهم في أمور السياسة؟ أم أنك لا تبدى رأيك لأحد؟ الكل

أصبح خبير في السياسة يا ولدي، ونحب أن نسمع رأيك -

رفع (عماد) رأسه ببطيء، وهو ينقل نظره بين وجوههم، قبل أن يقول بهدوء:

- حسناً يا أماه، أنا لا أنكر أنني أكره هذا الجدل، لكن لا مانع لدي من توضيح وجهة

نظري في الأمر، واسمحي لي، بل اسمحوا لي جميعاً أن أستبين منكم شيئاً واحداً، ما

هي السياسة؟ لقد قلت يا أماه أن الكل أصبح خبيراً سياسياً، أليس كذلك؟ -

انهى (عماد) عبارته، واستمتع للحظات بتأمل ملامح الريبة والدهشة على

وجوههم، فقد كان سؤاله مبالغاً بعض الشيء، وظل كل منهم يبحث عن إجابته

سريعة، هذه المرة كان (محمود) أول من تكلم قائلاً:

- بعد إذنك يا مهندس (عماد)، أعتقد أن السياسة هي فن المعقول، لقد سمعت

الدكتور (عمرو حمزاوي) يقول هذا التعريف في أحد البرامج التلفزيونية، وأعتقد أن المعنى جلى ولا يحتاج لتوضيح. -

ابتسم (عماد) وقال: -لقد حصلنا على اجابة واحدة، فهل أنتم متفقون مع (محمود) فيما قال؟-

قال (وليد) مندفعاً كعادته:

-فلتتكلم يا (عماد)، فنحن نريد أن نسمع منك، أنا شخصياً أتهنى سماع رأيك بوضوح فلطالما امتنعت عن مشاركتنا الحديث، ولم تكن لتبوح بما تكنه قبل اليوم-
أردف (مصطفى) : -حقاً، نريد أن نسمع منك -

قال (عماد) بهدوء :

-دعوني أجيب عن سؤالي أولاً، ما هي السياسة ؟ لغوياً، كلمة سياسة من الفعل ساس، والحاكم يسوس رعيته، بمعنى أنه يحكم رعيته وينظم أمورهم، لذا كانت اصطلاحاً تعني رعاية شؤون الدولة في الداخل والخارج، هذا على الصعيد اللغوي، لكن السياسة لها تعريفات أخرى بعيداً عن المصطلحات اللغوية، فلقد عرفها الشيوعيين مثلاً بأنها علم دراسة الفوارق بين طبقات المجتمع، وتأثير كل طبقة على الأخرى، وعلى بناء النسيج المجتمعي ككل، وهناك تعريف وضعه عالم الاجتماع السياسي، الاميركي المهنك (هارولد لاسويل)، فلقد قال أن السياسة هي دراسة السلطة التي تحدد المصادر المحدودة للدول، وتحدد بمعنى أبسط، توزيع الموارد في المجتمع عن طريق السلطة، وهناك التعريف العالمي الجديد الذي أشار إليه (محمود) وإن خافه التوفيق في التعبير الصحيح، فلقد لجأ علماء السياسة والاجتماع المعاصرون على اصطلاح أن السياسة هي علم دراسة الممكن، أو فن الممكن، عن طريق دراسة تغيير الواقع السياسي بطريقة موضوعية -

صمت (عماد) للحظات، وكأنه ينتظر تعقيب منهم، وجاءه أول رد فعل من

(مصطفى)، الذي قال:

-كل هذا وتقول أنك لا تفهم في السياسة ولا تحبها؟! لقد أتيت على ذكر أمور

أسمعها للمرة الأولى ،مثل ذلك العالم الأمريكي الذي أشرت إليه-

قال عماد :

-اسمه (هارولد لاسويل) ،كان عالم اجتماع وعلم نفس ،تخصص في دراسة علم الاجتماع السياسي ،وله نظرية شهيرة باسمه ،اسمها صيغة لاسويل ،تقوم على دراسة وسائل الاعلام وتأثيرها في المتلقي والمجتمع عموماً ،لو قرأتم هذه النظرية بعناية وحرص ،لخرجتم منها بفهم كثير من الأمور التي تسببها البرامج التليفزيونية ،ووسائل الاعلام بشكل عام ،وبات من الصعب خداعكم بما يقال في تلك البرامج وما شابهها- قال (محمود) -لقد أثرت فضولي بهذه النظرية يا مهندس (عماد) ،وأعدك بأنني سأبحث عنها وأقرأها ،ثم نتناقش حولها -

هز (عماد) رأسه وقال : -وأنا سأنتظر هذا الحديث على أحر من الجمر يا (محمود)- قال (وليد) :

-لم أتصور أنك مهتم لهذه الدرجة بالأمور يا (عماد) ،لدرجة البحث في التعريفات العلمية واللغوية الدقيقة ،فلم لا تتبادل معنا الحديث والنقاش ؟ - (عماد):

-هنا تكمن المشكلة ،فبسبب اطلاعي وقراءتي ،أصبح لدي رؤية تختلف عن الجميع ،لا أقصد أنني على صواب وغيري مخطأ ،بالعكس ،ما أقصده أنني أتناول الاخبار من عدة وجوه ،وبطريقة مختلفة بعض الشيء ،وأبدأ في ربط الاشياء ببعضها ،فتتكون لدي صورة لما قد يكون خلف هذا الخبر أو ذاك-

لبرهة ،صمت (عماد) ،وهذه المرة لم ينبس أحدهم ببنت شفة ،فقد جذبهم حديثه تماماً ،وينتظرون منه إكمال ما بدأ ،فتابع:

-في بداية الاحداث العاصفة ،في يناير لعام ٢٠١١ ،كنت كأى شخص في البلاد ،لا أترك حديث السياسة هذا ،خاصة بين زملائي في الكلية ،ومع الاساتذة ،كنت أتميز بينهم بأمرين ،الأول أنني أستمع أكثر مما أتكلم ،والثاني هو أن ما أتوقعه غالباً ما يقع كما تخيلت ،وعندما كنت أخبر أحد الزملاء أو الاساتذة بأني أعتقد حصول كذا

وكذا ،كنت أجد منهم الاستنكار ،ومحاولة تسفيهه وجهة نظري ،فأقول بأن الايام ستثبت صحة ما قلت ،وبالفعل ،يتحقق ما قلته لهم ،لا أخفيكم سرا إذا قلت أنني فكرت لبعض الوقت في الانخراط بالعمل السياسي ،بل والانتساب لأحد الأحزاب التي انتشرت بكثرة ،لقد كانت لي تجربة خاصة في استفتاء مارس ٢٠١١ ،حينها فرحت بالحراك السياسي في الشارع المصري ،وتخيلت أن العقل المصري نفذ عن نفسه تراب السنين ،وسيعمل بأقصى طاقته لرفع هذه البلد ،لكنني فوجئت بالواقع يوم الاقتراع ،فقد وجدت بعض المشاركين لا يملك رأي شخصي ،وينتظر أن يرى من حوله كيف سيصوتون ،لفعل ما فعلوه ،وهناك فئة نزلت لمجرد الاشتراك في الحدث ،بلا رأي ثابت كالفئة السابقة ،لكن المهم بالنسبة لهم أن تحسب لهم المشاركة أمام ذويهم وأصدقائهم ،وهناك فئة تشارك طبقا لما طُلب منها ،وهم ماجورين ،ينفذون ما يؤمرون به ،بغض النظر عن مصلحة البلاد ،وهناك فئات أخرى كثيرة جداً وجدت نفسها في لجنتي الانتخابية ،لكنني تعشمت خيراً ،فتلك هي التجربة الأولى ويجب أن تمر بعضال كثيرة ،لكن مع مرور الوقت سيصبح للمصريين الوعي اللازم ،لكنني فقدت هذا الأمل مع الوقت-

قاطعته (وليد) -هل تقصد أن المصريين لن يتبدل حالهم أو طريقة تناولهم للأمور ؟- قال (عماد) :

-بالطبع لا ،لكن نسبة التغيير ضعيفة ،وتتم ببطيء ،وفي نطاق ضيق -
قالها ثم أشار بيده نحو (محمود) وقال :

-الأمل في هذا الجيل ،والأجيال التي تليه ،لديهم الفرصة في النجاة بعقولهم من الغرق في بحر التضليل ،دعني أقولها بصراحة ،فلقد تحول الناس لخبراء سياسيون ،نظراً لأن هذا هو الحدث السائد ،كما كان الناس خبراء في كرة القدم ،عندما فاز منتخب الكرة بالبطولات الأفريقية المتتالية ،وكان الناس خبراء بيولوجيين في وقت ظهور انفلونزا الخنازير أو مرض جنون البقر ،وفي كل زمان يتحول الناس لخبراء في الحدث المهم ،لكن في الحقيقة ،وللأسف ،تجد أكثرهم يردد ما يسمعه أو يقرأه في

وسائل الإعلام المختلفة، دون تفكير أو وعي، ولقد اتخذ كل منهم من أحد الوسائل تلك، مرجعاً يستند إليه دائماً، حسب هواه الشخصي، وحسب ما يدافع عن مصلحته، لكن قليل جداً من يتناول الأمور بموضوعية، أو من خارج الصندوق، وهؤلاء صوتهم ضعيف ولا يصل كأصوات الآخرين، لقد أصبح لكل منا مسار مختلف عن الآخر، وكل منا يدافع عن أفكاره دون أن نعطي الفرصة للآخرين، في التعبير عن رأيهم، ودون أن نعطي الفرصة حتى لأنفسنا لنترك احتمال ولو واحد بالمائة، أن نكون نحن على خطأ، وأننا نساند الجانب المخطئ، فكل منا يجد في نفسه الصواب المطلق، فهو الوحيد الذي يدافع عن الحق، ومن غيره فهو على باطل، وللأسف هذه المسارات متوازية لا تتقاطع عند أي نقطة مشتركة. كل هذا لأن الفرد يتابع أحد البرامج التليفزيونية أو يقرأ أحد الجرائد، دون أن يكون له دراية حقيقية للواقع وللأمور، وعندما ينبت خلاف بين شخصين، فأول شيء يفعلانه، هو أن يتهم أحدهم الآخر بأنه لا يفهم في السياسة-

كان الجميع يصغون له بالكامل، فقد أثرهم حديثه تماماً، وداخل كل منهم، قد أضاء شيء ما، فقد لمس (عماد) بكلماته، جانباً في أعماق كل منهم، جانباً يحاول كل منهم أن يمنعه من الظهور، واعترفوا في أعماقهم بأنه محق تماماً فيما يقول، تكلمت والدة (نهي)، معبره عن إعجابها بما سمعته وقالت:

- يبدو لي يا (عماد)، أنك لست على قدر كبير من الثقافة والإطلاع فحسب، بل أنك تمتلك جانباً فلسفياً كذلك-

ضحك (عماد) ضحكة خفيفة، وقال:

- ليس إلى هذه الدرجة -

قال (مصطفى) :

- لكن كل ما قلته يا (عماد)، يجعلني اتساءل، لماذا، وأنت تملك هذه العقلية المتزنة

، لا تحاول توصيل فكرك ورأيك للآخرين؟ -

هز (عماد) رأسه بأسى، ثم قال:

-كما قلت لكم، فلا أحد منا يعطي مساحة أو احتمال بأن يكون على خطأ ولو بنسبة واحد بالمائة، فلكل رأيه، وهو أعمى إلا عن رأيه، فمثلاً عندما وصل الاخوان إلى سدة الحكم، ومع مرور الأيام، بُتُّ مقتنعاً بأن أيامهم في حكم مصر قليلة، لأنهم ببساطة لم يحسنوا إدارة الأزمات التي مروا بها، سواء كانت تلك الأزمات حقيقية، أو مفتعلة، كانوا يسировون نحو النهاية، وبالطبع لم أجد من زملاء العمل، المنتمين للإخوان، غير الاتهامات الجاهزة لكل من خالفهم الرأي، كلام مرسل يحفظونه ويرددونه بلا تفكير، ثم كان ما كان، وانقسم الناس لفرق مختلفة، كل فريق كاره للفرق الأخرى، حتى أنه لقد انقسم أهل البيت الواحد، وانقلب الأصدقاء على بعضهم، وأصبح التشكيك والتخوين من المسائل العادية بيننا، وانتشر البغض والكره للأسف، ولما كنت أرى، ولازلت، أن العمل السياسي لا ينبغي له أن يضع بذور العداوة بيننا، فقررت أن أتجنب الخوض في هكذا حديث، ولحين أن نفهم حرية إبداء الرأي، وحقيقة أننا مختلفون عن بعضنا البعض، وأدعو الله أن تلتئم الجراح النفسية العميقة، التي خلفها تناولنا لأمر السياسة، فأنا لا أريد أن أخسر أحداً لمجرد الخلاف في الرأي-

كانوا جميعاً، كالعادة، منصتين له، وقد لمس كلامه قلوبهم، ووجد كل منهم في نفسه، هوى لما يقوله، وظل كل منهم يفكر في نفسه قليلاً، بالفعل، لقد أصبح الأصدقاء القدامى أكثر تحفظاً وتربصاً، الكل يتصيد أخطاء غيره، ويتلذذ بها، ويسخر منها، ويهين الآخر، كلام (عماد) صحيح، لقد ظهرت الكراهية بين الكثيرين، لقد انتهت صداقات دامت طويلاً، لقد كان كلام (عماد) صحيحاً وهم يعلمون، يعلمون لكن يتجنبون مواجهة الحقيقة، فلسنا على الصواب التام أو الدائم، ولسنا على الخطأ التام أو الدائم، بل نصيب أحياناً ونخطئ أحياناً أخرى، لكنه الاعتراف، الاعتراف بالحقيقة .

قال (مصطفى):

-صدقت يا (عماد)، أنا اتفق معك في كل ما قلت، وأفكر في نهج منهجك، وعدم التعليق على الاحداث أو الخوض في جدالات وسفسطة لا نفع منها-

دخلت (نرمين) ،لتقطع الحوار الدائر بينهم ،وهي تلوح بيدها وتقول:
-تفضلوا إلى مائدة الطعام ،فلقد أوشك اذان المغرب أن يرفع -
قاموا ،و(عماد) يدعوهم بعبارات المودة ،ويقودهم إلى المائدة ،في حين قال (وليد)
:
-لقد أخذنا حديثك السابق ،ولم تأت على ذكر رحلة الصين يا (عماد)-
ضحك (عماد) وقال:
-لا تقلق ،بعد الإفطار إن شاء الله ،سأخبركم بكل شيء -

(٢٥)

عاد الجميع مرة أخرى لحجرة الصالون، بعدما فرغوا من تناول الطعام الشهي
، وأدى الرجال صلاة المغرب في جماعة، في حجرة الصالون، ريثما تقوم النساء بأعمال
التنظيف المعتادة وإعداد أكواب الشاي، بعد أن أدين الصلاة في حجرة نوم والدة
(عماد)، ثم اجتمع الكل لتناول الحلوى والفاكهة التي قدمتها (نرمين)، واحتساء
أكواب الشاي الساخن، وجلسوا جميعاً تحفهم المودة والألفة.

لم تكن عينا (عماد) لتفارقاً وجه (نهى)، كان يشعر بالشوق لها، كأنه ابتعد
عنها لشهور وليس لبضعة أيام، يتأمل ملامحها في وله يحاول أن يخفيه عن عيون
الحاضرين، ورغم أنهم منشغلون عنه بالحديث، إلا أنه يشعر بأنه تحت المراقبة
الدائمة، كلما نظر إلى عينيها، جذبته لونهما الأخضر الصافي، وغاب داخلهما، كلما نظر
في عينيها، أحس بأنها تستمع إلى أفكاره وخيالاته وما يعتمل في نفسه، كان يخبرها
في صمته بما يخلج أن يبوح به صوته، وهو على يقين أنها تسمع نجواه، تسائل في
نفسه فجأة - كيف أشعر بكل هذه المشاعر نحو (نهى) ولقائنا لم يكن إلا قبل قرابة
الثلاثة شهور؟ -

لم يجد اجابة منطقية لسؤاله، لكنه لا يفهم بعد كنه الحب، الحب هو ذلك
الزائر الذي يمر بك طارفاً باب قلبك، لكنه يدخل بغير استئذان، حتى وإن لم تفتح
له الأبواب، فالحب يعتبر مجرد طريقه لباب القلب، هو في حد ذاته الإذن بالدخول
، هذا الزائر يدخل للقلب بجراًة، بل قل أنه يفتحهم ستره، ليستقر بداخله، ويستعمره
ويملئه، ويأبى بعد ذلك السكينة، فهو دائماً مشاكساً مشاغب، تسكت فيتكلم هو
، تغمض عينيك فترى من خلاله، تتوقف عن التفكير فيسرد لك الحكايات، ويسكب

في دمائك شغفاً بمن تحب، الحب ببساطة، هو الزائر الذي يأتيك زيارة واحدة، لكنه لا يغادر البتة، وتتحول الزيارة إلى اقامة مستديمة.

أما (نهى) التي تجلس في مواجهة (عماد)، وبجوار والدتها على نفس الأريكة، فلم تكن لتخطئ نظرات (عماد) الحاملة نحوها، بل وتسعد بها، رغم أنها كانت تشعر بقشعة سريعة كلما تقابلت العيون، ومع تلك اللقاءات الخاطفة للأعين، كان الخجل يستبيح وجهها، فيلونه بالأحمر الدافئ، كانت نهى تستغرب هذه الانفعالات، ولطالما ادهشتها، فهي و(عماد) زميلان بالعمل، وحين ينغمسان بالعمل فإنها لا تشعر بهكذا مشاعر، لكن تلك النظرة الحنونة التي يملكها (عماد)، قادرة على تبديل الموقف في لحظة، لينتابها الخجل، ولا تقدر على استحضار الكلمات، وتغيب في شعور بالأمان، ينسيها أي شيء سوي عينيها، كانت تخجل، كأى فتاة، في البوح بمشاعرها تجاه من تحب، حتى وإن باتا مخطوبين، وكانت تحمد الله على أن (عماد) أيضاً من النوع الذي يخجل في التعبير عن مشاعره، فهو لا يفقد جزءاً من خجله هذا، إلا خلال الرسائل المتبادلة بينهما، لكنه حين يجتمعا معاً، فلا يقوى على البوح ببواطنه، لكن عينيها تبوحان بالكثير.

قطع (وليد) عليهما حوار العيون الخاطف، عندما قال مخاطباً (عماد):
-والآن يا عماد، هلا حكيت لنا عن بلاد الصين، ورحلتك إليها؟ -

ابتسم (عماد)، ووجد فرصة ليتكلم باستفاضة، فسيتمكن من النظر مباشرة في عيني ووجه (نهى) بلا خجل أثناء حديثه، بدلا من طقس استراق النظرات في صمت والذي كان يمارسه قبل لحظات، وبالفعل انطلق بالحديث، قرر أن يحكي كل التفاصيل، وكانت (نهى) تشعر وهى تنظر إليه، أنها تنظر إلى فارسها المظفر، العائد من إحدى غاراته وفتوحاته، حكى لهم كل التفاصيل منذ صعوده إلى الطائرة المتجهة إلى الدوحة كمحطة وقوف، ثم فترة الانتظار الطويلة، ورحلة الوصول إلى شنغهاي واستقبال (سون كي)، وصف لهم برج لؤلؤة الشرق الأكثر من رائعة، والذي يعتبره تحفة معمارية مميزة، ووصف لهم جسر المشاة الدائري كأدق ما يكون الوصف

،وحكى عن مراكز التسوق التي زارها لشراء الهدايا لهم ،وعندما وصل إلى هذه النقطة تحديداً قالت الصغيرة (لجين):

-أنا أريد هديتي الآن يا خالي الحبيب -

ضحك الجميع لقولها البريء ،فلم تكن الصغيرة لتهتم بحديث خالها ،ولا بمعالم شغهاى التي زارها ،لكنها تنبعت لقوله إحضار الهدايا لهم جميعاً ،فلم يجعلها (عماد) تأسى بالفضول ،فقال مبتسماً :

-على الفور يا (لجين) ،سأذهب لأحضر الهدايا الآن يا حبيبتي -

قالها ،وقام متجهاً إلى حجرته وحمل حقيبة سفره ثم وضعها فوق سريره وفتحها مخرجاً ما قام بشرائه ،وقام بسرعة بتصنيف هدايا كل فرد على حده ،فترك ما أحضره لوالدته ،و (نرمين) و(وليد) ،وقرر ترك هذه الهدايا لحين انصراف (نهى) وأسرتها ،وأخذ باقي الهدايا وعاد إليهم مرة أخرى ،ومنح كل منهم نصيبه فيما شراه.

(٢٦)

انتهى الشهر الكريم، وانتهت معه الفترة المقررة قبل استئناف العمل من جديد، في مشروع السفر خلال الزمن، كان من المقرر إقامة حفل خطبة (عماد) و(نهى) في آخر أيام عيد الفطر، وكان أيضاً من المقرر استئناف العمل في اليوم التالي مباشرة، غير أن الدكتور (علي) أخبر العروسين بتمديد إجازتهما لمدة اسبوع اضافي.

كان حفل الخطبة، رغم بساطته، أنيقاً جداً، وبحضور الأهل والأصدقاء المقربين، أقيم الحفل، وقدم (عماد) الشبكة الذهبية إلى (نهى)، ليبدأ الثنائي الشاب حياتهما بهذه الخطوة الأولى، وعلى عكس المعتاد في حفلات كهذه، لم يكن للصخب والضوضاء المزعجة مكان، بعض الاغنيات الهادئة والكثير من الموسيقى العذبة، جعلت كل من (عماد) و(نهى) يقضيان ليلة حاملة وأكثر حميمية، مشاعرهما تتجلى حين يتبادلان النظرات بصمتٍ بليغ، وقليلًا ما يتبادلان الهمسات الحانية الدافئة، وساعدت الإضاءة الهادئة على زيادة حميمية الجو.

أما الحاضرين، فرغم علمهم الجيد بشخصية كل من (عماد) و(نهى)، وتأكدتهم من اختلافهما عن غالبية الشباب في مثل عمرهما، إلا أن معظم الحضور كان يريد حفلاً صاخباً، مملوء بالأغنيات التي لا يمكنك تمييز كلماتها بسهولة من فرط الإقاعات المضافة بلا أي فن، فقط ضوضاء وتلوث سمعي كبير، حتى أنك لتتساءل كيف حازت تلك النوعية من الاغنيات على الشهرة الواسعة ؟ بل كيف تم اعتبارها فناً من الأساس؟

كعادة مصرية، لم تغب السيدات الناقمات علي ما يرونها أماهمن، اللاتي يبدين استياءهن من مظهر والدة العروس، ومن نوعية الأطعمة والمشروبات المقدمة، ومن

مظهر اهل العريس ،حتى أن (عماد) و(نهى) لم يسلمتا من تلك اللسنة ،هذه النوعية هي نفسها في كل حفلات الاعراس ، مهما كان مستوى الحفل. أما الاصدقاء المقربون لـ(عماد) و(نهى) ،فتجدهم هم الآخرين لم يتركوا الحفل يمر دون التساؤلات الدائمة.

ترى ماذا قال (عماد) لـ(نهى) حين همس في اذنها؟
و بم أجابته هي ؟

هل كانت نهى صاحبة القرار بالموافقة على الزواج من عماد أم أن الأهل لعبوا الدور الفاعل ؟

من كان يتصور أن (عماد) سيتزوج في يوم من الأيام ؟
كل هذا معتاد في أفراح المصريين هذه الأيام ،بل أن تلك التركيبات أصبحت معتادة جداً في واقع الحياة ، فكم من الأشخاص يدعون المعرفة بمختلف الأمور ،وهم في حقيقة الأمر لا يفقهون قولاً ،بل مجرد مرددين لما يسمعون من غيرهم ،وكم من الاشخاص الذين يتصيدون أخطاء وعيوب الآخرين ،في نفس الوقت الذي يغضون الطرف عن ما فيهم من نقص أو عيب ،وكم من الناس يقم بصنع حكايات من وحي خياله حول أشخاص آخرين ،ويصر على ترديد تلك الأكاذيب بكل اصرار وحماس ،حتى تكاد تصدق أنها حقيقة مقررة .

ربما كان الأكثر سعادة بعد (عماد) و (نهى) ، هم أسرتهما ،كانت الفرحة والسعادة تغلبان ملامحهم وأصواتهم ،والدة (عماد) وأخته تشعران بأنهما ظفرا بإنسانة كـ(نهى) ،لها من الأدب والتدين والأخلاق ما لها ،فهي الزوجة الصالحة لابنتهما بكل تأكيد ،وعلى الجانب الآخر ،يثق (مصطفى) وزوجته في أنهما سلماً ابنتهما لشاب جدير بها ،سيعاملها بما أمر الله عز وجل ،يساندها ويحنو عليها ،ويعينها وتعينه على مجابهة مصاعب الحياة العنيفة .

وفي اليوم التالي للحفل ،اقيمت إحدى التقاليد المصرية الخالصة بهذا الخصوص ،ألا وهي دعوة العريس للغذاء في منزل العروس ،لبى (عماد) تلك الدعوة الكريمة

بكل ترحاب ، لكن ظل يتساءل عن السبب المقنع لهذه الدعوات ، خاصة أنها تأتي مباشرة بعد حفل الخطوبة ، ترى من أين أتى المصريين بهذه البدعة ؟ تبادل هو و (نهى) الضحكات بعدما عجزا سوية عن ايجاد سبباً مقنعاً لهذه العادة المصرية. استثمر (عماد) و(نهى) الاسبوع الاضافي في تبادل الزيارات ، وقضاء بعض الوقت بعيداً عن أجواء العمل ، في حين استغل الدكتور (علي) تلك الفترة في إنجاز عمل خاص ، عمل اتمه بمفرده .

(٢٧)

اكتمل فريق الدكتور (علي) ،بعد عودة (عماد) و (نهى) من الاجازة الاضافية ،بمناسبة خطبتهما ،واستقبلهما العاملين في المركز بحفاوة بالغة ،مقدمين لهما التهاني والتبريكات ،مع بعض الاضافات الخاصة من هذا أو ذاك ،بأنه كان يتمني حضور الحفل ،وكأنه يعاتب العروسين لعدم دعوة كل العاملين بالمركز لحفلهما البسيط! اجتمع الدكتور (علي) بهما في مكتبه ، وتجاوز (علي) المجاملات والعبارات الودودة ، ودخل في صلب الموضوع مباشرة ، لم يستغربا من هذا التصرف ، فهم يعرفان جيداً طريقة الدكتور (علي) في العمل ، ناول علي ملفاً بلاستيكيًا إلى (نهى) وهو يقول :

-لقد أتممنا المرحلة التحضيرية بنجاح قبل الاجازة ،وفي الاسبوع الماضي عكفت على اختيار الفريق الذي سيعمل تحت إمرتك يا (نهى) ،وهذا الملف يحتوي بيانات فريقك بالكامل ودور كل منهم في العمل طبقاً للبرنامج الزمني العام للمشروع ،وستجدين أيضاً البرنامج الزمني الخاص بالأعمال المطلوب منك إنجازها ،ولا داعي للتأكيد على عامل الوقت .. أليس كذلك؟-

أومأت نهى برأسها ايجاباً ،وتناولت الملف وهي تقول:

-لا تقلق يا دكتور علي ،كل شيء سيتم تجهيزه في المواعيد المقررة إن شاء الله -
اشار لها علي بيده وقال:

-حسناً ،فلتذهب للانضمام للفريق وبداية العمل فوراً ،ويمكنك إجراء أي تعديل ترغبينه على أفراد طاقمك حسبما ترين-

قامت (نهى) ،وحيتها قبل أن تنطلق لتبدأ عملها ،تابعها (عماد) بعينه حتى

خرجت وأوصدت الباب خلفها ، ثم عاد بنظره إلى الدكتور (علي) الذي قال :
-أما أنت يا (عماد) ، فأمامك الكثير كما تعلم ، فأنا وأنت علينا العمل بسرعة لإنجاز
المعادلات التى سنبنى عليها المشروع بالكامل ، وعلينا أن نظل متفوقين على (نهى)
بخطوة على الأقل .، كما تعلم أن عملها قائم على نتائج أبحاثنا نحن الاثنين -
هز (عماد) رأسه ،دون أن ينطق بكلمة ،قام الدكتور (علي) من خلف مكتبه
،وهو يشير إلى (عماد) بيده ،فقام هذا الأخير بدوره وسار بجوار الأول ، كان جلياً
أنهما في طريقهما للمعمل الخاص بالدكتور (علي) ،الذي ظل يؤكد طوال الطريق
على ضرورة الالتزام بالبرنامج الزمني ،حتى يتم تنفيذ التجربة في وقت بعينه.
استرجع (عماد) الموعد المفترض للقيام بالتجربة ،ذلك التاريخ الذي اختاره الدكتور
(علي) بحنكة ،ليجعل لتجربته هذه مكاناً مميزاً في التاريخ ، فقد اختار القيام
بالتجربة في يوم السبت ،الموافق الحادي والعشرين من شهر فبراير ،وتحديداً خمس
دقائق قبل الثانية عشرة ليلاً ،خمس دقائق قبل منتصف الليل ،وستستمر لمدة ساعة
واحدة فقط ،لتنتهي قبل خمس دقائق من الساعة الأولى من اليوم التالي الموافق
الثاني والعشرين من شهر فبراير ،هذان اليومان لهما حظهما الوافر في تاريخ البشر
والحضارة الانسانية بوجه عام ،فيوم الحادي والعشرون من شهر فبراير ، بالإضافة إلي
يوم الحادي والعشرين من اكتوبر من كل عام ، يقف العالم مبعجلاً وموقراً للحضارة
المصرية القديمة ، حينما تتعامد أشعة الشمس على وجه تمثال الملك المصري القديم
الأشهر ، (رع مسو الثاني) ،أو (رمسيس الثاني) كما اعتدنا تسميته ، تلك الظاهرة التي
تتجلى فيها عبقرية المصري القديم .

قديماً ، تمكن المصري القديم من متابعة مسار الشمس ، وحدد هذا المسار بمنتهى
الدقة ، وحدد نقطة الشرق الحقيقية التي تشرق منها الشمس ، واكتشف أن هناك
بقاع في الأرض تمر عليها الشمس مرتين في كل عام ، في تاريخ ثابت لا يتغير ، وبناء
على هذا الاكتشاف ، أقام الملك المصري الأشهر ، (رع مسو الثاني) - (رمسيس الثاني)
كما هو متعارف عليه- معبده في اسوان ، معبد ابو سمبل ، واختار المهندس المصري

العبقري مكان المعبد بحيث تقع أشعة الشمس على وجه الملك بدقة في اليومين
سالفَي الذكر ، فيوم الحادي والعشرون من أكتوبر هو يوم بداية موسم الزراعة بمصر
القديمة ، ويوم الحادي والعشرون من فبراير هو يوم الحصاد ، أو كما يذهب الكثير
من الباحثين أن هاذين اليومين هما يوم مولد الملك ويوم تربعه على عرش مصر .
كانت الشمس تتعامد على وجه أشهر ملوك مصر القديمة في اليومين المختارين
بعناية من كل عام ، وحتى عام ١٩٦٤م ، في هذا العام ، اضطرت الإنسانية لتفكيك
المعبد المهيب ونقله مسافة ١٢٠ متراً ، شمال موقعه القديم في اسوان ، لحمايته
من التعرض للغرق بعد إنشاء السد العالي ، ولما كان المكان قد تغير ، فإن تاريخ
رصد ظاهرت تعامد الشمس على وجه تمثال الملك قد تغير أيضاً ، ومنذ نقل المعبد ،
أصبحت الشمس تلقي بأشعتها الذهبية ، لتتعامد على وجه الملك الأشهر في التاريخ
داخل قدس الأقداس في معبده بأسوان جنوب الوادي المصري ، وأصبح التاريخ
الجديد للظاهرة هو الثاني والعشرون من شهر فبراير وشهر أكتوبر من كل عام .
سافر (عماد) بذاكرته عبر الزمان ، ليتذكر كم كان محظوظاً بأن شهد هذا الحدث
العظيم بعينه ، عندما زار مدينتي الأقصر وأسوان ضمن الرحلة التي نظمتها الكلية
لطلاب السنة النهائية وقتما كان طالباً ، وشاء الله تعالى أن تكون الظاهرة في وقت
الرحلة بالضبط ، يتذكر الموقف الآن ، أن عبقريّة المصري القديم فاقت كل التوقعات
في هذه الظاهرة ، الظاهرة التي اكتشفها المستكشفة الانجليزية إميلي إدواردز عام
١٨٧٤ م ، يتذكر لحظة وقوفه أمام أربعة تماثيل شاهقة شامخة داخل قدس الأقداس
، في معبد أبو سنبل المهيب ، محاطاً بالمجد والمهابة المصرية ، وأمام تلك التماثيل
الشامخة أمامه وأمام الزمان ، كان (عماد) واقفاً بين زملائه الطلاب ، ووسط حشود
غفيرة ، أتت من كل صوب وحذب ليشاهدوا الحدث العبقري ، الآن يقوم المرشد
السياحي المصاحب لهم بعمله ، يعرفهم بالشخصيات الأربعة ، وهم بالترتيب من
اليمين إلى اليسار كالآتي ، الأول تمثال (رع حِر أختي) وهو أحد صور إله الشمس ، ثم
الثاني (رع مسو الثاني) أشهر ملوك التاريخ على الإطلاق ، والتمثال الثالث (أمون رع

(وهو إله الشمس بنفسه عند المصريين القدماء ، أما الأخير فهو تمثال (مرنبَح) وهو ابن (رع مَسو الثاني) وولي عهده ، وهو أيضا الرب المسئول عن الليل عند قدماء المصريين ، العبقرية المصرية جعلت وضعية التماثيل الأربعة تسمح بسقوط الشمس على التماثيل الثلاثة الأوائل ، في حين يبقى تمثال (مرنبَح) غير مضاء بالمرة ، وغارق في الظلال، وهو أمر منطقي لأنه يمثل النصف المظلم من اليوم ، الليل ، وقتها كان المرشد السياحي الشاب مصرّاً على تسمية الملك باسمه الهيروغليفي (رع مَسو الثاني) ويخبرهم مراراً وتكراراً بعدم وجود كلمة (رمسيس) في الهيروغليفية ، وقال أن البعض ذهب لنطق الاسم (رع مَسس الثاني) ، وهو أمر يمكنه قبوله شخصياً من المرشد السياحي لأن الهيروغليفية تسمح بذلك أحياناً.

أراد الدكتور (علي) أن يكون يوم تنفيذ التجربة عملياً ، هو يوماً مصرياً خالصاً في التاريخ ، فكان هذا الاختيار ، ليجمع يوم تعامد الشمس على وجه الملك ، قبل وبعد نقل المعبد في أسوان ، ويحظى بشرف ذلك اليوم المصري في تاريخ الانسانية.

(٢٨)

انغمس الجميع في العمل والأبحاث طوال الشهرين التاليين ،(عماد) والدكتور (علي) بالإضافة لمساعدتهم ،لم يكتفوا بالساعات العمل المقررة ،حتى أنهم اضطروا لقضاء بضعة ليالي منكمين على أبحاثهم .

(نهى) وفريقها ،لم يكونوا أقل من فريق الدكتور (علي) في الجهد ،بالطبع كان الدكتور (علي) و(عماد) يرفضان أن تستمر هي فالعمل لساعات متأخرة ،وكانا يصران على عودتها لبيتها لتنال قسطاً من الراحة ، سيما وأن أعضاء فريقها كانوا على قدر المسؤولية ، حتى أنهم تمكنوا من انجاز محرك السيارة الخاص والفريد ،في منتصف الشهر الثالث من العمل ، وقبل الموعد المفترض لإنجازه ، الأمر الذي جعل الدكتور (علي) شديد التفاؤل والحماس أيضاً.

انشغل (عماد) على معادلات معقدة لتحديد الزمن النسبي الذي تستغرقه التجربة ،كان الوقت هنا ينقسم لجزأين متناسبين ،الزمن الأول خاص بالشخص داخل التجربة ،أو خاص بـ(عماد) نفسه ، فهو من سيقوم بالتجربة ، وهذا الزمن محدد مسبقاً ، ومقداره ستون دقيقة كاملة ، ساعة واحدة بالضبط ، من الثانية عشر ليلاً إلا خمس دقائق إلى الواحدة صباحاً إلا خمس دقائق ، لتمر التجربة بيومي الحادي والعشرين والثاني والعشرين من فبراير زمنياً.

الشق الآخر هو الزمن بالنسبة لراصد التجربة ،أو الدكتور (علي) ومجموعة العمل ، فإذا تحرك (عماد) داخل المسار المحدد له بسرعة تقارب سرعة الضوء تقريباً ولمدة ساعة واحدة فقط ، طبقاً للساعة الذرية داخل السيارة التي سيقودها (عماد) ، فما هو الزمن الذي سيمر خارجها بالنسبة لراصد التجربة؟

لم يكن الأمر بالهين على الإطلاق ، فكلها نظريات لم تطبق فعلاً ، ولا توجد تجربة واحدة تجزم بالنسبية المطلوبة بين الزمنين ، وشغل الأمر الدكتور (علي) و(عماد) ومساعديهم بشكل كبير ، لقد كانت الحسابات تقودهم إلى نتائج متعارضة ، فتارة تكون النسبة هي الضعف ، وبالمراجعة يكتشفوا بعض الاخطاء ، فتتغير النسبة إلى اربعة أمثال الزمن ، لكن لم ينقطع الأمل بهم ، ودأبوا كلما ظهر خطأ ما ، يقوم الدكتور (علي) بتشجيعهم قائلاً :

- طالما تمكنا من كشف الخطأ ومعالجته ، فبكل تأكيد سنصل إلى الإجابات الحقيقية في وقت ما -

طوال تلك الشهور ، كان هناك شعوراً خفياً يجمع (نهى) و(عماد) ، شعور مكتوم لا يمكن البوح به ، شعور بالضيق ، وعلى عكس أي شابين في فترة الخطبة ، لم يتمكنوا من الحديث الشخصي كما يجب ، بل أنهما حتى لا يلتقيان إلا في وقت الراحة أثناء تناول الطعام في المركز ، وغالباً ما يدور الحوار بينهما حول نتيجة تجربة ما هنا ، أو فرضيات حسابية هناك ، كلما التقيا في وقت الراحة يحاولان التسلل بعيداً عن المحيطين بهم ، فلا يتمكنوا ابداً ، ويتغلب حديث العمل على أي حديث آخر ، حتى بعض أيام الجمعة ، حيث اعتاد (عماد) أن يزور (نهى) في بيتها ، فتمر معظم فترات الزيارة في الاحاديث العامة والموضوعات المتفرقة ، والتي يتبادلها أفراد أسرة (نهى) الصغيرة معه.

وهكذا ، مضت بهما الأيام التالية ، وسط زيادة الجهد المبذول لتحقيق كافة المتطلبات قبل بدأ التنفيذ.

رغم كل الضغوط ، كان (عماد) يعتبر نفسه محظوظاً ، ليس فقط لاشتراكه في مثل هذه التجربة ، التي وإن قدر الله لها النجاح سيذكر اسمه للأبد في كتب الفيزياء ، وليس فقط لأن هذه التجربة كانت سبباً في لقائه بـ(نهى) ، بل أيضاً لعمله وقربه من شخص الدكتور (علي) ، ذلك الرجل عالم بحق ، وإداري حذق ، لقد ازداد (عماد) انبهاراً وتقديراً للعالم الجليل ، وأستاذه المفضل إليه ، فقد كان ينهل من

خبرات الدكتور (علي) المختلفة ، ويلاحظ كيف يدير المجموعة ببساطة وحنكة ، فهو تارة يزيد من الضغط عليهم ، ويكثف العمل ويضاعفه ، وتارة يلين لهم ، ويخبرهم بأنهم متقدمين على البرنامج الزمني ، وسيتحقون المكافئة في النهاية ، وتارة يسمح لأحدهم بالتغيب ، وتارة يمنع أي تغيب مهما كان العذر ، مع احتفاظه دائماً بموقع ومكانه خاصة عند الجميع ، الكل يحترمه ويجله ويوقره ويهابه ، وأيضاً فالكل يحبه ، وفي كل يوم يزداد (عماد) إعجاباً بأستاذه ، الذي اتخذته قدوة وأسوة في العمل والعلم على السواء.

ومع انقضاء الشهر الرابع ، كادت كل الأمور أن تنتهي ، وقبل المواعيد المقررة لها ، مما جعل السعادة هي السمة الوحيدة للدكتور (علي) ، خاصة عندما بدأت النتائج في الظهور للمعادلات والحسابات التي يعمل عليها (عماد) ، وانتقل هذا الشعور للمجموعة كلها ، فقد أصبحت النتائج ملموسة لجهدهم الجهد.

في هذه المرحلة نقل الدكتور (علي) الكثير من مهام الإدارة إلى (عماد) ، وذلك ليتفرغ لشيء هام ، فأمامه انجاز تجربة هي في حد ذاتها معجزة علمية ، فهل تأتي الرياح بما تشتهي السفن ؟ أم تظل على عاداتها بالمعاندة؟

(٢٩)

في تمام الساعة الثالثة عصرًا، من يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من شهر ديسمبر، وبينما كان (عماد) يراجع بعض التقارير مع أحد مساعديه، في مركز DMPT، وفي حين يُحَضِّر الدكتور (علي) بعض الأشياء لإجراء تجربة خاصة.

في نفس الوقت، كانت (نهي) مشغولة في العمل على جهاز الاشتعال الخاص، والذي سيتم اضافته لمحرك السيارة، رغم أنها لازالت تحتاج بعض المعلومات من الدكتور (علي)، لكن هذا الأخير أخبرها بأن كل ما تحتاج لمعرفته سيتضح بعد الانتهاء من تلك التجربة التي سيعكف عليها قريباً، الكل في المعمل مترقب ومنتظر لما سيقدم عليه الدكتور (علي).

عندما أشارة عقارب الساعة للدقيقة العاشرة، بعد الساعة الثالثة، دق هاتف (عماد) المحمول، وهو جالس خلف مكتبه مع أحد مساعديه، وأعلنت شاشة الهاتف اسم المتصل، لقد كانت (نرمين) أخته هي من يتصل، تناول الهاتف ممرراً اصبعه على شاشاته قبل أن يجيب قائلاً:

-مرحباً يا (نرمين) -

حمل له صوت (نرمين) على الجانب الآخر خبراً سيئاً ولا شك، بل هو الخبر الأسوأ على الإطلاق، فقد تبدلت ملامحه وارتسم الجزع على قسماته، واتسعت عيناه هلعاً ولم يفه بحرف واحد، حتى ارتبك المساعد الجالس أمام مكتبه وسأله بجزع:

-ماذا هناك يا استاذ (عماد) ؟ لعل الأمر خيراً -

استعاد (عماد) انتباهه لما يحيط به، ونقل بصره المذهول إلى المساعد، وإن ظل على حالته لثوان أخرى، قبل أن يخرج صوته مبحوحاً وبصعوبة مخاطباً أخته عبر

الهاتف قائلاً:

-وأين أنتم الآن؟-

ترقرقت عيناه بالدموع ، وظهر شيء من النحيب في صوته عندما قال:

-سأتي أليكم بأسرع ما يمكنني- ثم أنهى المكالمة ، كان مظهره يدعو للقلق ، فسأله
المساعد مرة أخرى:

-ماذا هناك يا استاذ (عماد)؟-

قام (عماد) من كرسيه ، وهم بالخروج من حجرة المكتب وهو يجيب مساعده
بصوت ضعيف ، محاولاً منع نفسه من النحيب :
- والدتي .. لقد توفاه الله منذ قليل-

سادت حالة من الارتباك في المركز كله ، مع انتشار الخبر ، وهرعت (نهي) إلى
(عماد) وأبت أن تتركه ، ولم يكن الدكتور (علي) إلا ليفعل مثلها ، وبأقصى ما استطاع
ثلاثتهم استقلوا السيارة الخاصة بالمركز ، والتي يتنقل بها الدكتور (علي) منذ ترك
سيارته للتجربة ، ثم انطلقوا مسرعين .

بالكاد تكلم (عماد) ، وحكى لهما ما أخبرته به (نرمين) عبر الهاتف ، فقد داهمت
والدته غيبوبة السكر ، وتم نقلها للمستشفى ، لكن فاضت روحها هناك.
كانت (نهي) تغمر (عماد) بعبارات المواساة ، وقد أجريت اتصالاً بوالدها لتبلغه
الخبر ، وتكلم والدها مع (عماد) مواسياً له عبر الهاتف ، قبل أن ينطلق بدوره
إلى المستشفى ، وسط حاله من الصدمة ، يحاول (عماد) عبثاً كبج جماح دموعه ،
ويتمتم ببعض الأدعية بخفوت حيناً ، وبعض الآيات القرآنية حيناً آخر ، كان متمزق
القلب داميه ، يشتعل الحزن بركاناً في صدره بصمت ، يشعر بأن الحياة ستتوقف
، والزمن لن يستمر ، والأرض ستكتفي بما دارته حول نفسها وتتوقف هي الأخرى
، كل شيء سينتهي به بعد رحيل أمه ، لقد رحلت الطمأنينة والسكينة عن عالمه ،
لقد غادره الدفء والحنو ، لقد عصفت به الريح في يوم ماطر ، لا يجد شمس الشتاء
الدافئة لتبثه الأمن ، باختصار كان يتمزق في صمت.

أما الدكتور (علي) ، والذي يقود مسرعاً للعودة إلى القاهرة ، فكان عقله يشتعل بحسابات مختلفة تماماً ، ويشعر بمشاعر تختلف عن من يلقيهم في السيارة ، صحيح أنه يشعر بالأسى نحو (عماد) ، فهو بنفسه اختبر هذا الموقف من قبل ، لكنه الآن ، يشعر بشيء أكبر من الأسى على (عماد) ، يشعر بالقلق والاضطراب ، فلقد كان خبر وفاة والدته (عماد) في الواقع هو ما يعرف باسم المخاطر الغير متوقعة في علم الإدارة ، وكما هو معروف في علم الإدارة ، فإن المخاطر الغير متوقعة والتي لا يمكن أخذها في الاعتبار كونها من الغيبيات ، تلك المخاطر تضر بسير العمل الضرر البالغ ، بل وفي بعض الأحيان يتوقف العمل بالكلية ، فما مصير عمله الذي عكف عليه لأكثر من أربعة شهور ، غير البحوث والدراسات التي استمرت لأعوام طويلة ، كان هذا فقط ما يشغل عقل الدكتور (علي) ، كيف سيتغلب على المشكلة التي طرأت ليتمم التجربة في وقتها المحدد ، بالنسبة له ، كان الموعد المحدد هوساً في حد ذاته .

(٣٠)

لم يمر (عماد) بألم وإحباط وحسرة طوال حياته، مثلما يمر الآن، ولم يعاني مرارة الحزن كما يعاني الآن، لا يكاد يعيش في دنيانا، كأن الأرض كفت عن الدوران يوم رحلت والدته، فلم تعد حياته تدور في أي مسار كان، لم يعد يعود لمتابعة عمله لمدة اسبوعين كاملين، توقف حتى عن إجابة الاتصالات الهاتفية الواردة إليه، بل لم يعرها اهتماماً يذكر، لدرجة أن بطارية هاتفه نفذت منها الطاقة، ولم يقم بإعادة شحنها، ملابسه لم يقم بتبديلها لأسبوعين كاملين، حتى بدأ لونها يتغير بعض الشيء برغم الحاح (نرمين) عليه كثيراً أن يغير ملابسه لغسلها.

لا يغير حالته تلك -ولو لبعض الشيء - سوى تردد (نرمين) أو (نهى) مع والدها عليه بصفة يومية، (نرمين) التي أصبحت لا تجد من يرعى بنتها في فترة عملها، فاضطرت إلى أن تصحب ابنتها معها للعمل، بعد استئذان مديرها الذي تفهم الظروف، فكانت تنهي عملها وتعود لمنزل العائلة لتعد الطعام لـ(عماد)، وتحاول الترويح عنه ولو قليلاً، فكان يتناول القليل من الطعام ثم يعتزل في حجرته.

(نهى) ووالدها يمران عليه يومياً، ويحمل (مصطفى) معه الفاكهة والعصائر والمشروبات الغازية في كل مرة، رغم أن ما يحضره يظل كما هو لا ينقص منه شيء، لكن تلك الزيارات كانت هي الشق الدقيق الذي يتسرب من خلاله نور الحياة إلى (عماد)، كان لا يتكلم كثيراً، لكن وجود (نهى) بجواره، ولو لدقائق، يعطيه شعوراً بالطمأنينة، قبل أن ينزوي في حجرته مجدداً بعد مغادرتهما.

وفي ذلك اليوم، حضر (مصطفى) و (نهى) كعادتهما، واستقبلهما (عماد) بلا مشاعر أيضاً، ثم جلسوا في الصالون ككل يوم، لكن هذا اليوم تغير طريقة (مصطفى) في الكلام مع (عماد)، فكل يوم كان و(نهى) يكتفیان بالمواساة والتشجيع، ولم يسيئهما

أن (عماد) لا يتجاوب للحديث وشارد كثيراً ، حتى أنه لا يقدم لهما واجب الضيافة.
هذه المرة ، وبمجرد جلوسهم في الصالون ، سأله (مصطفى) :
-هل لديك بعض من الشاي والسكر في المطبخ يا (عماد) ؟-
كان سؤاله مبالغاً بالنسبة لـ(عماد) ،الذي شعر بالخجل لأنه ينسى تقديم الضيافة
لهما كل يوم ،فهم بالقيام من مقعده وهو يقول:
-نعم يا عماء ، سأعد أكواب الشاي على الفور -
أمسكه (مصطفى) من معصمه ،ليعود لمقعده ولا يكمل نهوضه ،وهو يقول:
-اجلس معي يا (عماد) ، واسمح لـ(نهي) بدخول المطبخ لتعد هي أكواب الشاي-
جلس (عماد) مرة أخرى في مقعده ، ثم أشار بيده وهو يقول :
-بالطبع يا عماء ،بيتي هو بيتكم بطبيعة الحال-
لم تعقب (نهي) وقامت ، ثم تبادلت مع (عماد) نظرة خاطفة ، ملئها الشجن ، ثم
توجهت صوب المطبخ لتعد أكواب الشاي ، تابعتها (مصطفى) ببصره حتى خرجت
من حجرة الصالون ،ثم التفت إلى (عماد) وقال بجدية:
-استمع إليّ جيداً يا والدي ،أنت تعلم قدر محبتي لك ،وإعجابي بشخصك منذ أول
يوم التقينا سوياً فيه ،وأنا كذلك أعلم وأقدر حجم المصاب الذي أصابك ،وأنه ليس
من السهل مرور الموقف عليك الآن ،وتحتاج لوقت حتى تعود لطبيعتك من جديد
،لكنك لا تساعد نفسك يا (عماد) -
صمت لحظات ،وكأنه ينتظر تعليقاً من (عماد) ،الذي ظل جامد الملامح كما هو
،فأكمل (مصطفى) :

-لم أشأ التحدث في الأمر أمام (نهي) ،وأردت أن نتكلم نحن كالرجال ، الرجال يا
(عماد) لابد أن يكن لديهم قدرة أكبر على مواجهة المواقف وتحملها ، بما في هذه
المواقف من مشقة أو ألم ، لابد أن تساعد نفسك على تجاوز هذه الأزمة العابرة
، نعم ، عابرة ، ما حدث قد حدث يا ولدي ، ولا توجد قوة واحدة في الكون كان
يمكنها تأجيل القدر ، فعليك التحلي بالإيمان ، والتحلي بالصبر كالرجال الشداد ،

وتذكر أن الحياة لم تنتهي بوفاة أفضل الخلق ، سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم ، فقد تحمل صحابته الكرام رضي الله عنهم جميعاً تلك المصيبة العظيمة ، ثم أظهروا معادنها الحقيقية الأصيلة ، وتحملوا مسئولياتهم ، واستمروا في نصره ديننا الحنيف ، هؤلاء هم من عليك التأسي بهم ، فحالك يا ولدي يألم قلبي كل يوم - لأول مرة منذ وفاة والدته ، لانت ملامح (عماد) بعض الشيء ، ثم أطرق برأسه قليلاً ، وقال بخفوت دون أن يرفع رأسه:

- صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله. -

كان هذا التغيير الطفيف في حالته النفسية ، مريحاً بالنسبة لـ(مصطفى) ، فربت هذا الأخير على كتف (عماد) ، ثم قال:

-عليك العودة لعملك يا ولدي ، فهذه الخطوة هي بداية الطريق لتستعيد حياتك طبيعتها ، أنا أعلم أن الأمر صعباً ، لكن فكر في شيء كانت تتمناه والدتك رحمها الله ، وحاول أن تحققه لها ،فكر في آخر شيء أرادته بشدة. -

هنا ، رفع (عماد) رأسه ونظر مباشرة في عيني (مصطفى) ، ثم قال:

-آخر شيء أرادته والدتي مني ! هل تعلم ما هو ذلك الشيء؟ -

ما إن انتهى من عبارته تلك ، حتى دخلت (نهى) ، حاملة صينية وعليها أكواب الشاي الساخن ، ووضعت ما تحمل علي الطاولة بينهم ، ثم اتخذت مجلسها بجوار والدها من جديد ، تبادل (عماد) و (مصطفى) نظرة ، قبل أن يقول هذا الأخير:

- كلا يا ولدي ، لا أملك أدنى فكرة عن آخر طلباتها. -

نظر (عماد) مطولاً نحو (نهى) ، فامتلات عيناه بالدموع ، وإن ظلت حبيسة جفونه ، ثم نقل نظره نحو (مصطفى) وأشار بيده نحو (نهى) ، وهز رأسه علامة الایجاب.

فهم (مصطفى) أن والدته (عماد) كانت تلح عليه في أمر الزواج ، فشعر بالمزيد من الأسى نحو (عماد) ، فبعد شهور قليلة من خطبته إلى (نهى) ، توفت والدته دون أن تحقق أمنيتها برؤيته متزوجاً ورباً لأسرة.

كاد قلب (نهى) ينفطر ، لرؤيتها (عماد) في هذه الحالة ، لقد ذهب بريقه وانطفئ نوره ، دائماً ما تحدث نفسها بأن لها دور في إخراج (عماد) مما يعانيه ، لكنها لا تملك الوقت اللازم للبقاء بقربه ومواساته ، وتشجيعه ومساعدته على تخطي أزمته ، فبعض الدقائق كل يوم لا تكفيها على الإطلاق.

بطبيعة الحال ، لم تدري ماذا جرى بين (عماد) ووالدها بينما هي في المطبخ ، لكنها عادت لترى (عماد) متأثراً دامع العينين ، فقررت في نفسها ، أن تنتشله من الغرق في لجاج الهموم ، لابد من تغيير مسار الحديث اليومي ، المحصور في كلمات المواساة والتشجيع العتيقة ، لذا فنظرت مباشرة في عيني (عماد) ، وحاولت أن تكسو صوتها بالجدية وقالت:

-أنت لم تسألني عن أخبار التجربة يا (عماد) ، فنحن الآن في مرحلة حرجة للغاية-
كانت هذه المرة الأولى منذ أسبوعين ، التي يجذب فيها اهتمام (عماد) لشيء ما ، فاعتدل بتكاسل في جلسته ، ثم سألها :
-ماذا تقصدين بقولك مرحلة حرجة ؟ -

سرى الأمل في عروق (نهى) ، يبدو أنها نجحت في محاولتها تلك ، فها هو (عماد) يتجاذب معها أطراف الحديث ، فأجابته قائلة :

-يبدو أنك نسيت البرنامج الزمني للمشروع ، ونسيت في أي مرحلة نحن -
كانت طريقتها في الحوار ذكية جداً ، فهي لم تجيبه مباشرة ، بل أعطت له مجالاً واسعاً للتفكير وتذكر الأمور ، وهذا كفيل بتحريك حالته المعنوية والمزاجية من مستقرها ، وبالفعل ، عقد عماد حاجبيه ، وبدأ يفكر ، هو يحفظ البرنامج الزمني للمشروع عن ظهر قلب ، وبالتأكيد المشروع الآن في مرحلة تطوير محرك السيارة للوصول لسرعة تقارب سرعة الضوء ، باستخدام المادة المضادة ، فقال (عماد):

-من المفترض أننا في مرحلة تطوير المحرك للوصول للسرعة المطلوبة-
ابتسمت (نهى) ابتسامه خفيفة وقالت:

-بالطبع نحن كذلك ،لكن ما هو رأيك في هذا الأمر ؟ -

هز (عماد) كتفيه ، ثم حك ذقنه التي كساها الشعر الأشعث ، قبل أن يجيب:

-الأمر غير واضح تمام الوضوح في ملف المشروع ، وكما تعرفين ، لم يناقش الدكتور (علي) هذه النقطة أبداً ، لذا ،فأعقد أن السبيل للحصول على المادة المظلمة أو المادة المضادة ، هو عن طريق الشراء المباشر ، كما فعلنا في أمر الساعات الذرية وعينة الثوريوم -

هزت (نهى) رأسها ، مشيرة بنفي الصحة عما قاله هو ، ثم مالت قليلاً للأمام لتضفي أهمية على ما ستقوله ، ثم قالت:

-ليس صحيح يا (عماد) ، أنا نفسي ظننت نفس ظنك ووصلت لنفس النتيجة التي قتلها أنت ، الدكتور (علي) لم يذكر تفاصيل ثلاث أشياء في المشروع ، الثوريوم والساعات الذرية والمادة المضادة ، ولما قمنا بشراء الأمرين الأول والثاني ، فكان من المنطقي أن نقوم بشراء الثالث كذلك-

صمتت ، فأشار لها (عماد) بيده وهو يقول :

-أكملي بالله عليك-

تابعت (نهى) :

-تخيل أنت ماذا يمكن أن يفعل الدكتور (علي) ؟ -

قالتها وهي تشير بطرف عينها إلى والدها الجالس بجوارها ، والذي يرتشف من كوب الشاي بهدوء ، أدرك (عماد) أنها لن تبوح بالجواب في وجود والدها ، فقد باحا ببعض التفاصيل قبل لحظات أمام (مصطفى) بالفعل ، وهما منهيان عن ذكر أي شيء بخصوص التجربة خارج حدود مركز DMPT هذه المرة نجحت (نهى) تماماً ، في انتزاع (عماد) مما هو فيه ، عاد عقله يعمل بقوة ، ترى ماذا سيفعل الدكتور (علي) للحصول على المادة المضادة ، طالما لن يقوم بشرائها ، بطبيعة الحال لن يقوم بسرقة كمية من المادة المضادة من مركز Ceren ، في هذه الحالة لن يتبقي سوى سبيل وحيد للحصول على المادة المضادة .

انتزعته من أفكاره ، حين قالت وهي تقوم من مقعدها :
-حسنا يا (عماد) ، سنغادر الآن ، وأتمني أن أراك يوم غداً على خير -
قام (مصطفى) بدوره ، وخرج (عماد) أمامهما وودعهما عند باب الشقة ، ثم
أغلق الباب خلفهما ، واستند بظهره إلى الباب الموصد لثواني ، ثم عاد بسرعة لتحليله
المنطقي ، طالما لن يقوم الدكتور (علي) بابتلاع المادة المضادة ، ولا بسرقتها ، فلن
يتبقى سوى سبيل واحد للحصول عليها .
سيقوم هو بإنتاجها.

(٣١)

لم تكذ عقارب الساعة تعلن عن الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق السابع من يناير ، حتى فوجئ (طارق) بدخول (عماد) عليه ، في ملابس مهندمة وبوجه حليق ، وعلى ملامحه الجدية والحماس في نفس الوقت.

قام (طارق) من خلف مكتبه ليحيي (عماد) العائد بعد غيبة ، تصافحا بحرارة وود ، ثم دعى (طارق) (عماد) للجلوس ، فجلس هذا الأخير على أحد الكرسيين المقابلين لمكتب (طارق) ، الذي جلس بدوره على الكرسي الآخر أمام (عماد) ، ولم يجلس خلف مكتبه ، ثم مد (طارق) ذراعه ليصل إلى زر الاستدعاء على المكتب ، فضغطه ، ولم تمر لحظات قليلة حتى جاء عامل البوفيه ، فطلب منه (طارق) احضار كوبين من الشاي.

كان (عماد) يشعر بطول غيابه عن المكان ، وينقل عينيه هنا وهناك ، ثم سأل (طارق):

-لم أكن أتوقع ألا أجد أحداً هنا اليوم-

هز (طارق) كتفيه وقال :

-ولم لا ؟! اليوم هو السابع من يناير ، وهو اجازة رسمية كما تعلم ، وقرر مجلس

الإدارة اعتبار اليوم اجازة رسمية بالمركز كذلك. -

أوماً (عماد) برأسه موافقاً وهو يقول :

-لكن طالما الأمر كذلك ، فلم لم تقم أنت بإجازتك ؟ -

مد (طارق) كفيه للأمام قلباً إياهما ، وهو يمتد شفثيه في ذات الوقت ، ثم قال :

-تعليمات الدكتور (علي) -

ثم غمز بعينه وقال:

-لكن لا تقلق ، سيتم احتساب أجر هذا اليوم مضاعفاً للمتواجدين بالمركز-

ابتسم (عماد) للدعابة ،ثم قال:

-إذن هناك آخرين اليوم بالمركز -

أوماً (طارق) برأسه موافقاً وقال:

-بالطبع ،كل العاملين في المشروع الخاص موجودين اليوم ،وعلى رأسهم الدكتور

(علي) شخصياً -

هم (عماد) بالقيام من مجلسه وهو يقول :

-سأذهب لألتحق بهم فوراً -

أمسك (طارق) بذراعه ثم قال :

-انتظر قليلا يا رجل ، فلنحتسي الشاي سوية ، ثم اذهب حيثما شئت ، وسأصل

بالدكتور (علي) لأخبره بقدومك -

في نفس اللحظة ،دخل العامل حاملاً صينية أنيقة ، وفوقها كوبين من الشاي

،وقارورتين صغيرتين للمياه ، ومسكرية زجاجية شفافة ، ووضع حمله فوق الطاولة

الصغيرة بين (عماد) و (طارق) ، واستدار منصرفاً ، فقال (عماد) :

-حسننا فلنحتسي الشاي معاً ، لكن لا تخبرهم بقدومي ، ودعني أفاجاهم -

ضحك (طارق) ثم قال :

-لك هذا -

(٣٢)

(عماد) !

هتف بها الدكتور (علي) ، عندما تفاجئ بدخول (عماد) عليه في معمله الخاص ، فقام من خلف الطاولة الكبيرة ، وأسرع نحو عماد ، وتبعه ثلاثة من معاونيه كانوا متواجدين في المعمل.

عانق الدكتور (علي) (عماد) بحرارة ، ثم ترك المجال للمعاونين ليصافحوا (عماد) بدورهم وهو يقول :

-مرحبا بك من جديد بيننا يا بطل ، كنت سأنتظر لنهاية هذا الأسبوع ، قبل أن آتي إلى بيتك وأخرجك منه بالقوة -
ضحك (عماد) وقال :

-لا داعي لهذا ، فهذا أنا ذا -

عاد معاونين لما كانوا يقومون به ، في حين وضع الدكتور (علي) ذراعه فوق كتف (عماد) ومشيا متجاورين باتجاه الطاولة ، حيث يباشر الدكتور (علي) عمله ، وهذا الأخير يقول :

-لم تكن أخبارك التي تنقلها (نهي) إليّ مشجعة بالمرة ، وكنت أقول أنك قادر على الخروج من الأزمة بنفسك ، وصدقني ، لو لم تأت اليوم لوجدتني فوق رأسك في بيتك كما قلت-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً ، وقال:

-الحمد لله على كل حال ، ما حدث هو قضاء الله عز وجل ، لكن كما تعرف يا دكتور ، هو ألم الفراق ، وأشكرك على الفترة الماضية التي تركتني فيها. -

قال (علي) :

-لا داعي للشكر ، لكن على الأقل كنت لتجيب على هاتفك حتى نطمئن عليك وحسب-

(عماد):

-لم أكن قادراً على الحديث مع أحد وقتها ، لكن الزمن يغير الحال يا دكتور-
ابتسم (علي) وقال:

-على أية حال ،مرحباً بعودتك من جديد ،وبذكر الزمن ،أمازلت تذكر ما نقوم به ؟-
رفع (عماد) حاجبيه وقال:
-بالطبع أذكره جيداً ،فأنا جزء منه -

ربت الدكتور علي فوق كتف (عماد) ،في نفس اللحظة ،دخلت (نهى) ومجموعة أخرى من العاملين في التجربة إلى المعمل ، وتقدموا للترحيب بـ(عماد) ،وإن تباطأت (نهى) لتكون الأخيرة بينهم ، وانتظرت دورها حتى وصلت أمام (عماد) و(علي) ، فصافحت (عماد) مبتسمة بسعادة وقالت:

-كان لدي شعور بعودتك اليوم ،لكنك تأخرت عن مواعيد العمل الرسمية بالمركز -
قالتها وهي تشير إلى ساعة معصمها ،فضحك (علي) للدعابة ، وقال بسرعة:
-المهم أنه هنا ، بينا الآن ..، ولقد عاد في موعده تماماً -

(٣٣)

مرت دقائق قليلة ، سمح فيها الدكتور (علي) لفريق (نهي) بالتواجد لتحية (عماد) ، ثم دعاهم لينصرفوا لأعمالهم ، وبعد انصرافهم انزوى مع (عماد) إلى الطاولة حيث كان منهما في العمل قبيل دخول هذا الأخير عليهم. ما إن أصبح بهما بمفردهما ، حتى سأل (علي) :
- هل تذكر في أية مرحلة نحن ؟ -

(عماد) :

- بالطبع يا دكتور أتذكر ، نحن الآن نطور محرك السيارة لينطلق بسرعة تصل إلى سرعة الضوء ، باستخدام المادة المضادة -
أوماً (علي) برأسه ، ثم قال :

- بالضبط ، أنت تعلم أن إنتاج المادة المضادة أو المادة المعتمدة ، لا يحدث إلا في مركز Cern ، وبالطبع لا يمكننا الحصول عليها من خلالهم -
أوماً (عماد) برأسه موافقاً ولم يعلق ، فأكمل علي :

- إذن فنحن أمام معضلة هنا ، فلا بد لنا من الحصول على طاقة المادة المضادة لإكمال التجربة ، فهل يمكننا إنتاج المادة المضادة ؟ -
لمعت عيني (عماد) ، فما فكر به كان صحيحاً ، فالدكتور (علي) بصدد إنتاج المادة المضادة ، فقال بحذر :

- لو توفرت لنا الإمكانيات الموجودة في Cern ، فسنتمكن من إنتاجها ولا شك -
أطرق الدكتور (علي) برأسه وقال :

- لكننا لا نملك إمكانياتهم ، ولا حتى نقرب من إمكانياتهم -

شعر (عماد) بشيء من خيبة الأمل ، يبدو من ملامح الدكتور (علي) أنه لا يمكن إجراء تجربة انتاج المادة المضادة ، لما تتطلبه هذه التجربة من إمكانيات علمية ومالية ومعملية رهيبة ، لكن لابد وأن الدكتور (علي) لديه سبيله ، وإلا لما بدأ تجربة كهذه من الأساس ، وهو رجل يأخذ جميع الاحتياطات والتجهيزات قبل الشروع في أي عمل.

رفع الدكتور (علي) عينيه ، لينظر مباشرة في عيني (عماد) ، وكأنه يستحثه على التفكير في حل وبسرعة ، وبدأ (عماد) يفكر في حل ، إنه يحتاج لمادة ما تنتج عنها طاقة هائلة يمكننا تحويلها لطاقة دفع ، كما في نظرية عمل انطلاق الصواريخ ، لكن الوقود التقليدي لا يمكنه الوصول بالمركبات لتتطلق بسرعة الضوء ، المادة المضادة تعطي هذه الطاقة ، بل وأكثر منها بأضعاف كثيرة ، فما الحل إذن؟

نظر (عماد) نحو الدكتور (علي) ، بنظرة لا تحمل إجابة معينة ، وفهم الدكتور (علي) حجم حيرة (عماد) ، فقال له وكأنه يفكر بصوت عال:

-لابد من توفير طاقة دفع تقارب طاقة الدفع المتولدة من المادة المضادة -
(عماد) :

-بالضبط يا دكتور-

(علي):

-ونحن لا يمكننا إجراء تجربة Cern هنا ، فنعلمنا أن نبحث عن مصدر آخر ، أو نقوم بتجربة أخرى لنحصل على مبتغانا -

(عماد) :

-هذا بالضبط ما أفكر به يا دكتور ، لكن لا يمكننا استخدام الطاقة النووية كذلك ، نحن لا نملك نظائر اشعاعية ، ولا نملك الإمكانيات المالية لهكذا تجربة .-
(علي):

-أؤكد على كلامك يا (عماد) ، لكنني لن أستخدم غير طاقة المادة المضادة ، لن ألجئ للطاقة النووية مطلقاً-

(عماد) :

-اسمح لي يا دكتور ، أنت لم توضح هذه الجزئية في ملفات المشروع ، ولا أملك أدنى فكرة عما ترمي إليه -

ابسم الدكتور (علي) ، ثم قال :

-قل لي يا (عماد) ، ما الذي تعرفه عن البرق ؟ -

عقد (عماد) حاجبيه ، ثم قال :

-البرق ! ما أعرفه أن البرق عبارة عن تفريغ كهربى عندما تلتقي شحنات سالبة بأخرى موجبة في بيئة رطبة وتحت درجات حرارة منخفضة للغاية-
(علي) :

-بالضبط ، السحب بيئة رطبة ، وفي الأجواء الغير مستقرة والباردة ، تصل درجة حرارة هذه السحب إلى ٢٠ درجة تحت الصفر ، وتتحمل السحب بشحنات مختلفة ، فهناك سحب محملة بالشحنات الموجبة ، وسحب تحمل الشحنات الموجبة ، وإذا التقت سحبتان متضادتان في الشحنات تحت هذه الظروف في ضغط جوي معين ، فإننا نرى البرق-
(عماد) :

-كلامك مضبوط يا دكتور ، لكن ما علاقة البرق بالمادة المضادة ؟-
(علي) :

-أنا لدي نظرية بأن البرق ليس مجرد تفريغ للشحنات ، فكر معي بتروي ، عندما تتعال الشحنة ، بعد تفريغ السالب والموجب ، فإننا نصل إلي الفوتونات الغير مشحونة ، فإذا ضربتها طاقة قوية نحصل علي المادة المضادة ، وكما تعرف ، فإن المادة المضادة أو المادة المعتمدة هي نقيض للمادة كما نعرفها نحن ، وبالتالي فإن لحظة تكون المادة المضادة في البرق ، تجد نفسها محاطة بالمادة التقليدية ، فيحدث الانفجار الذي نراه على شكل برق ، وكل هذا يحدث في زمن لا يزيد عن ٢٠ مللي من الثانية الواحدة طبقاً للحسابات-

ظهرت الدهشة على ملامح (عماد) وهو يقول :

-حسابات ! أتقول حسابات يا دكتور ، إذن هناك من قام بالحسابات حول تكون المادة المضادة أثناء التفريغ الكهربى وحدث البرق .، أليس كذلك-

هز (علي) رأسه نائفاً وقال :

-لا تسئ فهمي يا (عماد) ،الحسابات كلها حول تكون البرق بأنواعه المختلفة ،البرق يحدث علي حزمات كما تعلم ،كل حزمة تتكون في زمن ٢٠ مللي من الثانية الواحدة ،ثم هناك زمن فاصل بين كل حزمة وأخرى ،يقدر هذا الزمن بنحو ٥٠ مللي من الثانية الواحدة ،لكن نظريتي يقول أن التفريغ الكهربى مصدراً للمادة المضادة ،التي تتكون في وسط مادي ،وبالتالي فإنها تفنى فوراً مطلقة الضوء المبهر الذي نراه -

قال (عماد) بحماس:

-لو كان الأمر كذلك ،فعلينا إعادة تجربة (نيكولا تيسلا) للحصول على برق صناعي ،ونحصل على المادة المضادة-

ابتسم (علي) بسعادة وقال:

-بالضبط ، أنت تعلم عن تجربة (تسلا) إذن -
(عماد):

-اعتقد أنه قام بالتجربة عام ١٩٠٠ حسب ما أذكر ،وباستخدام الملف الكهرومغناطيسي الذي اخترعه وعرف بعد ذلك بملف (تيسلا) ،قام بتوليد مجال كثيف نتج عنه ومضات من البرق الصناعي-

ظهر الحماس في صوت (علي) وهو يقول :

-بالضبط يا (عماد) ،وطوال الاسبوعين الماضيين ،بدأت في التجهيز للأمر ،بالطبع ستختلف تجربتنا بعض الشيء عن تجربة (تيسلا) ، فغرضه هو الحصول على برق صناعي ، أمام نحن فغرضنا مختلف ، وتقريباً كل شيء جاهز الآن -
تسائل (عماد) بدهشة :

-كل شيء جاهز؟! ماذا تقصد يا دكتور ؟-

ابتسم (علي) وقال:

-في فترة غيابك قمت ببناء الجهاز المناسب للتجربة ،واليوم نضع اللمسات الأخيرة على التجربة التي سنجرها غداً بمشيئة الله-

عقد (عماد) حاجبيه وتمتم:

-يبدو أنني قد فاتني الكثير في الاسبوعين الماضيين-

ربت (علي) على كتف (عماد) ، ثم أشار إلى ملفات فوق الطاولة ، وقال :

-لا تقلق ، ستجد كل شيء حول التجربة في هذه الملفات ، وستكون معنا غداً ، أي أنه أمامك اليوم لمراجعة تلك الملفات -

ثم صمت للحظة قبل أن يتابع قائلاً:

-هذه التجربة ، ورغم أنها جزئية داخل تجربة السفر خلال الزمن ، إلا أنها لا تقل عنها أهمية ، تخيل النتائج يا (عماد) ، سنصبح أقوى مختبر علميا فهذه النظرية ، وستفوق علي Cern ، بل أننا سنصبح أكثر ثراء يا رجل-

تناول (عماد) الملفات التي أشار إليها الدكتور (علي) ، عددهم ثلاثة ملفات صغيرة ، الأولى عن نظرية البرق ، والثاني عن طريقة بناء جهاز توليد البرق ، والثالث عن الطاقة المتولدة من المادة المضادة.

قلب (عماد) الملفات بسرعة بين يديه ، ثم قال :

-يبدو أنني لن أعود لبيتي قبل أن انتهي من هذه الملفات .. علي أن أعوض فترة غيابي-

وابتسم الدكتور (علي).

(٣٤)

قبيل الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس الموافق الثامن من يناير ، وداخل مركز DMPT . كان جميع العاملين في مشروع السفر خلال الزمن ، يتحركون بحماس وقلق في نفس الوقت ، ربما هو حماس وترقب إذا شئنا الدقة ، وفي داخل غرفة تحكم خاصة ، تواجد الدكتور (علي) ، و(عماد) ، و (نهي) ، والمساعدين الخاصين بكل منهم ، وقد كان الترقب سمتهم المميّزة ، لكن (عماد) كان بالفعل لديه شعور بالقلق ، ليس القلق الطبيعي الذي يصاحبك إذا أقدمت على أمر ما للمرة الأولى ، لكنه قلق مصحوب بالخوف.

لقد أمضى (عماد) ليلته في مراجعة الملفات الخاصة بتجربة توليد المادة المضادة من البرق ، طبقاً للحسابات فكل شيء جاهز ومعد بدقة ، كل الاحتياطات الممكنة تم اتخاذها ، لكنه يملك هذا الشعور الغامض.

كانت غرفة التحكم ، تطل على الحجرة موضع التجربة ، يفصل بينهما جدار تتوسطه نافذة زجاجية لمشاهدة التجربة ، النافذة ليست مكونة من الزجاج عكس ما تبدو ، ولكنها مزيج من الاكليك والسيلكون والألياف الخاصة ، جدران الحجرة تم اعدادها بطلاء خاص ، وتم تغطيتها بخليط من النحاس المتصل مع بعضه البعض والمتصل كذلك عبر كابل خاص ، متصل بوصلة أرضية كاملة ، وذلك لامتناس أي زيادة من البرق الصاعق.

هناك الملف الضخم ، بقطر مترين تقريبا ، والذي تلتف حوله مئات الأمتار من أسلاك النحاس الصافية ، والملف مثبت حول اسطوانة من الصلب ، بحيث كان محوري الملف والاسطوانة متطابقين تماماً ، ورأسياً تماماً أيضاً ، اسطوانة الصلب مثبتة

على قاعدة خاصة ،هذه القاعدة في حقيقتها موتور الحركة.

في أحد الأركان ، تم تثبيت اسطوانة خاصة من مزيج السيلكون كاربيد والتيتانيوم ،الاسطوانة بها أجزاء شفافة ،وتم تثبيت هذه الاسطوانة بزاوية مائلة بمقدار ٣٠ درجة ،وفوهتها موجهة للأعلى بالقرب من قمة الاسطوانة الصلبة حول الملف النحاسي الضخم ،وكانت هناك شبكة معدنية كثيفة ،معلقة في ذراع معدنية تماماً فوق الاسطوانة الصلبة واسطوانة السيلكون.

هناك في سقف الحجرة ،التي تصل مساحتها إلى ثلاثون متراً مربعاً ، تجد أنابيب دقيقة موزعه على كامل سطح السقف لإخماد أي حريق ، باستثناء الجزء حيث الذراع الميكانيكي المعدني.

بالعودة لغرفة التحكم ، كان الدكتور (علي) يعطي تعليماته الأخيرة ، واتخذ المساعدون أماكنهم ، وأصبح الجميع على أهبة الاستعداد ، نظر الدكتور (علي) في ساعته ، وما إن وصل عقرب الدقائق لمحطة الأخيرة معلناً تمام التاسعة صباحاً ، حتى قال :

-ابدأ على بركة الله -

في نفس اللحظة قام أحد المساعدين الفنيين بتحريك زراع كبير أمامه ، وضغط مجموعة أزرار بتوالي محدد ، فبدأ الملف في الدوران حول محوره ،وقام مساعد آخر بضغط الازرار أمامه هو الآخر ، في حين كان هناك اثنين من المساعدين ملتفين حول شاشة لتسجيل القراءات .

أما الدكتور (علي) و(عماد) و(نهى) ،فقد وقفوا أمام الجزء الشفاف في الجدار ، محبوسة أنفاسهم ، يتابعون دوران الملف بشغف وترقب عظيمين ، وبدأت قطرات العرق تظهر في جبين الدكتور (علي) ، وبغزارة.

كان أحد الجالسين خلف شاشة القراءات أشبه بربان السفينة ،الذي يرى قراءة البوصلة فيقوم على إثرها بتوجيه دفة السفينة ، فكان الرجل يوجه الرجلين المسؤولين عن أجهزة التحكم ، فتارة يطلب رفع الحرارة ، وتارة يطلب تخفيضها ، وتارة يطلب

زيادة نسبة الرطوبة ، وهكذا.

مع مرور الوقت تحرك الدكتور (علي) و(عماد) ، ووقفوا خلف شاشة القراءات ، وبين مراقبة النتائج على الشاشة وبين النظر إلى حجرة التجربة ، مرت الثواني بطيئة عليهم جميعاً ، في هذه المرحلة تولى الدكتور (علي) بنفسه توجيه مساعديه أمام أجهزة التحكم.

اشار الدكتور (علي) بيده نحو أحد المساعدين ، وهو يقول بقلق :
-استعد الآن-

أولاً المساعد برأسه ، ثم امسك بذراع تحكم خاص ، أشبه بذراع التحكم المستخدم في ألعاب الفيديو التي انتشرت منتصف التسعينات ، لكن هذا أكبر ، ومليء بالأزرار ، وهناك كرة دوارة في قمة الذراع الطويل ، وما إن بدأ المساعد في تحريك الذراع مع الكرة وبين حين وآخر يضغط أحد الأزرار ، حتى تحركت الذراع الميكانيكية الكبيرة داخل حجرة التجربة ، وبدأت الشبكة المعدنية في التمدد بشكل عجيب ، ثم استدارت لتأخذ شكل الكرة الصلبة المجوفة ، وبدأت تهبط فوق الملف النحاسي لتحيط بقمته.

خرج من الكرة رقائق معدنية متراصة وكأنها تنفع من الكرة ، وتتراص في المسافة بين الملف الدوار واسطوانة السيلكون ، حتى احاطت الرقائق المعدنية بفوهة اسطوانة السليكون أيضاً ، وأصبحت قمة الملف النحاسي الدوار ، وفوهة الاسطوانة المائلة ، محاطين تماماً بغلاف معدني عجيب.

كان ما يحدث أمام عيني (نهى) حقيقة ، لكنها شعرت بأنها تشاهد أحد أفلام الخيال العلمي ، في حين بلغ الدكتور (علي) و (عماد) قمة تحفزهما وترقبهما ، وغمرهما العرق بوضوح ، وكذلك المساعدين ، والكل في انتظار لحظة بعينها .
كان نظر الدكتور (علي) مثبت على الحجرة ، عبر الجزء الشفاف من الحائط ، ولم يعد يقدر علي مراجعة القراءات بنفسه ، برغم أنه خلف شاشة القراءات ، لكن حواسه كلها كانت منجذبة لحجرة التجربة ، فسأل علي المسئول عن القراءات :

-كم هي درجة الحرارة الآن ؟-

-نقترب من السابعة عشر درجة تحت الصفر -

فقال (علي) دون أن يبعد ناظريه عن حجرة التجربة :

-ابدأ في تفريغ الهواء -

وقبل أن يتم جملمته ،فجأة سطع ضوء قوي مبهر ،من قمة الملف النحاسي الدوار ،وبداخل المحبس المعدني المتصل بالذراع الميكانيكي ،كان مشهداً خيالياً بكل تأكيد ،الجسم المعدني المحيط بقمة الملف النحاسي توهج وسطع بضوء أبض مبهر وكأن الضوء بداخله يريد أن ينفجر ،وبالفعل ،تحطم المحبس المعدني ،وتطايرت شظاياه ،حتى أن (نهى) التي لازالت واقفة مكانها أمام الجدار الشفاف ، انبطحت مسرعة ،خشية أن تصاب مما يتطاير أمامها ،لكن احتياطات الأمان كانت محكمة بحق ،فلم تخرج شظية واحدة خارج الحجرة.

في نفس لحظة تحطم المحبس المعدني ، توهجت الحجرة بالكامل ، وسطع الضوء الأبيض الصافي بقوة شديدة ، ثم هدأ كل شيء.

التفت (عماد) مفزوعاً للدكتور (علي) ،فكان هذا الأخير متجمداً في مكانه ، وقد اتسعت عيناه رعباً وافغر فاه ، وكذلك المساعدين ، ولثواني ، ظل المشهد جامداً في حجرة التحكم على هذه الصورة ، (نهى) منبطحة أرضاً خائفة من شيء مجهول ، والباقون مذهولون تماماً ، وخارج حدود الزمن.

لم يكن الدكتور (علي) في هذه اللحظة يدرك ما حوله ، ولم يلاحظ خوف (نهى) ، ولا دهشة (عماد) والمساعدين ، كل ما أدركه أن التجربة قد انتهت .. وفشلت.

(٣٥)

مرت الدقائق كالساعات ، داخل غرفة التحكم ، خيم على الجميع صمت مهيب ، حالة من الذهول مع عدم التصديق قيدت ألسنة الجميع ، ولمدة خمس دقائق كاملة ، لم يتغير شيء في المشهد الجامد ، سوى بعض النظرات الخاطفة بين (عماد) والمساعدين و(نهى) ، في حين كان الدكتور (علي) قد ألقى جسده فوق أقرب كرسي صادفه ودفن رأسه بين راحتيه.

كانت (نهى) أول من كسر الجمود والسكون ، إذ شرعت في النهوض ببطيء ، حتى اعتدلت واقفة ، ألقت نظرة على حجرة التجربة ، فوجدتها كما هي ، باستثناء تحطم الشبكة المعدنية تماماً ، وسقوط اسطوانة السيلكون كاربيد من حاملها المعدني ، في حين ظلت بقية الأجهزة على حالها.

التفتت (نهى) نحوهم ، ثم سألت :

-ماذا حدث ؟-

رفع (عماد) عينيه إليها ، ثم أشار بيده نحو حجرة التجربة ، قبل أن يقول :

-كما ترين ، تدمرت شبكة الفصل الخاصة تماماً -

تحركت (نهى) لتجلس فوق أقرب كرسي إليها ، ثم تنقلت بنظرها بين (عماد) وبين حجرة التجربة ، وقالت :

-لقد رأيت ما حدث بعيني ، لكنني أسأل عن السبب -

حدق (عماد) في وجهها للحظات ، لقد أخذته الصدمة بشكل كبير ، لدرجة أن تفكيره توقف ، فطوال الدقائق الماضية لم يحاول التفكير في السبب مطلقاً ، فجاء كلام (نهى) ليخرجه من حالة الصدمة والذهول ، فقام من مكانه واتجه صوب شاشة

القراءات ، وهو يلوح للمساعد المسئول عن القراءات بيده ، وقال:

-اطبع لي النتائج الأخيرة لحظة تحطم الشبكة المعدنية -

حرك المساعد رأسه ، وكأنه يستفيق من حالة الثبوت تلك ، ثم دار بكرسيه ليواجه

الشاشة ، وبدأ بضغط أزرار لوحة المفاتيح بسرعة وهو يقول :

-حسنا ، أي نتائج بالتحديد تريد يا مهندس (عماد) ؟-

(عماد) :

-كلها .. كلها بلا استثناء -

بدأت الطابعة تخرج أوراق القراءات المختلفة ، كما طلب (عماد) ، وعلي الفور

تناول (عماد) الورقة الأولى وبدأ يطلعها باهتمام ، ثم أخذ بقية الأوراق ، وراح

يقلبها بين يديه ، ثم قال :

-لقد توصلت للسبب -

-لقد أخطأت في حساباتي -

قالها الدكتور (علي) ، فالتفت الجميع ناحيته ، فأرأوه كما هو ، جالساً تركاً رأسه

بين راحتيه ، وقد أرتكز بمرفقيه على فخذه ، ظل الجميع ينتظرون منه قولاً آخر

، فرفع رأسه ببطية ناحية (عماد) وقال :

-لقد أخطأت في حساباتي يا (عماد) . أليس كذلك ؟-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً وقد زم شفتيه ، ولم يفه بكلمة واحدة ، وبنفس البطيء

الذي رفع به رأسه ، قام الدكتور (علي) من مقعده ، تحرك ناحية (عماد) ، اقترب منه

ثم تناول نتائج القراءات من يدي (عماد) ، وبدأ يراجعها بنفسه ، ثم عاد بالأوراق

ليجلس حيث كان ، نحى الأوراق جانباً ، وتنقل بنظره بين وجوه الحاضرين ، ثم

قال :

-أنتم أفضل العناصر التي عملت معي منذ سنوات ، وقد اخترتكم بنفسي ، والآن

سأطلعكم على سر صغير-

صمت للحظة قبل أن يتابع :

- هذه أول مرة أفشل في تجربة ما منذ أربع وعشرون سنة كاملة -
أطرق الجميع رؤوسهم بعدما سمعوا عبارة الدكتور (علي) الأخيرة ، عدا (عماد)
، فكان يهز رأسه نافياً ثم قال:
- مطلقاً يا دكتور ، نحن لم نفشل بالكلية ، لكننا وقعنا في خطئ بسيط ، ومع إجراء
بعض التعديلات ، فسنتمكن من إنجاح المحاولة الثانية بإذن الله . -
- إذن فقد فشلتُ في المرحلة الأولى - قالها (علي) ،
(عماد):
- صدقني يا دكتور ، الأمر لازال ممكناً ، لقد عكفت طوال الليلة الماضية علي مراجعة
التجربة ، والحقيقة ، لم أتبين الخطأ حينها ، وإن ظل هذا الشعور المبهم يسيطر عليّ
، لكن بعد مراجعة هذه النتائج ، فلقد توصلت إلى الحل تقريباً -
- وما هو ؟! - صاحت (نهى) .
ابتسم الدكتور (علي) وقال مخاطباً (عماد):
- أنا أعرف ما تفكر به -
كانت ابتسامته تلك كفيلة بتبديد القلق والاضطراب المحيطين بالجميع ، خاصة
أن مقولته أيضاً لا تنكر احتمالية نجاح التجربة في المرة القادمة ، مع تعديلات
بسيطة كما قال (عماد) ،
وبدوره ابتسم (عماد) ، هذه المرة كانت ابتسامته مملوءة بالثقة ، وظهرت هذه
الثقة في صوته هو يقول:
- احتاج لساعتين ، ثم سأقدم لك يا دكتور تقريراً مفصلاً عن الأمر -
- لك هذا - قالها الدكتور (علي)
فانطلق (عماد) مغادراً وعائداً للمعمل ، ليعمل على الفكرة التي يرى أنها كفيلة
بإنجاح التجربة ، والمشروع ككل .
فهل سيتحقق له ما أراد؟

(٣٦)

لساعتين ، ظل (عماد) منكباً على أوراقه ومعادلاته المتعلقة بتجربة البرق ، كان يجلس في المعمل في الركن الخاص به ، يعيد الحسابات ويعيد ترتيب الأمور من منظور آخر ، وكان قد أمضى الليلة السابقة في مراجعة الأبحاث والحسابات للتجربة ، تنامي ذلك الشعور الذي سيطر عليه بأن هنالك شيء ما خاطئ ، ظل هذا الهاجس يطارده حتى بدأت التجربة بالفعل ، وعندما تحطم الحابس المعدني ، وراجع قراءات أجهزة القياس ، توصل إلى الخطأ.

خطأ بسيط ودقيق ، كان كافياً لإفشال العمل كله ، بل وتدمير أساس مشروع الحركة خلال الزمان ، توصل (عماد) لفكرة من شأنها إحياء الأمل من جديد ، فلملم أوراقه وحساباته بعدما أدخل عليها التعديلات التي يراها مناسبة ، وقام من خلف مكتبه ليلحق بالدكتور (علي) في مكتبه.

عندما دخل (عماد) على الدكتور (علي) ، كان الأخير مشغولاً في محادثة هاتفية ، فأشار إلى (عماد) بالجلوس ، في نفس اللحظة تقريباً ، دخلت (نهى) ، فأشار لها الدكتور (علي) لتجلس هي الأخرى.

جلس (عماد) و (نهى) على الكرسيين المقابلين لمكتب الدكتور (علي) ، الذي أنهى مكالمته بسرعة ، والتفت إلى (نهى) وسألها أولاً:

- ما هي نتائج الفحص أيتها المهندسة ؟-

ناولته ملفاً ورقياً قائلة :

- لم تكن الخسائر محسورة في دمار الشبكة الصلبة الحابسة ، فهذا ما وضع لنا بالملاحظة الأولية ، لكن بالفحص الدقيق ، هناك بعض التلفيات في ملف (تيسلا)

،بالتحديد في عمود الصلب ،كما أن الاسطوانة الحابسة بها تلفيات كبيرة ،ولم تعد بنفس كفاءتها ،ولقد بدأ الفنيون في إصلاح ملف (تيسلا) بالفعل ، وعلينا استخدام الاسطوانة الحابسة الاحتياطية ، وسنقوم بإعادة بناء الشبكة الصلبة حسب التعديلات المطلوبة-

فتح الدكتور (علي) الملف وطالع محتواه بسرعة ،ثم نقل نظره نحو (عماد) ،ثم قال:

-هنا يأتي دورك أيها العبقري ،هل توصلت إلى التعديلات المطلوبة؟ -
ناول (عماد) أوراقه للدكتور (علي) وقال:

-نعم توصلت لتعديلات مختلفة ،لكن في البداية ...
قاطعہ الدكتور (علي) قائلاً:

-فالبداية ،دعني أنا أوضح لك الخطأ الذي وقعت فيه ،لحظة حدوث الانفجار المكتوم ،ودمار الشبكة المعدنية ،بدأت أفكر بسرعة ،ما هو الخطأ الذي وقعت فيه ؟ الحسابات والتجارب القديمة ،للعلماء الذين قاموا بعمل برقًا صناعيًا ،تحدد لنا بدقة درجات الحرارة والضغط والرطوبة ،التي ينشأ عندها البرق ،لحظة تفرغ الشحنات ،كل هذه المعلومات استندت عليها بدقة في تجربتنا السابقة ،لكن ما حدث هو أنني اخترت لحظة تكون البرق فعلياً لتكون هي نفسها لحظة تفريغ الوسط المحيط ،حتى نحبس المادة المضادة المتكونة من تفريغ الشحنات ،وهذا هو الخطأ -

حدق (عماد) في وجه الدكتور (علي) بانبهار ، فكل كلمة نطق بها الرجل صحيحة تماماً ، وهذه النتيجة هي ما توصل لها (عماد) بنفسه بعد ما قرأ نتيجة القراءات ، فعندما تكونت الحزمة الأولى للبرق ، وفي نفس لحظة تكون المادة المضادة ، لم يكن التفريغ قد اكتمل بنسبة مائة بالمائة ، وبالتالي ، حدث التصادم بين المادة المضادة ومادة الهواء ، فكانت حزمة البرق التي أحدثت التلفيات والخسائر ،كل هذا فهمه الدكتور (علي) في لحظة واحدة دون مراجعة أي نتائج أو قراءات ، كما أنه لم يجد الخجل في الاعتراف بالخطأ أمام جميع مساعديه ، و فوق كل هذا ، لم يعرف له

اليأس طريقاً ، وحافظ علي رباطة جأشه ليكمل مسيرة المشروع .

جالت تلك الافكار برأس (عماد) وهو يحدق في الدكتور (علي) منبهراً ، في حين كان الأخير يراجع ما قدمه له الأول من أوراق وتعديلات ، ثم بدأت علامات الارتياح تظهر على ملامح الدكتور (علي) ، يبدو أن عمل (عماد) قد أصاب كبد المشكلة ، وتوصل لعلاج نهائي لها ، ظل (علي) يقلب في الأوراق ، ثم أخرج من درج مكتبه ملفاً آخر ، وفتحه وبدأ يقارن بعد الاشياء ببعضها في كلا الملفين .

استغرق الأمر قرابة الدقائق العشرة ، قبل أن يغلق (علي) كل الملفات التي أمامه ، ويرفع عينيه إلي (عماد) ويقول:

-أحسن صنعاً يا (عماد) ، لقد ظللت أؤنب نفسي طوال الساعتين الماضيتين على هذا الخطأ ، فقد كان عليّ أن أفطن إليه منذ البداية ، لكنك عالجت الأمر في تقريرك ببراعة حقاً ، وأنا أوافق على تحويل الأمر كله إلى النظام الالكتروني كما تريد -
ابتسم (عماد) بشيء من الخجل ، لما لقيه من مديح واستحسان لفكرته ، لكن

(نهى) كانت أكثر جدية وهي تقول :

-مال المقصود بالنظام الالكتروني يا دكتور ؟-

أشار الدكتور (علي) بكفه نحو (عماد) وقال له :

-أنت صاحب الفكرة ، فقم بشرحها -

أخذ (عماد) نفساً عميقاً ثم قال :

-الفكرة ببساطة ، أن نستغني عن التدخل البشري في التجربة ، ويتم كل شيء عن طريق برنامج حاسوبي ، نحدد له بدقة متي يخفض درجات الحرارة وإلى أي مدى ، وكل تغيرات الضغط ، وبداية تفريغ الهواء ، بحيث تحدث قبل الوصول لتفريغ الشحنات بوقت كاف ، فتتكون المادة المضادة في الفراغ التام ، وهنا يعمل البرنامج الحاسوبي علي تعديل المجال مغناطيسي داخل الحابسة لتسحب ذرات المادة المضادة إلي داخلها ، مع تعديل بسيط في الأزمنة لتفادي الخطأ السابق كما قال الدكتور (علي)-

قالت (نهى) :

-لكن الأمر سيستغرق بعض الوقت ،خاصة لصناعة الشبكة المعدنية المعدلة ،وكذلك
لبرمجة الآلات كلها على جهاز الحاسب -

-كم من الوقت تحديداً يا (نهى) ؟- سأل (علي)،

صمتت قليلاً لترتب أفكارها ،ثم قالت :

-أحتاج لتقسيم العمل على فريقين ،فريق يصنع الشبكة المعدنية ويعالج تلفيات
التجربة السابقة ، وفريق ثان من الاختصاصين في البرمجة ، لصنع البرنامج المطلوب
بالتعديلات الجديدة ، وكل هذا يحتاج لأسبوع على الأقل-
قال (علي) :

-بل أربعة أيام فقط -

-أربعة أيام ؟! وكيف ؟- سألت (نهى)

-لقد استغرق بناء الشبكة المعدنية ثلاثة أيام سابقاً ،ومن المفترض انجاز التعديلات
في مدة أقل ولتكن يومين ونصف اليوم ، هذا هو عمل الفريق الأول كما قلت ،لكن
عمل الفريق الثاني لا يحتاج لانتظار نهاية عمل الفريق الأول ، بل سيبدأ فوراً ، وما
إن ننتهي من الاصلاحات وبناء الشبكة الجديدة ، فسيكون الفريق الثاني قادراً على
برمجة كل الآلات بالنظام الجديد ،الفريقين يبدأان معاً يا (نهى) ، وسيستغرق الأمر
أربعة أيام فقط-

هكذا قال (علي) ، فقد كان خبيراً في البرامج الزمنية ، وإدارة المشروعات ،فبتعديل
بسيط لتوقيت بداية عمل الفريقين المقترحين ، جعله يوفر ثلاثة أيام كاملة من المدة
التي اقترحتها (نهى) ، مما لاقى القبول عند (عماد) و (نهى)،

انتهى الاجتماع الصغير بسرعة ،وانصرف كل إلى عمله ،وأصبح عليهم انجاز العمل
في الوقت المحدد ،فعليهم الانتظار لأربعة أيام أخرى ،وبعدها يتحدد مصير التجربة .
تجربة السفر خلال الزمن.

(٣٧)

مرت الأيام الأربعة ،وكما خطط الدكتور (علي) ،كانت التجربة الجديدة جاهزة للتنفيذ ،بعد تنفيذ التعديلات والتصحيحات اللازمة.

وعندما أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة صباح يوم الاثنين ،الموافق الثاني عشر من يناير ،كان الدكتور (علي) - الواقف بين (عماد) و(نهى) واثنين من المساعدين داخل غرفة التحكم - يعطي إشارة بدء التجربة.

تسمر الجميع أمام النافذة الشفافة التي تسمح بمشاهدة ما يحدث داخل حجرة التجربة ،باستثناء المساعدين اللذين يراقبان شاشة القراءات ، وبين الترقب والقلق مضى الوقت ،إلى أن بدأت الذراع الميكانيكية في التحرك ، وفي ثوان ، تكونت الكرة المعدنية العازلة لتحيط بالأنبوب الحابس وعمود الملف العملاق ، تماماً كما حدث في المرة السابقة.

في هذه المرحلة بالذات ، حبس الدكتور (علي) و(عماد) أنفاسهما ، في حين كانت كل حواس (نهى) متعلقة بالكرة الحابسة ، ثم هتف أحد المساعدين الجالس أمام شاشة القراءات :

-لقد تم تفريغ الهواء تماماً-

كانت مقولته تلك كالثلج على قلوبهم جميعاً ،فلقد تمكنوا من تجاوز الخطأ السابق ، لكن زادت معدلات القلق والترقب ، وبدأ العرق يظهر فوق جبين الدكتور (علي) ، الذي سأل المساعدين دون أن يحول نظره تجاههما :

-ماذا عن الاسطوانة الحابسة؟ -

أجابه المساعد بحماس :

-تشير القراءات إلى تنامي المجال الكهرومغناطيسي داخل الاسطوانة بشكل منتظم ،وسنصل للشدة المطلوبة بعد خمسة عشر ثانية -

كان الدكتور (علي) يود لو سألّه عن درجات الحرارة ، أو نسبة الرطوبة حول الكرة المفرغة ، لكن أعصابه وجوارحه كلها تعلقت مع عينيه بالكرة ،ولم يسأل سؤاله .
-حصلنا على شدة المجال المغناطيسي المطلوبة يا دكتور-

قالها المساعد الآخر بفرحة ،في نفس اللحظة التي هب واقفاً في مكانه ،وهو ينقل نظره بين شاشة القراءات وبين النافذة ليلمح ما يحدث داخل حجرة التجربة ،وتبعه في قيامه المساعد الثاني ،وأصبح الجميع واقفون على أقدامهم ،وارتفعت درجات الترقب لأقصى حد داخل حجرة التحكم.

في هذه المرحلة ، شعر الدكتور (علي) بأن (اينشتاين) أهمل عامل العاطفة في النظرية النسبية العامة ، فقد تخيل أنه كلما زادت مشاعر القلق والترقب والانتظار معاً ، كلما تمدد الوقت ،بنفس الطريقة التي يحدث بها تمدد الوقت مع الزيادة المفرطة للسرعة ، فقد كانت الثواني تمر عليه كالساعات.

فجأة توقف كل شيء ، ران صمت مهيب على الجميع لبضع ثوان ، كل شيء توقف تماماً عن العمل ، وسط حالة من الذهول ، وتعلقت كل العيون بلا استثناء بالنافذة الشفافة ، كسر (عماد) هذه الحالة :

-أعطونا النتائج بالله عليكم-

قالها مخاطباً المساعدين ، الذين انتفضا وعادا للشاشة الرقمية من جديد ، قبل أن يقول أحدهم بنشوة:

-لقد فعلناها-

تبادل (علي) و(عماد) و(نهى) النظرات قبل أن تعلو وجه الأول ابتسامه ارتياح ، تبعتها زفرة ارتياح ، ثم غمغم :

-حمداً لله-

كان المساعد الثاني مرتبكاً بعض الشيء ،بدى ذلك عليه وهو يمسح العرق عن

جبينه بقلق ، ثم قال:

-لا أفهم ما حدث تماماً ، الشاشة تخبرنا أن الاسطوانة الحابسة ، تحمل في داخلها نصف عشر جرام ، لا أعلم تحديداً ما هي خواص تلك المادة في الاسطوانة ، لكننا لم نرى البرق يسطع ، أهكذا نجحت التجربة؟-

قالت (نهى) مجيبة على المساعد ، وهي تجلس فوق أقرب المقاعد إليها :

-بالطبع التجربة نجحت بفضل الله ، ما تحمله الاسطوانة هو أغرب ما يمكن أن تتخيله ، فهي ليست مادة كما تظن ، بل هي المادة المضادة ، اعتبرها تحمل كمّاً من الطاقة ، أما عن سبب عدم رويتنا للبرق ، فيمكنني أن أخبرك ببساطة أنه لو حدث البرق هذه المرة ، فمعني هذا أن التجربة فشلت-

حرك المساعد كتفيه ، ووضح عليه عدم الاستيعاب وهو يقول :

-حسناً ، بغض النظر عما تحويه الاسطوانة ، لكن كانت التجربة هي الحصول علي المادة المضادة من البرق ، والبرق لم يحدث-

بدأ الواقفون في الجلوس ، فاتخذ كل واحد مقعد ليريح أعصابه بعد كل هذا

الشد العصبي ، وكان (عماد) هو من تكلم هذه المرة مخاطباً المساعد:

-لأبسط عليك الأمر ، يمكنك اعتبار أن المادة المضادة هي مادة ما تتفاعل مع الهواء لتعطي طاقة كبيرة جداً ، وفي حالة البرق ، وفي نفس ذات لحظة تكون هذه المادة نتيجة التفريغ الكهربائي ، فإنها تلامس الهواء وتعطينا الضوء المبهر الذي نراه ، لذا فقد أخطئنا في المرة السابقة وسمحنا لعملية البرق بالحدوث كاملة ، أما هذه المرة ، فقد اعدنا حساباتنا لنأخذ لحظة تكوين المادة ونعزلها عن أي مؤثر خارجي داخل الاسطوانة الحابسة ، لذا لم نرى الضوء الساطع ، ونجحنا بفضل الله-

غمغم المساعد مبهوراً :

-يا للعبقرية-

التفت (عماد) صوب الدكتور (علي) ، فوجده يجلس بصمت ، ملامحه تنطق بالفرح ، لكنه لم يشاركهم الحديث ، التقت عيناهما للحظة ، كانت كفيلة بدفع

الدكتور للكلام:

-أشكركم .. أشكركم جميعاً ،هذا النجاح بفضل من الله عز وجل ، ثم هو ثمار جهودكم الرائعة -

(نهى):

-حمدا لله يا دكتور ، من يستحق الشكر فعلا هو أنت ، صاحب هذه الفكرة العبقريّة ، وكلنا فريق واحد في النهاية .. لكن ألم يحن الوقت لنرى النتيجة بأعيننا ؟- فهم الدكتور (علي) ما ترمي إليه (نهى) ، فأوماً برأسه موافقاً وهو يقول :
-أنا اتحرق شوقاً لرؤية الاسطوانة-

قامت (نهى) ، وتحركت صوب أجهزة التحكم ، فأفسح لها المساعدين المجال ،
للتمكن من الوقوف أمام الأجهزة ، ثم قالت :
-حسناً ، سأقوم بتحريك الشبكة المعدنية-

قام الدكتور (علي) بسرعة ، وتبعه (عماد) ، واقتربا من النافذة الشفافة ، وبدأت أصابع (نهى) تضغط أزرار التحكم بسرعة ، وعيناها تنتقل بين النافذة وبين الأزرار أمامها ،وبالفعل بدأت الشبكة المعدنية تتحرك ببطيء ، مبتعدة عن نهاية الملف ، وعن الاسطوانة الحابسة.

انتهت (نهى) من اعطاء الأوامر للآلة ، وأسرعت تلحق بكل من (علي) و(عماد)
خلف النافذة الشفافة.

تحركت الشبكة المعدنية كاشفة الستار عن الاسطوانة الحابسة ، وفي لحظات ، وضحت الاسطوانة تماماً للعيان ، وكان مشهداً مذهلاً بكل المقاييس ، فأمامهم ، ومن خلال الجسم الشفاف للأسطوانة ، كانت هناك قطيرة صغيرة جداً ، تكاد تكون متوهجة ، يتغير لون توهجها مابين الأبيض والأزرق ، تدور حول محور وهمي في مدار ثابت.

لقد أيقن الجميع نجاح التجربة الآن ،فها هي أمامهم داخل الاسطوانة ،وأخيراً تمكنوا من الحصول عليها .. ، على المادة المضادة.

(٣٨)

لنجاح التجربة أثره البليغ في نفوس الجميع ، لقد أصبحت الثقة جزء من عقيدة هذه التجربة ، الثقة والزهو علي حد سواء ، كل العاملين في هذا المشروع بداية من الدكتور (علي) وحتى آخر المساعدين ، أصبح لديه الثقة في النجاح ، حتى أن حلم نيل جائزة نوبل ، بدى لهم وكأنه على وشك الوقوع ، فتضاعف التركيز ، وازداد الاصرار بشكل ملفت ، وشعر الدكتور (علي) بارتياح شديد ، فلقد عاد للبرنامج الزمني المحدد مرة أخرى ، بل وسبقه أيضاً.

كل شيء يسير كأفضل ما يكون ، وتبدد أي قلق من النفوس ، لقد أصبح تحقيق الهدف مسألة وقت ، الوقت الذي تحاول التجربة أن تسافر خلاله ، لأول مرة في تاريخ الإنسان كافة.

كانت (نهى) عاكفة على تطوير محرك خاص للسيارة ، سيجعلها تنطلق بسرعة لم تصل إليها مركبة ميكانيكية من قبل ، والفضل للمادة المضادة ، وما ستنتجه من طاقة وقوة دافعة ، ورغم بساطة فكرة المحرك ، والتي تشبه إلى حد بعيد فكرة عمل محرك الدفع في الصواريخ الفضائية ، إلا أن العمل على مثل هذا التطوير كان شاق بحق.

مشكلة (نهى) الوحيدة كانت أنها لأن تتمكن من تجربة هذا المحرك قبل تطبيقه على السيارة المستخدمة في التجربة ، فقد كان عليها أن تصنع هذا المحرك ليعمل للمرة الأولى في التجربة ، حاولت أن تقنع الدكتور (علي) بأنها يمكنها صنع نموذج محاكي للسيارة صغير بما يكفي لتجربة المحرك وهل سيصل للسرعة المطلوبة أم لا ، لكن الرجل كان يرفض متعللاً بأن بصعوبة توفير مكان لاختبار هذا النموذج الذي

سينطلق بسرعة الضوء ، كما أن المسافة التي سيقطعها ذاك النموذج تمر عبر قارات العالم المختلفة ، غير أنه لا يمكن التحكم في هذا النموذج باستخدام التحكم عن بعد. لم تجد (نهى) بدا من الانصياع لرأي الدكتور (علي) المنطقي ، في عقلها اقتناع تام بعدم إمكانية تجربة نموذج محاكي ، وأن التجربة الحقيقية للمحرك ستكون داخل الممر الدائري المعد لذلك ، لكن بعيداً عن عقلها ، كان هناك قلقاً سيطر على مشاعرهما ، القلق على (عماد) ، فهو من سيخوض الأمر بمفرده ، وإذا وقع أي مكروه له ، ستتحمل هي ذنبه بقية حياتها ، وهذا ما يقض أركانها.

أما (عماد) ، فقد بدأ في مرحلة مختلفة تماماً ، بدأ في تلقي تدريبات الغوص ، على يد مدرب متخصص بأحد مراكز التدريب على الغوص المعتمدة ، هذه التدريبات كان لها أثراً مختلفاً في نفس (عماد) ، فهو لم يهوى السباحة من قبل ، لكن الأمر حتمي هذه المرة ، بالطبع لم يكن الهدف من تدريبه مثل هذه التدريبات أن يتحول إلى غواص محترف ، يسر أغوار البحار ، بل كان الهدف المهم هو تدريبه على تحمل تغيرات الضغط القوي أو المنخفض ، وبعد أن ينهي تدريباته هذه ، سيتحول لتدريب من نوع جديد.

ستكون المرحلة التالية لـ(عماد) هي تدريبه على التحرك والسيطرة على الأشياء في الفراغ ، بعدما يتحرر من الجاذبية الأرضية التي تجعل له وزنه المعروف ، هذه التدريبات لم تكن بالصعبة أو العسيرة بعدما اجتاز دورة إعداد الغواصين ، وأصبح يحمل بطاقة غواص هاو.

كان الدكتور (علي) مجتمعاً بـ(نهى) ومساعدتها من مهندسي الميكانيكا ، في الورشة الخاصة حيث يضعون اللمسات الأخيرة على المحرك ذو السرعة الخارقة (Super speed engine) كما يحب الدكتور (علي) تسميته ، وكادت الشمس تميل للمغيب ، عندما دخل عليهم (عماد) مبتهجاً ، وما إن رأوه حتى التفتوا جميعاً صوبه باسمين ، في حين أخرج هو بطاقة من جيب قميصه ولوح بها تجاههم قائلاً: -لقد اجتزت دورة الغوص بنجاح-

فرح الجميع لهذا الخبر ،وقالت (نهى) بسرعة:

-مبروك! -

أما الدكتور (علي) فقال:

-أحسنت يا (عماد) ،لكن لا تنس أن هذه هي المرحلة الأولى من التدريبات-

أوماً (عماد) برأسه متفهماً وقال:

-لا تقلق يا دكتور ، سأبدأ المرحلة الثانية من صباح الغد كما هو مقرر-

ثم اقترب قليلاً من (نهى) وهمس:

-بعد اجتيازي لهذه الدورة التدريبية ، أعتقد أننا سنقضي أجازة شهر العسل على

سواحل شرم الشيخ-

عقدت حاجبيها وقالت :

-حقاً ! وستستمتع أنت بالغوص وأنتظرك أنا على الشاطئ ؟! -

ضحك (عماد) ضحكة خفيفة ثم قال:

-بالطبع لن أتركك ،بل سأدربك بنفسي لنغوص سوياً-

ابتسم برقة وقالت:

-حسناً ،هذا أفضل-

قاطع الدكتور (علي) حديثهما الهامس وقال:

-لقد أوشك الوقت على النفاذ ،فالיום هو الرابع عشر من فبراير ،ولم يتبقي سوى

اسبوع واحد -

-كل شيء سيسير على ما يرام يا دكتور ، ونحن ملتزمون بالبرنامج الزمني للمشروع

، لا تقلق-

في الظروف المماثلة ،اعتاد الدكتور (علي) الشعور بالحماس كلما اقترب من

الوصول لهدف ما يعمل عليه ، في كل مرة يوشك اتمام تجربة علمية يمتلكه حماس

كبير ، هو دائماً يضع حساباته بدقة بالغة ، ويصل للنتائج بشكل سلس ويسير ، لكن

هذه المرة شعوره مختلف ، فرغم أن كل شيء حوله يحمل البشائر الطيبة ، إلا أنه

وللمرة الأولى ، يمتلكه القلق ..
القلق والخوف.

(٣٩)

انتصف النهار من يوم الخميس الموافق التاسع عشر من شهر فبراير ، عندما وقف الدكتور (علي) في المعمل الخاص ، وقد التف حوله كل العاملين في مشروع تجربة السفر خلال الزمن ، الجميع بلا استثناء ،نقل الدكتور (علي) بصره بين وجوههم ، ثم قال :

-اليوم يا زملائي قد أكملنا عملنا ، لم يبخل أي منا بقطرة عرق واحدة لإنجاز الأعمال في مواعيدها ، واليوم وقد انتهينا من كل التجهيزات والتحضيرات ، فلا يسعني إلا أن أتوجه إليكم جميعاً بالشكر ، ويجب أن تدركوا شيئاً مهماً ، أن العمل الجماعي بإخلاص هو من مسببات النجاح بإذن الله-
قال أحد المهندسين :

-الفضل الأول لك يا دكتور علي ، فأنت عبقرى بحق-

صمت الدكتور (علي) للحظات ، ثم قال:

-هل تعرفون سر عبقرية العلماء المسلمين العظماء على مر العصور؟ -

لم يحاول أحدهم الاجابة لرغبتهم في أن يسترسل هو ،فتابع:

-العلماء العباقرة في دولة الإسلام ،ك(البيروني) وغيره ، لم يكتفوا بدراسة العلوم المختلفة كالطب والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم ، ولم يبرعوا في تلك العلوم وحسب ، بل أضافوا إليها أيضاً ، كان العلماء المسلمين دائماً ما يبدءوا من حيث أنتهى الآخريين ، وهذا ما أعطاهم الميزة ليضيفوا للعلم وللإنسانية ، وهو سر عظمتهم-

قالت (نهى) :

-صدقت يا دكتور-

ثم قالت مهندسة أخرى متخصصة في مجال تقنية المعلومات والحاسب الآلى :
-بالفعل يا دكتور ، اسهامات علمائنا المسلمين واضحة وجلية في كل العلوم تقريباً
،لكن ليس في الماضي البعيد وحسب ، بل في الحاضر أيضاً ، فهناك مثال كالدكتور
(علي مصطفى مشرفة) و (سميرة موسى) ، ووصولاً للدكتور (أحمد زويل)-
ابتسم الدكتور (علي) وقال:

-لقد أتيت على ذكر ملهمي وقدوتي ،ألا وهو الدكتور (مشرفة) رحمه الله -
علق أحد المساعدين:

-يا له من رجل ، لقد لقبوه (اينشتين) العرب-
فجأة ارتفع حاجبي (عماد) ، وكأنه قد انتبه لأمر ما ، وقال:
-يا رباه ! كيف لم ألحظ هذا من قبل ؟-
(نهى):

-ماذا تقصد يا (عماد) ؟ -
قال:

-إنه نفس الاسم يا (نهى) .. نفس الاسم يا دكتور ، (علي مصطفى) وحتى أنه نفس
التخصص-

تعلقت العيون بالدكتور (علي) ،الذي ارتسمت على ملامحه ابتسامه متواضعة
، بينما كان الانبهار هو ما يظهر على عيون المحيطين به ،وقالت إحدى المساعدات :
-لقد قرأت عن الدكتور (مشرفة) كثيراً ، وأعلم بأنه من القلائل الذين برعوا في فهم
وشرح النظرية النسبية الخاصة والعامة ، وقتما طرحهما (اينشتين) على العالم بأسره-
قال الدكتور (علي) :

-كما قلت لكم ، إن الدكتور (مشرفة) قدوتي ومثلي الأعلى ، ولقد تعلقت بالفيزياء
النظرية بسبب حبي لهذا العالم الذي أجله العالم أجمعه-
تنهد بعمق ، قبل أن يحرك رأسه ويقول :

-دعونا من هذا الحديث ، فنحن سنقوم بإجراء التجربة بعد غد ، وتحديداً خمس

دقائق قبل منتصف الليل ،وعلينا التواجد في المعمل قبل التاسعة مساءً-
أوماً الحاضرين متفهمين ،فأشار الدكتور (علي) بذراعه قائلاً:
-والآن يمنكم الانصراف إلى الموعد المنتظر-
تبادل التحية معهم ،حتى وصل (عماد) إليه ، فاستوقفه قائلاً:
-لا تذهب يا (عماد) ،فهناك أمر أخير متبقي-
تنحى (عماد) جانباً ليفسح المجال أمام باقي الفريق لتحية الدكتور (علي) ،
واقتربت منه (نهى) وسألته:
-ترى ما الأمر هذه المرة ؟-
-لا أدري يا (نهى) ، سنكتشف ذلك بعد قليل -

(٤٠)

اجتمع الثلاثة ،الدكتور (علي) ،(عماد) و(نهي) ، في حجرة مكتب الأول ،الذي جلس خلف مكتبة الأنيق ، وأمامه (عماد) و(نهي) ، جمعهم حديث ودي حول ما تم انجازه خلال الشهور الماضية ، وجمعهم تناول أقداح الشاي الساخن ، ولمدة عشر دقائق كاملة ، مما جعل التساؤل في أعماق (عماد) عن ذلك الأمر الأخير الذي يريده الدكتور (علي) ، جعل التساؤل يصعد لملامح وجه (عماد) ، والتقطت عيني الدكتور (علي) تلك النظرات المتسائلة من (عماد) ،فقال له مطمئناً :

-لقد أخبرتك أن هناك أمر أخير يا (عماد) ، وأرى تطلعك لمعرفة ماهيته -
أوماً (عماد) موافقاً وهو يقول :

-وأنا أتحرق شوقاً للمعرفة ،فما هو ذلك الأمر ؟-

-ستعرف بمجرد أن تنتهي من قدح الشاي خاصتك -

تناول (عماد) قدحه ، وتجرع ما تبقي به حتى الثمالة ، ثم أعاد القدح الفارغ أمامه علي الطاولة الصغيرة بينه وبين (نهي) ، ثم التفت صوب الدكتور (علي) وابتسم ابتسامة ذات مغزى.

ضحك الدكتور (علي) وضحكت (نهي) ،وقال (علي):

-يبدو أنك لا تطيق الانتظار ،فليكن ،اتبعاني-

قالها ،وقام من خلف مكتبه واتجه صوب أحد الخزانات التي تحتل نصف جدران الحجرة تقريباً ،وتبعه (عماد) و(نهي) في ترقب.

توقف (علي) أمام واحدة من الخزانات الخشبية ،التي كان عرضها لا يتجاوز المتر الواحد ، وتصل لضعف هذا الرقم ارتفاعاً ،ثم مد يده نحو مقبض الضلفة وفتحها

ببساطة وهو يشير بكفه إلى داخل الخزانة قائلاً:

-تفضل يا (عماد) -

طغت الدهشة على ملامح (عماد) و(نهى) ،فما كان بداخل الخزانة كان مفاجأة

غير متوقعة ، لم تكتم (نهى) دهشتها وقالت :

-هذه حُلّة للغوص !-

ابتسم الدكتور (علي) دون أن ينبس ببنت شفة ، في الوقت الذي دنى فيه (عماد)

قليلاً من الخزانة ،وانحنى للأمام ليدقق النظر فيما أمامه ، قبل أن يعتدل قائلاً:

-ليس بالضبط يا (نهى) ،ثم أن هناك خوذة للرأس في أسفل الخزانة -

التفت إلى الدكتور (علي) ، وتبادل معه نظرة تحمل التساؤل ،فأشار الدكتور

(علي) بيده نحو الخزانة وقال:

-يمكنك فحصها بنفسك -

مد (عماد) يده إلى داخل الخزانة ، وتناول حمالة الملابس المعلقة عليها الحلة ،

ثم أخرجها ورفعها أمام عينيه.

للهولة الأولى تبدو كمثيلاتها من ملابس الغوص ، لكن تلك التي بين يدي

(عماد) تكاد تكون منتفخة ، أو بمعنى أدق ، أنها ذات طبقات وبين هذه الطبقات

حشوة ما ، نزعها (عماد) عن حمالة الملابس ثم فتح صاحبها قليلاً ، وشرع يتفحصها

من الداخل.

بالفعل هي مصنوعة في طبقتين ،من أفضل أنواع المطاط المستخدم في صناعة

ملابس الغوص ، كل طبقة هي حُلّة كاملة في حد ذاتها ، لكن هذه الواحدة مصنوعة

بطريقة خاصة ، خاصة جداً ، من الداخل هناك الكثير من الكابسات التي تلتصق

بالأسطح بسبب تفرغ الهواء عند الضغط عليها وكانت موزعة في أماكن كثيرة ، تبدو

وأنها موضوعة في أماكنها حسب توزيع ما.

بدأ (عماد) يتحسس سطح الحلة من الداخل والخارج ، حتى وصل إلى نهاية أحد

أكمامها ، فوجد أطراف اتصال من تلك التي تستخدم لوصل الكابلات ببعضها البعض

، تأملها في هدوء ، ثم عاد لفحص نهاية الحلة عند الرقبة ، فوجد نفس تلك الوصلات ، ثم قلبها رأساً على عقب متفحصاً نهايتها عند القدمين ، فوجد الوصلات نفسها .
رفع (عماد) ناظريه لتلتقي عينيه بعيني الدكتور (علي) ، ويتبادلا ابتسامة غامضة
، في حين نقلت (نهى) نظرها بينهما في حيرة ، وتضاعفت حيرتها حين وضع (عماد)
الحلة جانباً ، ثم انحنى للأمام ليتناول الخوذة الواقية للرأس من أسفل الخزانة
واعتمد رافعاً الخوذة بنفس الابتسامة الغامضة ، ولاحظت (نهى) أن تلك التي بين
يدي عماد تختلف عن أي واقٍ للرأس شاهدته من قبل ، فقد كانت الخوذة مقللة
تماماً وعند موضع الأذنين يوجد ما يشبه السماعات مكبرة الصوت ولها جزء شفاف
في مقدمتها يسمح بالرؤية ، وهناك جزء مطاطي ، من نفس النوع المستخدم في حلة
الغوص ، يتصل هذا الجزء بالخوذة المعدنية من عند الرقبة تحديداً ، وهذا خرطوم
رفيع يخرج من الجانب الأيمن للخوذة .

لم تستطع (نهى) كتمان حيرتها أكثر من ذلك ، فقالت متسائلة :
- ما هذا بالله عليكما ؟-

حول (عماد) ناظريه عن الخوذة وإلى ناحية (نهى) ، ثم قال :
- هذه وسيلة حمايتي ولا شك-

- لست أفهم ما ترمى إليه -عقبت (نهى) في شك .
سألها الدكتور (علي) :

- هل لازلت تتذكرين قانون العلاقة بين الطاقة وسرعة الضوء أيتها المهندسة ؟-

أومأت برأسها علامة الإيجاب وهي تقول :

- بالطبع ، مقدار الطاقة يساوي كتلة الجسم مضروبة في مربع سرعة الضوء ، هذا أحد
أهم قوانين النظرية النسبية-

قال الدكتور (علي) :

- بالضبط ، وبالتالي طبقاً لهذه المعادلة ، فكلما زادت الطاقة فإن الكتلة تزداد هي
الآخري في علاقة طردية ، ومع وجود ثابت وهو مربع سرعة الضوء ، والذي قيمته

تسعون بليون، فإن الكتلة ستزداد إلى قيمة كبيرة جداً ، تصل إلى اللانهاية - هزت (نهى) رأسها متفهمة ، وتفحصت الخوذة بين يدي (عماد) بعينها سريعاً ، ثم قالت:

-فهمت ،فهذه الملابس من شأنها توليد مجالاً قوياً يحيط بجسد (عماد) لمقاومة أي تغيير تحت السرعة المفرطة التي سينطلق بها -
-أصبت يا (نهى)-

قالها الدكتور (علي) وهو يتناول الخوذة من بين يدي (عماد) ، ويعيد كل شيء إلى موضعه بداخل الخزانة ويغلقها بإحكام ،ثم التفت نحوهما وقال:

-لن تحيط الملابس الواقية بجسد عماد وحسب ، بل ستتصل به ، وعن طريق برنامج حاسوبي خاص تم إعداده لهذا الغرض ، ستعمل الملابس بصورة تلقائية فور حدوث أي اختلاف في اتزان الجسم ، مهما كان هذا التغيير طفيفاً-
قالت (نهى) :

-يا إلهي ! لقد طمأنتني يا دكتور ، فمنذ دخلنا في المراحل النهائية ، ولأنك رفضت إجراء تجربة لاختبار اطلاق المركبة بهذه السرعة الكبيرة ، كان هناك قلق وخوف كبير يسيطران عليّ-

عقد الدكتور (علي) حاجبيه وقال:

-لقد تناقشنا بما فيه الكفاية بشأن تجربة الاختبار التي اقترحتها -

بدى الارتباك على (نهى) ،فقال (عماد) محاولاً تغيير دفة الحديث:

-لكن يا دكتور ، من الذي صنع هذه الملابس؟ -

ابتسم (علي) وقال ببساطة:

-لا تقلق يا (عماد) ، فلقد صنعتها لك بنفسي -

(عماد) ، مندهشاً:

-بنفسك؟! لكن كيف ؟ ومتى ؟ ،. أنت لا تفارقنا معظم الوقت يا دكتور-

غمز الدكتور (علي) بعينه وقال باسمًا :

-يبدو أنك نسيت أنكما حصلتما على اسبوع إجازة إضافية من العمل بعد خطبتكما مباشرة-

ضحك (عماد) وهز رأسه موافقاً وقال:

-أنت استاذ في فن إدارة الوقت يا دكتور ، وخبير لا يشق له غبار في إدارة المشروعات ، والعمل معك مكسب لي ولا شك-

ربت الدكتور (علي) بطيبة حقيقية على كتف (عماد) وقال:

-دعك من تلك المجاملات ،واذهبا الآن .. ولتنل قسطاً جيداً من الراحة ،فبعد الغد ستكون ليلتنا الكبرى -

تصافحا كلاهما وحيث (نهى) الدكتور (علي) ، وهما بالانصراف ، واتجها ناحية الباب للخروج ، وعاد الدكتور (علي) ليجلس خلف مكتبه وهو يقول :

-لا تنسى يا (عماد) ، موعدنا يوم السبت إن شاء الله في تمام التاسعة-

كان (عماد) و(نهى) قد وصلا للباب بالفعل ، ففتحه (عماد) ، وخرجت (نهى)

فتوقف هو للحظة قبل خروجه والتفت ناحية الدكتور (علي) وقال:

-سأكون جاهزاً في الموعد إن شاء الله يا دكتور-

قالها وخرج مغلقاً الباب في عقبه ،تاركاً خلفه الدكتور (علي) ، وقد ألقي بثقله

فوق كرسيه خلف المكتب الأنيق ، واستند بمرفقيه إلى الكرسي ،مشبكاً أصابعه أمام وجهه ، وغارقاً في أفكاره.

تري ماذا ينتظره يوم السبت المقبل ، لا يزال شعور القلق المبهم يسيطر عليه

،هناك شيء ما يقلقه لحد الخوف ، فهل سيحقق يوم السبت أكبر انجازاته العلمية

، أم ستكون خاتمة المشروع هي الفشل ، له ... ول(عماد).

(٤١)

المكان :معمل الدكتور (علي) الخاص في مركز البحوث (DMPT)
الزمان :السبت ،الموافق الحادي والعشرون من فبراير لعام ٢٠١٥ ،تحديداً في التاسعة مساءً.

كان العمل يجري على قدم وساق ،لتنفيذ التجربة ،كل العاملين عليها مشغولين في أمور عدة ،هناك الكثير من المساعدين يتحركون هنا وهناك ،ويتبادلون الكثير من الأوراق ،إذا تجولت بناظريك في المكان ، ستجد عدد من الفنيين وقد جلس كل منهم أمام شاشة جهاز حاسب آلي وقد انشغل بأمر ما ، يطوف عليهم المساعدين ليناولوهم بعض الأوراق أو ليتناولوا منهم البعض الآخر ، كان المكان صاحب بحق. أما هناك ، في حجرة مكتب الدكتور (علي) ،كان هذا الأخير مجتمعاً بـ(عماد) ،في حضور (نهي) بالطبع ،لمراجعة التفاصيل للمرة الأخيرة ،واستمرت هذه المراجعة أكثر من ساعة كاملة ،وقد وضحت عليهم علامات التركيز الشديد ،وهم جالسون على المقاعد الوثيرة في أحد أركان الحجرة ، كان التركيز هو السمة الغالبة على ملامحهم جميعاً ولا أثر للإرهاق أو التراخي.

تراجع الدكتور (علي) بظهره للخلف ، ليستريح في جلسته ، وهو يزفر بزفرة ارتياح ، ثم قال :

-لقد أصبحت التجربة بكامل تفاصيلها داخل عقلك يا (عماد) ، حتى المراحل والأعمال التي لم تشترك بها أو تشرف عليها بنفسك ، لقد راجعنا أدق التفاصيل ،ولم يعد أي شيء خافياً عليك-
أوماً (عماد) برأسه ،وقال:

-بالضبط يا دكتور ، لقد استوعبت كل التفاصيل بشكل تام-

سأله الدكتور (علي) :

-هل تشعر بأنك مستعد تماماً لخوض الأمر؟-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً وهو يقول :

-وكلي ثقة في النجاح إن شاء الله يا دكتور-

ظل الدكتور (علي) متفرساً في ملامح (عماد) للحظات ، كان الثقة واضحة في عينيه

، فتنهد علي بارتياح قبل أن يقوم من جلسته ، ويتجه صوب مكتبه الوثير ، ثم توقف أمام المكتب وتناول من فوقه ملفاً بلاستيكيّاً كبيراً ذو لون أزرق زاه ، ثم عاد لمكانه مرة أخرى ، جلس وهو يناول (عماد) الملف الأزرق ، ثم قال :

-هذا الملف بين يديك ، يحتوي كل التفاصيل التي راجعناها سوياً قبل قليل ، كل شيء يخص التجربة ، المعادلات والحسابات ، مراحل التنفيذ ، العقبات التي واجهتنا وكيفية تغلبنا عليها ، حتى التفاصيل المالية. كل شيء موجود بالتفصيل-

تصفح (عماد) الملف بعجالة ، ثم توقف مع الصفحات الأخيرة للملف ، وقد

علت ملامحه الدهشة ، فرفع عينيه صوب الدكتور (علي) وسأله:

-وما هذه الصفحات الخاوية في النهاية؟-

قال (علي):

-هذه الصفحات ، كما تلاحظ ، مرقمة بنفس تسلسل الملف ، فهي جزء منه ، وهي بيضاء لأنك من ستكتب فوقها-

(عماد):

-أكتب فوقها؟ وماذا سأكتب؟-

قال (علي):

-ستكتب كل ما سيحدث بداية من لحظة ولوجك للسيارة ، وكل ما ستقوم به بعد

ذلك ، عليك تسجيل كل المراحل حتى نهاية التجربة -

تدخلت (نهى) في الحديث وقالت متسائلة:

-لكن هناك أجهزة كثيرة سواء داخل السيارة أو في حجرة التحكم وحتى في ملابسه، هذه الأجهزة مهمتها رصد وتسجيل كل شيء لحظة بلحظة، فما فائدة الكتابة إذًا؟- تبادل (عماد) والدكتور علي نظرة طويلة، نظرة كانت كافية لتخبر (عماد) إجابة السؤال الذي طرحته (نهى)، كانت إجابة مقلقة، بل مرعبة، فأطرق (عماد) برأسه صامتاً، في حين قال (علي):
-ربما هناك أمور لا يمكن للأجهزة رصدها-

لم تقنع تلك الإجابة (نهى)، بل سَعَرَتْ جحيماً من القلق بداخلها، لماذا فاجأها الخوف؟ لقد كانت على قد كبير من الثقة قبل لحظات قليلة، لكن إجابة الدكتور (علي) ونبرة صوته حين تكلم، بددتا كل الثقة بداخلها، ليحل محلها القلق والخوف هل هي قلقلة على فشل التجربة وعدم قدرتهم على اجتياز حاجز الزمن؟ لا، هي قلقلة بشأن (عماد)، وخائفة مما سيواجهه.

ألقي (علي) نظرة سريعة على ساعة يده، فوجد عقاربها تشير إلى العاشرة والرابع، فقال:

-لقد تجاوزت الساعة العاشرة، وسنترك الآن لترتدي زيك الخاص يا (عماد)، وسنتظرك في حجرة التحكم -

قالها، ثم قام من مكانه، وهو يشير بيده إلى (نهى) التي قامت بدورها، وهي لا تزال تحت حصار فيالق القلق والخوف.

قام (عماد) ورافقهما حتى باب الحجرة، خرج الدكتور (علي) مباشرة، أما (نهى) فتوقفت للحظات، لحظات قليلة تبادلت فيها نظرة خاصة مع (عماد)، كانت عينيها تخبرانه بقلقها وخوفها، وتحاول عينيها طمأننتها قليلاً، حتى أحست (نهى) بالدموع الحارة تتكون بين جفنيها، فخرجت مغلقة الباب خلفها حتى لا يرى (عماد) هذه الدموع.

تحرك (عماد) نحو الخزانة التي تحتوي على زيه، وفتحها وتناول الملابس المعلقة بداخل الخزانة، ثم وضعها فوق أقرب المقاعد إليه، ووقف أمامها يتأملها للحظات

،وقد بدأ القلق يتسلل إليه هو الآخر.

رغم كل الحسابات الدقيقة التي أجروها ،وكل الاحتياطات التي اتخذوها ،وكل الاستعدادات والأجهزة المتطورة التي يستخدموها ،فهناك ذلك الاحتمال ،أن يحدث خلا ما ، لذا طلب منه الدكتور (علي) تسجيل ما سيمر به بنفسه ، كل التفاصيل والأحداث ، دون الاعتماد على التقنية المتطورة التي سيستخدمها.

فهل ستسير الأمور على ما يرام؟

لا أحد يعلم ، لكن الكل يتمنى.

(٤٢)

خطف (عماد) الانظار عندما خطى داخل حجرة التحكم ،الجميع التفتوا ناحيته في لحظة واحدة تقريباً ، ثم ساد عليهم الصمت ، فقد كان ما يرونه مفاجأة لهم . دخل (عماد) إلى الحجرة مرتديا الزي الخاص ، ذلك الزي الذي جعله يشبه رواد الفضاء ، وقف (عماد) وسطهم تماماً ، حاملا خوذة الرأس في يمينه ، فبدى كبطل من أبطال أفلام هوليوود ، كان يرتدي ملابس الخاصة بالتجربة وقد ثبت القفازات إلى الحلة عن طريق الوصلات الموجودة في أطراف أكمامها ، وكذلك فعل مع حذائه المطاطي الخاص ، وقد ثبت على ساقيه أنبوبتان للأكسجين ، كانت الحلة منتفخة كأنها حلة رائد فضاء مع اختلافها في أنها أقل في الحجم ، ولونها مزيج من الأسود والأزرق الغامق.

استقبلته (نهى) باسمه وهي تقول في محاولة لتبديد القلق الذي يعتريها:
-أعتقد أنه لو رآك (مايكل باي) مخرج فيلم أرمجدون ، لقرر أن يقدم جزءاً ثانياً من بطولتك-

ضحك (عماد) وقال :

-ربما أفكر في الأمر بعد التجربة-

ثم نظر ناحية الدكتور (علي) وقال:

-لقد أرهقتني تلك الملابس ،فارتدائها ليس بالهين أو اليسير -

ضحك الدكتور (علي) وسأله:

-ولمَ ؟-

(عماد) :

-لقد كان عليّ تثبيت المجسات في النقاط المحددة فوق جسدي ، وكم هي كثيرة ومتناثرة تلك النقاط-

ابتسم الدكتور (علي) وقال:

-هذه النقاط هي نقاط تتحكم في طاقة خلايا الجسم ، لقد استفدت من أصدقائي في الصين بهذا الشأن ، فهم خبراء في تحديد نقاط القوة والطاقة فالجسم البشري- اقترّب الدكتور (علي) من (عماد) ، ثم ربت على كتفيه وقال:

-كما أخبرتك ، في حالة حدوث أي تغير مهما كان بسيطاً ، فسيعمل برنامج خاص على تكوين مجالا مغناطيسيا مع تيار كهربى خفيف داخل جسدك ، عن طريق هذه المجسات المثبتة في نقاط مختارة بعناية ، لنحافظ على خلاياك وأنشطتك الحيوية في مأمن عن أي تغير خطير ، فسلامتك تعني نجاح كل شيء- ضحكت (نهى) وقالت:

-أتعلم يا دكتور (علي) ، سيحتار القائمون على جائزة نوبل معك كثيراً ، فهل يمنحوك الجائزة عن التجربة عموماً ، أم على تجربة المادة المضادة ، أم على المحرك الخاص في السيارة ، أم وقود الثوريوم ، بل وحتى هذا الرداء- قال (علي) :

-لن أنال أي شيء بمفردي يا (نهى) ، لكل منا دور في هذا- كانوا يتبادلون الحديث الودي هذا ، في محاولة لطرد القلق والخوف عن تفكيرهم.

تردد في الحجرة صوتاً عبر مكبرات الصوت يقول:
-لقد أصبحنا جاهزين لاستقبال المهندس (عماد)-
تبادل ثلاثتهم نظره أخيره قبل أن يقول (عماد) :
-على بركة الله -

قالها ، ثم صافح الدكتور (علي) و(نهى) بسرعة ، والتفت إلى مساعده قائلاً:
-هيا بنا-

ثم انطلق مع المساعد في حزم واضح ،تاركاً خلفه الدكتور (علي) و(نهى) وفريق الفنيين ليلتفوا حول الشاشات التى ستعرض لهم التجربة ، وشاشات الرصد وتسجيل المعلومات وتبادلها مع السيارة.

سألت (نهى) الدكتور علي قائلة:

-ألم يكن من الأفضل أن يرافق عماد أحد المساعدين ؟-

التفت علي إليها ولم يجب ،اكتفى بأن مط شفتيه بلا أي معني ، لكن في داخله اعترف بأنه كان يجب عليه فعل ذلك ، وما كان ينبغي أن يقوم (عماد) بالأمر بمفرده ،على أقل تقدير كان يحتاج إلى فني متخصص في ميكانيكا السيارات ، لكن سبق السيف العزل.

أثناء هبوطه إلى المضمار الدائري الكبير المعد للتجربة ،كان (عماد) يحاول التظاهر بالثبات والثقة ، وفي داخله قلق مجهول بالنسبة له ، لقد راجع كل شيء أكثر من مرة مع الدكتور (علي) ومع الفنيين والمساعدين ،وكل شيء على ما يرام. أو هكذا يتمنى.

(٤٣)

جلس (عماد) خلف مقود السيارة ، وقد ارتدى خوذة الرأس ، وأوصل أطرافها بملابسه عند الرقبة ، ثم أوصل أنبوب الأكسجين بالاسطوانة المثبتة على ساقه الأيمن ، وتأمل السيارة للحظات ، ثم انتظر الإشارة ليبدأ في تشغيل محركها.

كان الفنيون حول السيارة يتأكدوا من أن كل شيء علي ما يرام ، قبل أن يبدأ (عماد) في تشغيلها ، بضعة دقائق قبل أن يعطي كبير الفنيين إشارة البدء ، فخرج الجميع وأحكموا إغلاق المكان خلفهم.

وفي حجرة التحكم ، كان الفريق العامل بالتجربة وعلى رأسهم الدكتور (علي) ومعه (نهى) ، ملتفين حول شاشة العرض ، وتابعوا تجهيز السيارة ، وخروج الفنيين وإغلاق المكان ، ثم تسارعت دقات القلوب عندما رأوا مصابيح السيارة وقد أضاءت ، ثم انطفأت أضواء منصة الانطلاق ، وأصبح مصدر الضوء الوحيد هو مصابيح السيارة.

بعدما قام (عماد) بتشغيل المحرك ، أمسك الملف الأزرق الكبير الموجود على المقعد المجاور له ، وأخرج قلماً من درج السيارة ، وبدأ في تسجيل ما فعله كما اتفق مع الدكتور (علي) ،

انتهى من الكتابة ، ثم ألقى نظرة على الساعة الذرية التي تم إضافتها للسيارة ، كانت الأرقام أمامه تشير إلى الثانية عشر إلا ست دقائق ، وهنا ، سمع صوتاً يقول عبر مكبرات الصوت في خوذته :

-دقيقة واحدة قبل الانطلاق .. استعد-

وضع الملف فوق المقعد المجاور له ، وبدأ في تلاوة آيات من القرآن الكريم

،وأحكم وضع حزام الأمان المعدل خصيصاً للتجربة ،وتهيئ تماماً للانطلاق ، وقبل عشر ثوان من الدقائق الخمسة قبل منتصف الليل ، بدأ نفس الصوت عبر مكبرات الصوت يعد الثواني بالعد العكسي ، حتى وصل للحظة المحددة ليهتف -انطلق- وعلى الفور ، وضع عماد الناقل في وضع الحركة ، وانطلق.

في حجرة التحكم ،لم تكن لأنفاس الموجودين صوتاً يسمع ، الكل حبس أنفاسه بشكل لا إرادي ، والشاشات أمامهم تنقل لهم انطلاقة السيارة بنعومة ، واكتسابها للسرعة العالية في ثوان قليلة ، ثم أصبحت السيارة تنطلق بأقصى سرعة لها. انطلق (عماد) بأقصى سرعة وهو يحاول السيطرة على مسار السيارة ، لم يكن الأمر عسيراً في الأنبوب الذي يحتوي الفراغ ، استمر (عماد) في السير بهذه السرعة لدقيقتين ،قبل أن يقول :

-سأبدأ الآن في تفعيل طاقة المادة المضادة-

قالها ،ثم مد يده وضغط زراً أمامه.

زادت حالة التقرب داخل حجرة التحكم ،حتى وصلت مداها ،فالشاشات تنقل لهم انطلاق السيارة بالقوة الدافعة الناتجة عن المادة المضادة ،كما تنطلق صواريخ الفضاء ،خرج اللهب من مخرج العادم الخاص بالمحرك المعدل ،وانطلقت السيارة بسرعة خارقة في لحظة واحدة ، وصوت (عماد) يتردد في الحجرة عبر مكبرات الصوت قائلاً:

-وصلت إلى ستمائة كيلو متراً في الساعة-

كانت السيارة تزيد من سرعتها بشكل جنوني ، وقام (عماد) بتشغيل مثبت المسار ليبقي السيارة في مسارها دون انحراف ، ولم يعد بإمكان عينيه المجردة أن ترى سوي ضوء أبيض فقط ، ذلك الضوء الصادر من مصابيح السيارة ، ظل يعطي قراءات عداد السرعات بنفسه إلى حجرة التحكم.

كان المشهد مهيباً داخل حجرة التحكم ، لا صوت يقطع الصمت سوي قراءة السرعة بصوت (عماد) بين لحظة وأخرى ، ما كانت تنقله الشاشات أمر يصعب

تصديقه ، مع زيادة السرعة بهذا الشكل الجنوبي ، لم يعد يمكنهم تبين شكل السيارة وكأنها تلاشت في فراغ المضمار ، هناك فقط الضوء الأبيض ، الذي بدى وكأنه كرة من النور ، ثم أخذت الكرة في التحول ببطيء وكأنها تتمدد ، حتى وصل الأمر إلى أنها تكاد تصبح شعاع من الضوء في منتصف المضمار تماماً.

أخذ شعاع الضوء في الاستطالة ، يمتد طوله بسرعة كبيرة جداً ، حتى بدى وكأن شعاع الضوء سيلتف في كامل المضمار لتتصل بدايته بنهايته ، وأمام عيون الجميع بدأ طرفي هذا الشعاع ، بدايته ونهايته ، يتقاربان من بعضهما سرعة. في نفس اللحظة التي التحمت فيها بداية شعاع الضوء بنهايته ، ليشكل دائرة كاملة من الضوء بنفس محيط المضمار ، في تلك اللحظة ارتفع صوت (عماد) يهتف بفرح:

-لقد فعلناها .. وصلنا إليها .. وصلنا إلى سرعة الضوء-

هنا فقط تمكن الدكتور (علي) من انتزاع نفسه من الانبهار والذهول الذي ألم بالجميع ، وقال دون أن يحول ناظريه عن الشاشة أمامه :

-أخبروني بالقراءات الحيوية ل(عماد)-

انتزعت عبارته الجميع من السكون ، وعاد كل منهم بسرعة لمتابعة دوره ، وكل منهم يحاول تحليل البيانات التي تنهمر كالسيل على شاشات الرصد ، في نفس الوقت الذي تزايد فيه توهج دائرة الضوء عبر الشاشات.

-لا توجد قراءات يا دكتور .. هناك أمر عجيب يحدث - قالها أحد الفنيين

التفت الجميع للفني صاحب العبارة ، هرع الدكتور (علي) وخلفه (نهي) نحو صاحب العبارة ، و (علي) يقول :

-ماذا تقصد يا هذا؟ -

وصل (علي) و(نهي) للرجل ، الذي أشار للشاشة أمامه وهو يقول :

-لقد توقفت الأجهزة عن رصد القياسات الحيوية للمهندس (عماد) فور الوصول لسرعة الضوء-

حرق الدكتور (علي) بذهول في الشاشة ، وكادت (نهي) تفقد وعيها بجواره ، فما تنقله القراءات الحيوية لـ(عماد) كان له معنى خطير جداً.

-يا إلهي ! ما الذي يحدث بالضبط ؟-

قالها أحد المتابعين لما يحدث في المضمار ، وعلى الفور عاد الدكتور (علي) و(نهي) لمكانهما الأول لينظرا ماذا هناك.

ثم كانت الصدمة ..

أمام أعينهم جميعاً ، وعبر شاشات العرض ، كان الضوء الذي يتوهج ويسطع بقوة منذ لحظات مضت ، قد اختفى ، ليس الضوء فحسب ، بل كل شيء ، ولم تعد الشاشات تنقل لهم سوى فراغ المضمار.

لقد اختفت السيارة وبداخلها (عماد)،

وهنا سقطت (نهي) فاقدة الوعي.

(٤٤)

صدمة وذهول ورعب ،هذا هو شعور الدكتور (علي) ،وشعور كل الحاضرين في حجرة التحكم ،في هذه الساعة المتأخرة ،لقد اختفت السيارة ومعها (عماد) ،وسقطت (نهى) مغشي عليها.

ارتفعت الاصوات وامتزجت وتداخلت بعشوائية ،فتساهم الاصوات في زيادة حدة الموقف ، التوتر والقلق يبدوان متناغمان داخل حجرة التحكم.

انحنى الدكتور (علي) مقترباً من (نهى) القريبة من قدميه ، قاس نبضها من معصم يدها اليسرى ، ثم اعتدل واقفاً واخرج هاتفه المحمول ، وضغط على شاشته بأصابع مضطربة ، قبل أن يضعه على اذنه ، وما إن اتاه صوت محدثه حتى قال بعصبية:

-أنا الدكتور (علي) ، توجد حالة طوارئ في معلمي الخاص ،عليك أن تسرع يا هذا-
أنهى المكالمة بعصبية بالغة ، ثم اقترب من الشاشات المتعددة المخصصة للرصد ،
وجال بنظره بين ما يظهر على تلك الشاشات ، قبل أن يعقد حاجباه ويفكر بعمق.
-ما هو آخر شيء تم تسجيله؟-

سأل الدكتور علي سؤاله ،فأجاب أحد المساعدين :

-آخر ما تم تسجيله هو صوت المهندس (عماد) حين هتف فرحاً لوصول السرعة إلى سرعة الضوء -

-ثم ماذا بعد ذلك؟- سأله الدكتور (علي).

-لا شيء على الاطلاق ،لقد توقفت الأجهزة عن رصد أي شيء -

خلع الدكتور علي نظارته الطبية ،ومسح جبينه بكفه وهو يتمم:

-أكان (عماد) يهتف فرحاً أم خوفاً؟-

مال الدكتور (علي) نحو جهاز ارسال صوتي ،مثبت فوق أحد المكاتب ،وتناول الميكرفون ،وقربه من فمه ثم قال :

-(عماد) ،ألزمت معنا ؟ أخبرني بالوضع عندك -

كرر ندائه مرات متعاقبة ،ثم التفت ليتابع شاشة محددة ،وظل محدقاً بتلك الشاشة لثلاث دقائق كاملة ،قبل أن يتعد عنها بحنق ،مسح بكفه قطرات العرق التي ظهرت فوق جبينه برغم أنه يحمل منديله في جيب سرواله ، كاد يفقد جأشه تماماً ، خاصة مع اضطراب طاقمه المعاون له ،وسقوط (نهى) فاقدة الوعي ، فقد قدرته على التفكير السريع والدقيق ، لا يمكنه اتخاذ قرار الآن ، بل ولم يفهم كل ما حدث تماماً.

ارتفع صوت طرقات على الباب ، فأسرع أحد المساعدين بفتح باب الحجرة ،فظهر ثلاثة من المسعفين يحمل أحدهم حقيبة الاسعافات الأولية ، افسح الجميع الطريق أمام المسعفين ليتفقدوا (نهى) ، وبالفعل ، انحنى أحدهم يتفحصها قبل أن يشير للرجلين الآخرين ، فخرجا مسرعين.

-إن نبضها ضعيف بعض الشيء يا دكتور ، وسنقوم بنقلها للمستشفى الداخلي لتتلقى الرعاية الكافية - قالها رجل الاسعاف .

أوماً الدكتور (علي) برأسه متفهماً ، لحظات مضت سريعة قبل أن يعود رجلي الاسعاف بالمحفة الطبية ، وتعاون ثلاثتهم في تثبيت جسد (نهى) بطريقة احترافية فوق المحفة ، قبل أن يحملها الرجلين ويخرجا بها ، أما ثالثهم فالتفت صوب الدكتور (علي) وقال :

-بمجرد أن ينتهي الأطباء من الفحص الكامل ، وإعداد التقرير الطبي ،سنرسل نسخة من هذا التقرير إلى مكتبك يا دكتور -

مرة أخرى أوماً (علي) برأسه دون أن ينبس ببنت شفة ،فخرج الرجل وأغلق باب الحجرة خلفه ،ولثوان ،جمد علي مفكراً ،وقد بدأ يهدأ بعض الشيء .

ترى ماذا حدث لـ(عماد) ؟

هل دمرته السرعة الجامحة ؟

ماذا حل باحتياطات الآمان ؟

أين و السيارة ؟

هل ذاب كل شيء بفعل السرعة ؟ لا ، بالطبع لا ، المجالات المغناطيسية و تيار الكهرباء

الخفيف سيعملان على حفظ الكتلة بالتأكيد ، فما الذي حدث ؟

تدافعت تلك الأفكار في رأس (علي) ، كانت أفكاره تقوده لنهاية مأساوية لتجربة

ظن أنه سيحقق بها حلم نيل جائزة نوبل في الفيزياء ، لقد تبخر حلمه بأن يعادل

اسمه في كتب العلم وزن اسم (اينشتين) و (نيوتن) ، لقد تدمر حلم سنوات طوال ،

واجتثت شجرة العيد من جذورها ، وانطفأت شموعه في أحلك الليالي ، غير أنه كان

سبباً في هلاك (عماد) ، الذي يشجعه ويتبنى طموحه ، قد كان كل ذنبه أنه وثق

في استاذة.

-ماذا علينا أن نفعل يا دكتور؟ -

انتزعه هذا السؤال من أفكاره ، حقا ماذا يجب عليه أن يفعل ؟

للحظات غرق في التفكير ، قبل أن يقول بصوت حمل مرارة الدنيا:

-ابدءوا بمعادلة الجاذبية والضغط داخل المضمار .. أعيدوه إلى ما كان عليه-

سأله أحد الفنيين:

-ألا يشكل هذا الإجراء خطورة على المهندس (عماد) ؟-

التفت إليه (علي) ، ونظر مباشرة في عينيه وقال :

-وأين هو (عماد) ؟-

هذا هو السؤال..

أين هو (عماد) ؟

(٤٥)

لم يشعر (عماد) بمثل هذا الحماس ولا الترقب من قبل ، لقد انطلق بالسيارة المعدلة حتى وصل لأقصى سرعة لها قبل أن ينقل الحركة إلى المحرك الخاص ، المحرك الذي يستمد طاقته من طاقة المادة المضادة ويحولها إلى قوة دفع هائلة.

حين أنطلق مستخدماً هذا المحرك النفث ، الخارق للسرعات ، وجد أمامه مشهداً مبهرًا ، مشهد جعل حماسه تتضاعف ، فتتسارع معها دقائق قلبه في ترقب وشغف ، فأمامه كان يرى ضوء مصابيح السيارة الأمامية وكأنه أشعة متراقصة تخرج من المصابيح في تمايل خفيف ، المبهر أن تلك الأشعة كانت تستطيل.

كان يعلم قبل خوض الأمر أنه سيرى هذا المشهد مع تزايد السرعة لهذه الدرجات إلا معقولة ، لكن حقيقة إدراكه لهذا الأمر وتوقعه له لم تقلل من حجم انبهاره بمشاهدته يحدث فعلاً ، شيئاً فشيئاً بدأ شعاع الضوء يستطيل بسرعة ، فابتسم (عماد) ، ابتسم لأنه تذكر أمراً طريفاً ، لقد ذكره مشهد استطال أشعة الضوء بلعبة الثعبان التي تميزت بها هواتف شركة نوكيا المحمولة في بداية القرن الثالث ، كانت اللعبة عبارة عن ثعبان يزداد طوله كلما تناول طعامه لدرجة أنه من الممكن أن يلتهم نفسه.

شعاع الضوء كان يتقمص شخصية ثعبان نوكيا بحرفية ، فيستطيل بسرعة كبيرة ، ومع حركة عماد في مسار دائري ، فقد بدى له ذيل ثعبان الضوء يلوح من بعيد ، وهو يقترب من الوصول لهذا الذيل ، فقد كان الثعبان يتعاطم في الطول وغذائه السرعة العجيبة ، حتى بات من المؤكد أن هذا الثعبان سيلتهم ذيله قريباً ليصبح دائرة كاملة من الضوء المستمر.

بين لحظة وأخرى ،يلتفت (عماد) مبهورا لعدادات السرعة المطورة ،كان العداد الالكتروني يتجاوز سرعات لم يصل إليها بشر من قبل ، وربما لم يصل إليها غير البشر ايضاً ، ويستمر في إعطاء قراءات متزايدة باطراد ، وها هو الثعبان يسعى نحو ذيله. يدرك (عماد) أن لحظة التحام شعاع الضوء بنفسه هي نفس لحظة وصوله لسرعة الضوء ، وسيتحرك عندها محاطاً بالضوء من كل جانب ،تسارعت دقات قلبه وكأنها تسابق زمنها هي الأخرى ، وكان هناك شعور عجيب يسيطر عليه ، فهو يشعر بأن جسده أصبح أثقل وزناً ، وكأنه حجر فوق مقعده ، لكن دغدغات التيار الكهرومغناطيسي التي تسري في جسده من آن لآخر تؤكد أن ردائه الواقى يقوم بعمله على الوجه الأمثل.

لحظات تفصل الثعبان عن التهام ذيله بشره ، لحظات تفصل (عماد) عن الوصول للسرعة المستحيلة ، لحظات تفصل الكل عن تحقيق الحلم ، حبس أنفاسه وهو يراقب المشهد أمامه ، وعينه تنتقلان مابين مشاهدة التحام الضوء وبين عداد السرعة المطور ، يا لها من لحظات ، شعر بقلبه يكاد يغادر مستقره ، ويكاد عقله ينفجر ، وجسده يتثاقل مكانه. وحدث الالتحام.

اتسعت عيني (عماد) في انبهار ، يكاد عقله لا يصدق ما تنقله له هاتان العينان ، لقد تحقق المستحيل ،وها هو العداد الالكتروني يعلن الوصول إلي ما لم يصله بشر. -لقد فعلناها ، وصلنا إليها ، وصلنا إلي سرعة الضوء-

صاح بها (عماد) فرحاً ، لينقل الخبر للدكتور (علي) و(نهى) في حجرة التحكم ،لكن هذا الفرح تبدد بسرعة ، لقد أدرك حقيقة هامه جداً في هذه اللحظة ، رسالته الصوتية التي قالها للتو لن تصل إلى حجرة الرصد والتحكم في نفس الزمن ، فهو يتحرك بالفعل بسرعة تعادل سرعة الضوء ، مما يعني أن زمنه الآن يخالف زمن الراصدين ، عقد حاجبيه مفكراً ، فقد أصبح وحيداً إلى حد ما ، وهناك فارق زمني بينه وبين حجرة الرصد ، فعليه الاعتماد على نفسه ، على نفسه فقط .

(٤٦)

اندفعت (نهى) مقتحمة مكتب الدكتور (علي)، وهي تهتف بعصبية:

-أية أوامر تلك التى أعطيتها للفنيين يا دكتور؟-

قام (علي) من خلف مكتبه بسرعة، وتحرك مستقبلاً إياها قائلاً:

-حمدا لله على سلامتك يا (نهى)، لقد كان والدك معي عبر الهاتف وأخبرته ..،،،،،-
قاطعته :

-أخبرني يا دكتور لم أمرتهم بمعادلة المضمار للظروف الطبيعية-

صمت لحظات متأملاً انطباع الصرامة على ملامحها، هو يعرف قلقها، بل واختبره بنفسه، حتى أن ضميره يرفض أوامره السالفة للفنيين، حاول أن يهدئ ثورتها وهو يقول:

-اجلسي أيتها المهندسة لننحدث بهدوء-

سارت بجواره ليجلسا أمام المكتب الوثير، ثم قالت:

-أي هدوء يا دكتور؟ ألا تخشي على (عماد)؟-

قال:

-وأين هو (عماد)؟ لقد شاهدت ما حدث بنفسك و ..،،،،-

قاطعته مرة أخرى :

-موجود يا دكتور .. (عماد) بداخل المضمار الآن-

عقد حاجباه وسألها -ماذا تقصدين؟-

قالت:

-عندما استعدت وعيي، غادرت المستشفى مباشرة إلى حجرة التحكم، وأخبرني كبير

الفنيين بما أعطيتهم من تعليمات ، وأخبرني أنه يخشى إن أطاع التعليمات أن يتسبب في موت (عماد) وضياع كل شيء -

-أفهم من كلامك أن حال المضمار كما هو حتى الآن؟- سألها (علي)،
أومأت موافقة وقالت:

-هو كذلك ،وشكرت له تصرفه وطالبته بالحفاظ على كل شيء كما هو ،وبأنني سأتناقش معك بشأن ما هو قادم-

شعر الدكتور (علي) بضميره يصرخ فيه ، وحدثته نفسه أن كبير الفنيين أنقذه من قرار خاطئ كاد يتسبب في كارثة ، مسح جبينه بكفه وهو يعدل من وضع منظاره الطبي على عينيه قبل أن يقول :

-لا مانع لدي من إبقاء الوضع كما هو لبعض الوقت ،لكن أخبريني إلى متى يمكننا الانتظار ؟-

أجابته بعناد :

-إلى أن يظهر (عماد) من جديد -

سحبت نفساً عميقاً قبل أن تقول:

-اسمح لي يا دكتور ،أنا أعلم أن ما حدث صدمة قاسية ، صدمة جعلتني أفقد الوعي ،لكن ما إن أفقت ، حتى تكونت لدي نظرية أود مناقشتها معك-

اعتدل (علي) باهتمام وقال :

-هاتِ ما عندك-

قالت:

-لقد وصل (عماد) إلى سرعة الضوء ، وتلك السرعة تختلف عندها حسابات الزمان والمكان ،وبرغم أن المكان واحد وهو المضمار ، إلا أن زمننا ليس هو زمن (عماد) الآن ، ولهذا ربما لا يمكننا أن نراه إلى أن يقوم بتقليل سرعته في نهاية التجربة ،وعندما تقل سرعته سنتمكن من رؤيته ببساطة -

عاد الأمل يتسلل إلى الدكتور (علي) ، فبشكل أو بآخر ،حمل كلام (نهي) شيء

من المنطق ،مما دفعه ليقول مبتسماً:

-يبدو أن عملك معنا طوال الأشهر الماضية أكسبك الكثير من المعرفة الفيزيائية -
شعرت (نهى) بالارتياح ، فمن الواضح اقتناع الدكتور (علي) بكلامها ، فابتسمت
واسترخت قليلا في جلستها ، قبل أن يباغتها (علي) سائلاً:
-لكن رغم ذلك لماذا لا ترصد أجهزتنا أي شيء؟ ولم لا نرى شعاع الضوء المتصل؟-
صمتت قليلاً مفكرة ،ثم قالت:

-لقد صنعنا أجهزة رصد وقياس ممتازة ،لكن لم نختبر قدرتها لقياس المستحيل ،فما
يحدث داخل المضمار من الصعب رصده ، لأنه يحدث في زمن آخر -
ابتسم (علي) ابتسامه واسعة وقال:

-معك حق ، حتى أجهزة الرصد داخل السيارة ، لن نتمكن من استقبال رسائلها
في نفس ذات الوقت ، فهناك فرق زمني لا يمكننا تحديده بدقة ، رغم حساباتنا
ومعادلاتنا ، فرمما يكون الفارق الفعلي مختلف ، وهذا ما ستكشفه التجربة -
لم تعلق (نهى) هذه المرة ،فقال هو:

-إذاً ستظل الأمور كما هي .، إلى أن يظهر (عماد) من جديد-
تهللت أساريرها فرحة ، وقالت :

-أشكرك يا دكتور .، أشكرك -

قال وهو يقوم من جلسته :

-دعي عنك شكري ،وهيا بنا -

قامت وسألته:

-إلى أين ؟-

رفع حاجباه وقال:

-ما بك يا فتاه ! ألا تعلمين كم الساعة الآن ؟حاولت أن أخبرك بأن والدك اتصل بي

فهو ووالدتك منتظرين عودتك -

ارتبكت قليلاً ،فأسرع قائلاً:

-لم اخبرهم بالطبع بأمر فقدانك لوعيك ، خاصة بعد أن طمأنني الأطباء على حالتك-
قالت:

-أشكرك يا دكتور -

قال :

-هيا بنا ،فالطريق طويل -

قالها ،وغادرا الحجرة ليعود كل منهم إلى منزله ، وليعلننا انتهاء هذا اليوم ، اليوم

الأصعب والأغرب ، ولينتظرا النتيجة التي يتمنونها قريبة ..

ينتظرا عودة (عماد) ..

عودته من المستقبل.

(٤٧)

انتشر الخدر في أطراف (عماد)، وبدأ يشعر بتثاقل أنفاسه، و تباطأت دقات قلبه، لكن نشوه تحقيق هذا النجاح كانت غالبية عليه، حاول أن يسترخي ويستمتع بما يراه، كل ما عليه أن ينتظر لمدة ساعة واحدة ثم يبدأ في تخفيض السرعة تدريجياً، كان يسبح في بحر من الضوء، رغم أن كل هذا ليس إلا ضوء مصابيح سيارته فقط، جال بباله كيف سيكون حال (نهى) والدكتور (علي) عند عودته، هل سيمر على رحيله عنهم ساعات أم ايام أم اسابيع ؟

ظل مسترخياً ومتأملاً المشهد من حوله، رغم كونه يتحرك بسرعة كانت مستحيلة إلا أنه لا يشعر بهذه الحركة، تماماً كالمسافر بالطائرة، الذي يجلس ثابتاً داخل الطائرة ويتناول وجبة طعامه في بساطة، دون أن يشعر بسرعة الطائرة، لأنه اكتسب هذه السرعة بالفعل كونه بداخل الطائرة المتحركة، ظل على تأملاته لدقائق قبل أن يحاول السيطرة على عقله ليعود لتفكيره المنظم، عليه أن يعود لكامل تركيزه، وعليه أن يقوم بعمله، نظر إلى ساعته الذرية قبل أن يقول عبر الميكروفون المثبت في ردهائه :

-لقد مضى سبعة عشر دقيقة حتى الآن، وأنا سابح في الضوء-

لم ينتظر رداً على رسالته الصوتية، فرمما ستصل هذه الرسالة قبيل عودته للزمن الطبيعي، وربما وصلت حتى بعد عودته، عاد مرة أخرى مسترخياً، ما عليه سوى الانتظار، عاد يتأمل الضوء أمامه، ومرت به الدقائق بطيئة.

لاحظ عماد أن هناك خيوطاً دقيقة جداً سوداء بدأت تتخلل بحر الضوء الذي يحيطه، بداية ظن أنها خيالات ولم يعطها اهتماماً، لكن سرعان ما زادت تلك

الخيوط المتصلة الممتدة إلى الا نهاية امامه ، لم تزد فحسب ،بل بدأت في الاتساع شيئاً فشيئاً ، والآن لا يمكنه أن يخطئها.

خطوط متوازية ممتدة امامه ، تخترق الضوء ، وتتسع رويداً رويداً ، والغريب أنه شعر بضغط هائل على جسده ، وعادت دغدغات التيار الكهربائي التي يولدها ردائه الواقعي ، كان هذا يعني أن هناك خطراً ما.

زادت الخطوط ، وتوسعت ووضحت ماهيتها ، إنها خطوط من الظلام ، تبدد الضوء ببطيء ، مما زاد من قلقه ، هل قلت سرعته ؟ هكذا فكر في نفسه (عماد)، التفت ليقراً عداد السرعة المطور ،فاتسعت عيناه حتى كادت أن تخرجان من محجريهما ،فما رآه لا يمكن أن يصدق عقله ،لقد تجاوزت سرعته سرعة الضوء. ما الذي يحدث بالضبط ؟ كل العلماء أجمعوا أنه لا توجد سرعة أكبر من سرعة الضوء ، لكن ما هذا؟

تملكه خوف حقيقي هذه المرة ، خاصة عندما شعر بأن عضلاته كلها مشدودة ،وبدأ وعيه يتسلل بعيداً عنه بالتدريج.

ظهرت أمامه نقطة سوداء مظلمة بعيدة عنه ، كانت هذه النقطة هي مركز خيوط الظلام التي أصبحت عريضة جداً ،ثم تبين الأمر ،هذه ليست خطوط ظلام ، إنما هو الضوء أمامه الذي يتبدد ، وكأن بقعة الظلام تمتص الضوء .

تكاد رأسه تنفجر ألماً ، ويشعر بالألم في كل خلايا جسده ،ودغدغات ردائه الواقعي مستمرة لا تنقطع ،والضوء أمامه يتلاشى بسرعة مخيفة، وهو نفسه يتحرك صوب النقطة المظلمة بلا هواده ، والتي تبدو حالكة جداً ،ثم تبدد الضوء تماماً ،وغاص في البقعة المظلمة.

ظلام لم يعرفه من قبل ، حتى أن مصابيح السيارة لا يصدر عنها أي ضوء ،لا يري سوى اضاءة المؤشرات داخل السيارة ،شعر بجسده يتمزق ، وذراته تتفكك ،وعظامه تسحق ، حاول أن يصرخ ،فخرج صوته مبوحواً :

-هل سمعني أحدكم ؟ انقذوني -

عقله أجابه بأن من المستحيل أن يتلقى اجابة ، كما أخبره عقله بأن هذه هي النهاية ، كان يتألم بشدة ويشعر وكأن روحه تسلخ من جسده سلخاً ، هل هذا هو الموت؟

أبت عيناه أن تذر فان الدمع ، وبات يوقن أنها النهاية ، نهاية التجربة ، نهاية الحلم ، ونهايته هو.

الظلام يحيطه بقسوة ، حتى أن الظلام تسلل إلى أعماقه ، ظلام مرعب وقاسي ، لم يتخيل أن تكون نهايته بهذا الشكل.

وعيه يصر على الرحيل ، وربما هي روحه التي ستغادره ، لم يعد متأكداً من أي شيء ، وهو ينتظر مصيره المحتوم ، وإصرار عقله على الغرق في الظلام الدامس يتعاضم .

أغمض عينيه ، واستسلم تماماً ، وهو يتنفس بصعوبة بالغة ولا يقدر على النطق ، فردد الشهادتين في نفسه .. وغاب.

غرق في ظلام تام ، راح في ثبات عميق .. وأخيراً.

(٤٨)

أشارت عقارب الساعة إلى خمس دقائق بعد السادسة من مساء يوم الأحد الخامس عشر من شهر مارس ، حين ناول (مصطفى) والد (نهى) كأس العصير للدكتور (علي) الجالس عن يساره ، ثم ناول كأساً ثانياً إلى (نهى) الجالسة عن يمينه ، ثم تناول هو الكأس الأخيرة من ذلك العصير الذي أعدته زوجته وقدمته لهم ، قبل أن يطلب منها أن تتركهم قليلاً ، يتحدثون في حجرة الصالون بمنزله .
تحدث (مصطفى) أولاً :

-عندما أخبرتني (نهى) بشأن تلك التجربة ، صدمت صدمة كبيرة يا دكتور .. لدرجة أنني لم أصدق الأمر ، وليوم كامل ظلت ابنتي تشرح وتوضح تلك الأمور التي قمتم بها- .

(علي):

-اتفهم مشاعركم جيداً يا (مصطفى) .. ولا أنكر أنني تعرضت للصدمة مثلكما ، لقد كان (عماد) بمثابة الابن الذي لم انجبه- .

قالت (نهى) باستنكار :

-كان ؟! - .

نظر لها (علي) نظرة حانية وقال :

-وسيطل- .

(مصطفى) :

-أندرك ما نعانيه يا دكتور؟ .. هل تعلم بحال المسكينة (نرمين) اخته؟ .. رغم صداقتنا القديمة ، لم أتصور يوماً أن حياة الأشخاص ليست ذات قيمة عندك-

(علي) :

-لهذا أنا هنا اليوم يا (مصطفى) .، لقد شعرت بالغصة والمرارة لما حدث ، أنا لست شيطاناً يا (مصطفى) .، لقد أعددتنا كل شيء بدقة ، كل الحسابات واحتياطات الأمان ، كل شيء كان محسوباً بدقة ، لكنها إرادة الله ، حتى هذه اللحظة لا نملك جواباً قطعياً لكل التساؤلات عما حدث ، فما حدث تجاوز حدود علمنا- .
(مصطفى) :

-هذه هي ، ما حدث تجاوز حدود علمك يا (علي) ، وانظر إلى ما أسفرت عنه تجربتك تلك .، بصراحة ، لا أجد معنى ولا هدف من مثل هذه التجارب ، ما الذي يمكن أن يفيد البشر من السفر عبر الزمن؟ - .
صمت (علي) للحظات قبل أن يقول :

-لا داع لمناقشة تلك النقطة الآن يا (مصطفى) ، فأني عالم لديه من الأسباب ما يجعله مستعداً للتضحية بحياته من أجل إثبات نظريته وفكرته- .
قالت (نهى) بصوت ملؤه الأسى :

-وهل ضحيت بحياتك في سبيل فكرتك؟ -
نظر لها (علي) بصمت ، لقد أصابه سؤالها في مقتل ، وأعاد له شعوره بالذنب من جديد ، ليومين كاملين بعد التجربة لم يذق فيهما طعم النوم ، كان يحاول أن يبدوا متماسكاً في الجامعة وفي المعمل ، لكن عندما يختلي بنفسه ليلاً ، يشعر بالذنب ، لم يشعر بعذاب الضمير كما يشعر هذه الايام ، خسارته للنجاح لا تساوي خسارته لـ(عماد) ، هذا ما تأكد منه.

قال (علي) بصوت خافت وعينين زائغتان:
-ما حدث لم يكن في الحسبان أبداً- .
ثم رفع عينيه صوب (نهى) وقال:
-ولكن يجب علينا تجاوز الأمر .، أليس كذلك؟-
همت (نهى) بالكلام ، لكن والدها بادرها وقال:

-ما الذي تقوله يا (علي) ؟ .. يبدو أن فترة عملك في الخارج غيرت فيك الكثير ، ما حدث لا يمكن تجاوزه بسهولة .. ذلك الشاب ، ورغم قصر فترة معرفتنا به ، إلا أنه دخل قلوبنا بخلقه وطيبته ، ولو كنّ على علم بما قمتم به ، لمنعته هو و(نهي) من الخوض في هذا الأمر - .

تبادل (مصطفى) و(نهي) نظرة سريعة قبل أن يقول :

-ثم أنني أرسلت لك استقالة (نهي) من العمل في مركزك هذا ، ولعل الايام كفيلة بالتهوين علينا- .

(علي) :

-هذا سبب آخر لقدومي اليوم إليكما ، فأنا أتفهم غياب (نهي) عن العمل طوال الفترة الماضية ، لكن مسألة الاستقالة هذه لا يمكنني تفهمها ، (نهي) عقلية ممتازة ، وسيكون لها مستقبل كبير في مجال صناعة المحركات ، ويجب ألا ننساق خلف مشاعر وقتية ، تؤثر سلباً على مستقبلنا- .

ابتسم (مصطفى) ابتسامة شاحبة وقال:

-ألم أقل لك .. لقد تغيرت يا (علي) ، تغيرت كثيراً- .
(نهي):

-لم يعد بمقدوري أن أخطو داخل المركز مجدداً يا دكتور ، وأرجو أن تتفهم قراري هذا ، المرة التالية التي سأدخل فيها للمركز ستكون يوم عودة (عماد) بإذن الله لاستقباله-

أطرق (علي) للحظات ، ثم رفع رأسه وقال :

-لقد انتظرت عودة (عماد) بلهفة لا يمكنك أن تتخيلها يا (نهي) ، مشروع حياتي كلها متوقف على عودته تلك ، لكن وكما تعلمين ، فإن التكلفة المادية لهذه التجربة تقع بالكامل على كاهلي ، وسيتم خصمها من نصيبي من الأرباح السنوية ، فشريكي (احمد النجار) لا يعبئ بمثل هذه التجارب ، يريد فقط ما يخدم صناعته ، ولهذا اتخذت قراري هذا الصباح- .

صمت للحظات ، فتعلقت به عيون (مصطفى) و(نهي) بقلق ، وتبادل الجميع نظرات قلقة ، وتوتر الجو المحيط بهم ، فأطرق (علي) مرة أخرى وقال:
-لقد أوقفت عمل المضمار هذا الصباح- .

هبت (نهي) واقفة وهي تصرخ:

-ماذا ؟! -

اتسعت عينا (مصطفى) بهلع ، كانت (نهي) قد شرحت له مضمون التجربة ، والمراحل المتعاقبة التي خاضوها منذ البداية ، وشرحت له طبيعة عمل المضمار ، لهذا ، فهو يفهم معني ما قاله الدكتور (علي) ، وهذا ما يرعبه ، كان إيقاف عمل المضمار يعني شيئاً واحداً ..

لقد أصبحت عودة (عماد) غير ممكنة على الإطلاق.

(٤٩)

انتفض (عماد) فجأة ، أو هكذا خيل له ، لا يرى شيئاً أمامه ، فقط ظلام حالك مطبق ، شعوره بالتثاقل كما هو ، كما أنه يشعر بدوار خفيف.

ما هذا الظلام؟

وأين أنا ؟ وفي أي وقت ؟

جالت هذه الأسئلة بعقله تبحث عن اجابة ، فلم تجد ، حاول أن يحرك يديه فلم يقو ، حاول أن يحرك حتى اصبع في كفه ، ففشلت المحاولة ، ما الذي يحدث ؟ هداه تفكيره لإجابة مرعبة ، هل هو بداخل قبره؟

ارتعب لهذه الفكرة ، وانتفض بحق هذه المرة ، ومع انتفاضته انفتحت عيناه ، الآن فهم الأمر ، لقد استرد وعيه لكن لم يسيطر على عضلاته تماماً ، فكانت جفونه تغطي مقلتيه ، فغرق في أحلك الظلمات ، لكن خوفه الذي صور له أنه ربما يكون بداخل قبر ما ، جعل الادرنالين يتدفق بشكل أكبر في دمه ، فعادت له الحركة.

كان الثقل كبيراً بحق ، ويحرك اطرافه بصعوبة ، لازال بداخل السيارة ، التي تسبح في ظلام تام ، لا يدري أتعلم السيارة أم لا ، التفت إلى الساعة الذرية ، وعقد حاجباه ، يبدو أن الساعة الرقمية أصابها الجنون ، فالأرقام تتسارع على شاشتها دون أن تعطيه قراءة واحدة ، فلا يمكنه تحديد زمانه ، المهم أنه حي ، حي يرزق. من الطبيعي ألا يسمع أي صوت في هذا الفراغ ، لكن هل هو متحرك أم سكنت حركته في هذا السديم الأسود؟

إن كان متحركاً فلا بد أن يرى ضوء المصابيح الأمامية ، وإن كان ساكناً فمن الممكن أن يفهم لماذا لا يرى ضوء المصابيح ، رغم أن إضاءة العدادات في السيارة تعمل كما

هي ، ضغط برفق على دواسة الوقود ، فلم يحدث شيء ، حتى أن مؤشر السرعة لم يتحرك من مكانه ، حاول إدارة مفتاح السيارة لتشغيل المحرك ، وعاد يضغط دواسة الوقود بحرص ، فلا شيء أيضاً هذه المرة.

استرخى في مكانه ، محاولاً التركيز والتفكير بشكل سليم وغير متسرع ، لكن مع استرخائه والتثاقل الكبير الذي يطغى عليه ، وجد نفسه يسبح في ذكرياته ، (نهى) وعلاقتها الوليدة ، (نرمين) وابنتها (لجين) ، ثم تذكر والدته رحمها الله ، لا يدري لماذا خطر بباله أنها لو قدر لها معرفة أمر هذه التجربة ، لنهاه عن خوضها ، وأمرته بأن يلوذ بالاستقرار ، ويهتئ مع (نهى) بحياة طبيعية ، هذا خاطر الأخير جعله يشك أن هذا هو صوت عقله الباطن الذي كان دائماً قلقاً بخصوص هذه التجربة.

لم يدر كم من الوقت ظل على حالته هذه ، أفكاره تتلاحق كما ذكرياته ، بدأ يستعيد صفاء ذهنه ، عليه أن يقيم الموقف لعلة يجد شيء ما ، لكن ما هو ذلك المجهول الذي يبحث عنه ؟ وأين ؟ فهو الآن في مكان ما ، حيث الزمان والمكان لا أهمية لهما ، وربما لا قيمة لهما أيضاً ، فكر في فكرة عجيبة ، لماذا يظل حبساً لمقعده خلف مقود السيارة طالما السيارة متوقفة بهذا الشكل ؟

مد يده باتجاه مقبض باب السيارة ، ثم ضغط برفق على زر فتح وغلق النافذة المجاورة له ، وبالفعل انفتحت النافذة قليلاً ، راقب الموقف فلم يجد شيئاً تغير ، فتجراً أكثر ، ثم فتح باب السيارة ، نظر إلى خارجها فلم ير شيئاً ، فقط الظلام . لوح بيديه بقوة ، فحدث أمراً عجيباً ، بدا وكأن هناك تدخل يحدث حول يديه لحظة حركتهما القوية ، أغلق الباب مجدداً وعاد يفكر.

بضعة دقائق مرت عليه وهو مستغرق في التفكير ، ثم التفت يمينه يبحث عن شيء ما ، وقعت عينيه على قلمه في التجويف أسفل راديو السيارة ، مد يده بسرعة والتقط القلم ، ورفع يده بالقلم إلى أمام وجهه مباشرة ، ثم أفلت القلم من بين أصابعه ، ورغم أنه يتنفس بصعوبة ، إلا أنه حبس أنفاسه ، متحملاً الثقل الكبير على رثتيه ، فقد سكن القلم تماماً في الفراغ أمام وجهه ، بعدها دفع القلم برفق بطرف

سبأبته ،فتحرك القلم للأمام بضعه سنتيمترات ثم توقف.

عقد (عماد) حاجبيه ، لماذا توقف القلم ؟ من الطبيعي أن يستمر في الحركة حتى يرتطم بزجاج السيارة الأمامي ويتوقف هناك ،كيف توقف القلم في الفراغ رغم تلقيه قوة دافعة؟

لم يجد إجابة منطقية لسؤاله ، فجأة خطرت بباله فكرة عجيبة ، فقرر المغامرة ، وعلى الفور ، شرع يحل أحزمة الأمان ويحرر نفسه من مقعده ، ثم أطفأ محرك السيارة ، وترك المفتاح في مكانه ولم ينزعه ، ثم قام بتغيير أنبوبة الأكسجين الصغيرة بأخرى ممتلئة ، و أضاء مصابيح السيارة فقط ، وفتح باب السيارة وبلا تردد للحظة واحدة قفز ،قفز كمن يقفز في حوض السباحة ،ماداً ذراعيه أمامه باستقامة ،وما أن سبح جسده في الفراغ حتى فرد جسمه تماماً ،ورغم دروس الغوص وتمارين التحرك في حالة انعدام الجاذبية التي تلقاها ،إلا أن ما يخوضه الآن أمراً لم يختبره من قبل ،ولا يفهمه أبداً.

لقد اندفع جسده خارج السيارة ،مستمدا حركته من قوة القفزة ، وسبح لأمتار قليلة في مسار شبة مستقيم مبتعداً عن السيارة ،قبل أن يتوقف تماماً عن الحركة تحت تأثير قوة ما.

سكن (عماد) على بعد أمتار من السيارة القابعة خلفه ، حاول تعديل وضعه ، فقد كان وجهه للأسفل ، فلم يجد صعوبة في الالتفاف وكأنه يتقلب فوق سرير خفي ، رفع جزعه ، فاعتدل ، كان وكأنه جالساً ممدد القدمين ، لكنه جالس في الفراغ ، قوة ما تساعد على الحركة وتوقفه مكانه ، من الطبيعي أن يظل متحركاً للأبد في الفراغ بلا جاذبية كما تقر قوانين الفيزياء ، لكن هذا لم يحدث ، نظر ناحية السيارة ، كان المشهد عجبياً ، المصابيح مضاءة لكنها لا تضيء ما حولها ، ولا تنعكس على أي شيء في محيطها ، ربما لا يوجد أي شيء تنعكس عليه ، فكانت المصابيح وكأنها ملونه بلون أصفر زاهي فقط.

حرك نفسه للأمام باتجاه السيارة ، فتحرك ببساطة ، وكأنه يسبح في مياه عالية

الكثافة ، ظل يتحرك صوب السيارة ، ثم رفع جزعه مائلاً للأعلى ، فمر من فوق السيارة مباشرة ، وعبرها كسباح ماهر ، ثم مال يساراً ودفع نفسه حتى عاد إلى باب السيارة المفتوح ، ومال ودفع نفسه ليلج إليها بنعومة ، ثم أغلق الباب من جديد. شعر بحماس كبير ، وحيرة أكبر ، غرق في تفكير عميق ، وتساولات كثيرة ، فجأة بدى وكأنه توصل لشيء ما. توصل للحقيقة.

(٥٠)

الفيزياء تفسر الحركة في الفراغ ، لو أن جسماً تلقى قوة دافعة في الفراغ ، فإن هذا الجسم سيتحرك إلى ما لا نهاية ، وهو ما لا يحدث لـ (عماد) لسبب بسيط ، هو ليس في الفراغ ، فهو داخل المضمار الدائري ، والمضمار نفسه تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية ، وهذه الجاذبية هي التي تحد من حركته الآن ، لكن يبدو أنها تضاعفت عشرات المرات على الأقل.

كان هذا الاستنتاج الذي توصل (عماد) إليه ، شعر بسعادة لأنه اكتشف سر الحركة العجيبة هذه ، الآن فهم لماذا توقف القلم ، ولماذا توقف هو نفسه عن اندفاعه وهو يسبح خارج السيارة ، وإن كان لم يجد مبرراً مقنعاً لتضاعف الجاذبية بهذا الشكل.

عاد إلى حيرته مجدداً ، لو كان الأمر كما فكر ، فلماذا لم يسقط هو ولا القلم للأسفل؟

الجاذبية تجذب الاجسام نحو الأسفل ، لا تبقيها محلها ، أي وسط هذا الذي يحيط به؟

فتح باب السيارة ودفع نفسه خارجها ، استند إلى جسم السيارة ، هذه المرة كان يتحرك برفق وحرص شديد ، استقام واقفاً معتمداً على استناده على جسم السيارة ، وبحرص بدأ يرفع يديه عن السيارة حتى ابتعدت يداه تماماً عن أي شيء يتشبث به ، ورغم أنه توقع ذلك ، إلا أن دهشته بلغت مداها ، فها هو الآن يقف مستقيماً معتدلاً على لا شيء.

جمد مكانه لثوان ، هو ثابت تماماً وكأنها يقف فوق جلمود صخر ، وهو ما لا

يحدث ، اشتعلت النيران في عقله ، حاول إيجاد تفسير للأمر ، لكن ما من سبيل يهتدي إليه.

تضاربت مشاعره ، وازداد شعوره بالتثاقل ، تثاقلت أنفاسه ، تباطأت دقات قلبه ، لكنه محافظ على وعيه وإدراكه.

دفع نفسه بقوة للأعلى ، فتحرك بالفعل وكأنه يقفز من فوق أرض صلبة ، قطع مسافة بضعة أمتار بفعل الدفعة قبل أن يتوقف ، ثم كرر فعلته هذه مرات ومرات.

تحرك صعوداً نحو الأعلى واستمر في حركته الصاعدة لفترة ، ثم توقف ، ونظر للأسفل ، وهنا خفق قلبه بين ضلوعه ، لقد رأى مصابيح السيارة أسفله تبعد عن موقعه الحالي بعشرات الأمتار ، لقد قطع مسافة تتجاوز السبعين متراً صاعداً لأعلى ، وهذا له معنى عجيب وخطير.

لقد تجاوز في ارتفاعه قيمة ارتفاع المضمار نفسه ، مما يعني بأنه خارج الآن حدود المضمار.

فأين هو؟

أين؟

(٥١)

أين أنا الآن ؟

حاصر هذا السؤال عقل (عماد) ، وسيطر عليه ، أين هو حقاً ؟ لا يمكن أن يكون داخل المضمار ، ولا يمكن أن يكون خارجه أيضاً ، لكن كيف صعد لهذا الارتفاع دون أن يصل لحدود المضمار الأسطواني ، ثم ما هي طبيعة هذا المكان الذي يسبح فيه منذ فترة تجاوزت الساعة منذ استرد وعيه وإدراكه.

ارتبك (عماد) أيما ارتباك ، حتى أنه فكر لربما لم يسترد وعيه بالكامل وأن ما يعيشه ليس إلا هلاوس.

هل ما يعيشه الآن حالة ما بين الموت والحياة ؟

هل هي حالة قبل دخوله القبر ؟

هل مات بالفعل ؟

حاول التنفس ببطيء ليهدئ من روعه ، كانت أنفاسه بطيئة وثقيلة بالفعل ، انتبه إلى أنه مازال في مكانه حيث ارتفع ، نظر للأسفل مرة أخرى ، لازالت السيارة قابضة مكانها ، فانقلب في الفراغ ليدفع جسده للأسفل كما يفعل الغواصين ، وبدأ التحرك عائداً للسيارة ، وفي نفسه تمنى لو لم يخض هذا الأمر.

تمنى لو رفض الاشتراك في التجربة ، واستمر في حياته العادية ، صارته الذكريات من جديد ، لكن هذه المرة كانت ذكرياته أكثر وضوحاً ، قطع مسافة تصل إلى خمسة عشر متراً ، ثم حدث أمراً مدهشاً.

كان قد اعتاد رؤية التخلخلات الناشئة بفعل الحركة تلك التي تشبه الموجات المتولدة عند لقاء حجر في بحر ساكن ، لكنها ضعيفة ولا تنتشر ، هذه المرة كانت

التخلخلات كبيرة ، وأيضاً لم تكن بفعل الحركة ، كما أنها بعيدة عنه ولا تحيط بجسمه.

كأن الفراغ الذي يسبح فيه يتحرك.

توقف مكانه يراقب ماذا يحدث ، يبدو أن هناك شيء ما يتغلغل داخل هذا الفراغ ، ويتحرك بسرعة ، ظل ثابت مراقباً لما يحدث حوله ، وقد تسلل له بعض الخوف.

من الصعب على أي إنسان أن يمر بكل ما حدث ، دون أن يشعر بالخوف ، بل والرعب أيضاً ، تخيل نفسك في بيئة مجهولة الصفات والخصائص ، لا تعلم عنها شيئاً ، ولا عن قوانينها المنظمة لما فيها ، ووسط ظلمة حالكة لا يمكن وصفها ، لدرجة أن مصابيح السيارة لا يبتعد ضوءها عن فتيلها ولو لستيمتر واحد ، وتتنفس عبر اسطوانات الاكسجين ، بالإضافة لما يحدث الآن ، فهناك تخلخل فيما حولك وهناك أشياء تتداخل مع بعضها البعض.

فجأة ، حدث الاقتحام ، واتسعت عينا (عماد) .

فقد اقتحمت هذا الفراغ مئات الأشياء ، لم يكن قادراً على تمييز هذه الأشياء ، كما أنه لم يتحرك من مكانه ، فقد كان يشعر بالترقب وبالخوف.

ظلت تلك الأشياء على اندفاعها في كل مكان ، الأمر الجيد أنها كانت تتحرك بعيداً عنه وعن السيارة ولا تقترب منه بصورة مباشرة ، لكن الأمر الذي أزعجه حقاً أن تلك الأشياء تكاد تحيط به وبالسيارة ، فنفض عنه الخوف ولو قليلاً ، ثم تحرك بسرعة صوب السيارة.

خلال تحركه للأسفل كان يراقب الأشياء الدخيلة ، باتت قريبة بدرجة كافية ليميزها ، إنها عبارة عن شرائح من مادة ما ملونة بألوان متداخلة بشكل عجيب ، فلا يمكن تمييز لون واحد بعينه ، ربما هي من المطاط فهي تتشكل بمرونة ، وربما من الفايبر ، أو حتى القماش.

استمر في حركته هبوطاً إلى أن وصل للسيارة ، فتوقف بجوارها ، وقد لاحظ أن

حركة هذه الشرائح توقفت هي الأخرى.

لقد أصبح الآن محاصراً داخل كرة ضخمة مجوفة تماماً ، وسطحها الخارجي مكون من تلك الشرائح عجيبية الألوان.

للحظات تمنى لو أن كل هذا مجرد حلم ، كابوس على وجه الدقة ، وسيستيقظ قريباً على سريريه وفي حجرته ، لكن هو يعلم بأنه لا يحلم ، وإما هو في واقع لا يدرك أبعاده ولا قوانينه ، وعليه التعامل معه محاولاً النجاة.

ظل متأملاً سجنه الغريب ، لا بد أن هذا المكان له قوانين تحكمه ، كل ما عليه هو أن يركز ويثابر في البحث ، يجب الآن أن يتحلى بالإيمان بوجود المخرج ، ويعمل بناءً على هذا اليقين ، وعندها سيجد المخرج مما هو فيه ، وسيعرف الأجوبة لكل تساؤلاته ، فقط عليه البحث والمثابرة.

حزم أمره ، ثم اندفع صوب سطح الكرة ، اندفع نحو حدود محبسه ، لا بد أن الحل هناك ، والمخرج هناك ، كان قد اكتسب خبرة جيدة في كيفية الحركة في هذا الفراغ المخيف ، الفراغ ذو الجاذبية الخاصة.

قطع مسافة كبيرة واقترب من السطح ، وبات يمكنه تمييز ما يراه ، لكن ما رآه جعله يتوقف مدهوشاً.

لم يكن ما هو أمامه حزم من شرائح ملونة ، بل كان شيئاً أكثر غرابة وعجائبية ، إذ لم تكن هذه الشرائح ملونة ، بل كان سطحها يبت صوراً متحركة ، وكأنها شاشات عرض متلاحقة ، شاشات كبيرة جداً ومتصلة.

ظل مصدوماً مما يراه ، لكن المسافة بينه وبين هذه الشاشات لم تكن كافية ليميز ما يعرض عليها بشكل جيد ، فعاد يتحرك نحوها من جديد.

اقترب لدرجة كافية ، فكان ما يراه هذه المرة أكثر غرابة ، لم تكن شاشات بالمعني الحرفي ولم تكن كذلك شرائح من أي مادة معروفة ، هي عبارة عن حزم من الصور ، شيء لا يمكن وصفه ، صور هولوغرام باهتة ، ومموهة ، لكن الصورة التي تقع عليها عيناه تبدأ في التنقيح من تلقاء نفسها ، فتصبح أكثر وضوحاً ، ثم تبدأ الصورة في

الحركة وكأنها فيلم فيديو، شيء لم يمكن فهمه بالتأكيد.

ثبت نظره على إحدى تلك الصور، فتنتقحت من فورها، وبدأت الصورة تتحرك، فالتسعت عيناه في دهشة بالغة، كان المشهد أمامه لا يمكن أن يخطئه، فهو يري نفسه جالسا مع (مصطفى) والد (نهى)، داخل المسجد قبيل صلاة العصر، في يوم لقاتهما الأول، يوم طلب منه الزواج من (نهى).

ما الذي يعنيه هذا؟ كاد عقله يحترق من التفكير، فنقل عينيه إلى صورة أخرى، لحظات ووجد نفسه يشاهد أحد أيام العمل في المعمل، وهو يتحرك بين مساعديه ويراجع الكثير من الأوراق.

ما هذا بالضبط؟

هل هي ذكرياته تعرض عليه؟

توصل (عماد) لهذه الحقيقة بعدما تابع عدة صور، كلها لأحداث مر بها، وعاشها بنفسه، لقد أصبحت حياته مجموعة من ملفات الفيديو المتراصة أمامه، يمكنه استرجاع ذكرياته حياته كلها.

لم يدر أيفرح أم يحزن؟

هل يطمئن أم يزداد قلقه؟

السؤال الهام هنا هو أين أتت تلك الذكريات؟

كل تلك الأسئلة حاصرت (عماد) وهو معلق في الفراغ أمام ذكرياته، لقد توقع أو تمنى أن يجد المخرج والأجوبة عند حدود تلك الكرة التي أحاطت به، لكن على العكس وجد هناك الحيرة، كل الحيرة. ووجد الماضي، ماضيه هو تحديداً.

(٥٢)

جمد (عماد) مكانه ، ظل ثابتاً لمدة عشر دقائق كاملة حسب زمننا الأرضي ، وتضاربت الأفكار في رأسه ، كانت الفكرة الرئيسية التي تسيطر عليه ، هو أنه نجح في تجربة السفر خلال الزمن ، نجح بطريقة ما ، فهو الآن يستطيع أن يتحرك في زمنه الماضي ، صحيح أنه لن يتحرك بالمعني الحرفي ، لكنه يمكنه حضور ومشاهدة جميع أحداث ماضيه .

غالبه شك وريبة في ماهية المكان الذي قد حُسي فيه ، سيطرت عليه نظرية أنه ربما كان يسبح في داخل دماغه هو ، لسبب ما لا يفهمه استطاع استخراج كل ذكرياته من ثنايا عقله الواعي واللا واعي ، فربما ما يراه شيء يشبه الأحلام .

هز رأسه بلا معني ، ثم اقترب قليلاً ليتابع الصور من جديد ، مر بمراحل مختلفة من حياته ، كانت كل صورة تتصل بأخرى مجاورة لها ، لكن لم تكن الصور مرتبة ترتيباً زمنياً ثابتاً ، تارة يرى نفسه في واقفاً أمام طلابه في الكلية يقدم لهم الشرح ، وتارة يجد نفسه في مرحلة المراهقة أثناء دراسته بالمرحلة الثانوية ، هكذا دون أي ترتيب .

ظل يسبح في بحار ذكرياته المتناثرة حوله ، والحابسة له ، وكأنها وجد تسلية له ، حتى وقعت عيناه على صورة أشعلت أشجانه ، إذ كان جالساً بجوار أمه رحمها الله في صالة منزلهما ، يوم تحدثا بشأن زواجه الذي تأخر ، رؤية والدته المتوفاة جعلته يتوقف عن الحركة ، ويثبت محققاً في ذلك المشهد الذي يتكرر مرارا وتكراراً .

لقد كانت كل صورة تمثل مشهدا واحداً من مشاهد حياته ، مشهد منقول بكامل التفاصيل ، فقط ينقصه الصوت ليستمتع إلى ذكرياته .

عاد (عماد) ليتنقل مرة أخرى بين الصور المتحركة ، لكنه كان يتحرك بسرعة كبيرة

هو يبحث عن شيء ما ،عن صورة ما ،وعن شخص ما ،كان يتحرك في اتجاهات عشوائية وبشكل غير منتظم ،واستمر في حركته وبحثه إلى أن وجد ضالته ،فتوقف .
توقف أمام صورة تجمعته بوالديه ،كان حينها طفلاً صغيراً ،يجلس بين ابيه وأمه ،يتابعون شيء ما عبر التلفزيون ،كم اشتاق لوالده ،كم تمنى وجوده بجوارهما هو وأمه .

تجمد (عماد) مرة أخرى دون حراك ،وفاضت مشاعره وهو يرى نفسه بين والديه ،وكاد يغلبه الشجن ،لولا أن أضاء مصباح ما بداخل عقله ،لقد لاحظ الآن أنه لا يري ذكرياته من خلال عينيه هو ،بل يراها من زاوية أخرى ،فيري نفسه وكأنها هو ممثل يؤدي دوره ،حتى في غالب الأحلام ،فأنت لا ترى نفسك ،لكنك تعيش الأحداث ،لكن الآن ،يمكنه أن يري نفسه في الأحداث ،لا أن يرى الأحداث من خلال عينيه كما رآها في زمنها الحقيقي .

هذه الفكرة زادت حيرته ،في الصورة التي أمامه كان من المفترض أن يري والده عن يمينه ووالدته عن يساره ،وأمامه التلفزيون ويرى ما يبثه أيضاً ،لكن المشهد لم يكن مصوراً من نظريه ،ككل المشاهد ،هذا المشهد تحديداً يراه من موقع التلفزيون ،لهذا يرى نفسه بوضوح بين أبويه ،وكذلك كل المشاهد التي رآها ،كانت من زاوية أخرى .

عاد ينتقل بين الذكريات ،لكن جذبت انتباهه صورة ،فتوقف أمامها ،وفغر فاهه ،فهذه الصورة بالذات لم تكن من ذكرياته ،ولا يمكن أن تكون ،لأن هذه الذكرى لا تخصه بشكل شخصي ،كما أنها تنتمي لزمن قبل ميلاده أيضاً ،كان المشهد أمامه ينقل له جزءاً من حفل زفاف والديه .

أي عجب هذا ؟

سأل (عماد) نفسه بدهشة حقيقية ،ما يراه لا يمكن فهمه ،لا يمكن أبداً أن يكون قد شاهد هذا الحفل من قبل ،ببساطة لأن هذا الحفل لم يتم تسجيله بالفيديو ،وما رآه كان مجرد صور فوتوغرافية .

رجع لحركته الخاطفة، هذه المرة يبحث عن الذكريات المجهولة، ولم يطل بحثه كالعادة، وجد مشاهد كثيرة لوالده الراحل، في البيت وفي عمله ومع أشخاص ربما يكونوا من أصدقائه .

غرق في أعماق الحيرة، فمجرد أن يرى ذكرياته كاد يصيبه بالجنون لمجرد أنه لا يفهم كيف يرى الأحداث بهذا الشكل ومن هذه المناظر، لكنها ذكرياته وربما لعقله يد في هذا الأمر لا يمكنه استبيانها الآن، فما بالك بأن يرى ذكريات شخص آخر، حتى لو كان هذا الشخص هو والده.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فما وقعت عليه عيناه كان الأكثر غرابة، وكاد عقله يغادر مستقره، فقد رأى أمامه رجل وامرأة مسنين، جالسان على طاولة الطعام، يتناولوا طعام غذائهما، في منزل يذكر شكله وتفصيله، كما يذكر هذان الشخصان، إنهما جده وجدته .

لا يمكنه تمييز زمن هذه الصورة، فقد رحل جديه وهو بعد طفل صغير، وبعد وفاتهما بفترة قامت الأسرة ببيع بيتهما، تمنى لو يستمع لما يقولوا، ليعرف منهما أي شيء، وفي أي زمن كانوا، والمهم، من أين له بمثل هذه الذكريات وبهذا الوضوح والنقاء ؟

ظل يتحرك بعصبية لنصف ساعة كاملة بتوقيتنا الأرضي، وهو يرى ذكريات وأناس لا يدري عنهم شيئاً، هل هم من عائلته ؟ أي جنون هذا ؟

ومع تحركاته القلقة، تبين شيئاً لم يلحظه من قبل، شيئاً مربعاً بحق، جعل الدماء تتجمد في عروقه، ويتصاعد إلى أذنيه صوت دقات قلبه البطيئة الرتيبة، كقرع الطبول، لقد لاحظ أن محبسه قد ضاق عليه، ونقص حجمه بشكل كبير، نقص لدرجة مرعبة، من الواضح أن هذا السجن المصور أخذ في التقلص تدريجياً دون أن يشعر.

كان شعوره بالزمن يختلف عما نشعر نحن به، فما يحسبه بضع دقائق مرت عليه في محبسه العجيب هذا، قد تجاوز الساعات الأربع بتوقيتنا .

حاول أن يستجمع شتات نفسه، ويفكر بروية، باحثاً عن مخرج النجاة، دفع

جسده بقوة أكبر هذه المرة، عليه أن يتحرك بسرعة، واقترب كما لم يقترب من حدود سجنه الفوتوغرافي، حتى أصبح يبتعد نصف المتر فقط من الجدار المصور، وحاول ألا يركز بصره على أي من الصور، وهو يمد يده بحرص محاولاً ملامسة هذا السطح.

لامست أنامله سطح واحدة من الصور، فتموه المنظر عليها وبات أشبه بلوحة سقطت فوقها كل الألوان المعروفة، وبات شكلها عجيبياً، لكن الأعجب كان خامة الصورة، أو خامة هذا السطح الحابس، كان وكأنه من المطاط اللدن، رغم هذا حاول (عماد) اختراق هذا السطح، وظل يدفع يده بقوة، فينحني السطح استجابة لضغطاته، فسحب يده للخلف ثم دفعها دفعة قوية، فاخترقت أصابعه الحد المرن. تجاوزت أصابع (عماد) سطح الكرة بسنتيمترات، حتى أن كفه كله لم يخرج من الحاجز، وبمجرد ما تجاوزت أنامله الحدود الكروية، جذبته قوة هائلة للخلف، فوجد نفسه في أقل من ثانية في مركز الكرة تماماً.

لكن يبدو أن محاولته هذه غيرت شيء ما، فقد تسارعت حركة الكرة، وزادت سرعة تقلصها على نفسها، وعلى (عماد)، هنا تذكر السيارة، ودون لحظة تفكير، قلب نفسه واندفع للأسفل، وفي ثوان وصل للسيارة، واندفع بداخلها، ثم أحكم إغلاق الباب.

كان يراقب تقلص حجم الكرة برعب حقيقي، في غضون دقائق معدودة ستلتهمه الكرة، كرة الذكريات.

اعتدل فجأة وقد لمعت عيناه، وبسرعة ثبت أحزمة الأمان حول جسده، ثم مد يده يفتح درج السيارة، وسحب منها واحدة من الاسطوانات الحابسة، تذكر أنه يحمل معه اسطوانتين حابستين للمادة المضادة ليستخدمها إذا دعت الحاجة، هذه هي وسيلة النجاة.

بسرعة انحنى للأمام، وقام بفك غطاء مستطيل الشكل من الفايبر، نزع الاسطوانة الحابسة التي استخدمها في بداية الرحلة، ثم اعتدل يراقب الكرة التي تقترب منه أكثر فأكثر، انحنى مرة أخرى وثبت الاسطوانة الثانية في مكانها وأعاد الغطاء مكانه

،واعتدل .

نظر إلى درج السيارة ،لازالت هناك اسطوانة متبقية ،ردد في خفوت :

-لقد كان علىّ فعل هذا منذ وجدت نفسي هنا-

أدار محرك السيارة ،وضغط دواسة الوقود ،في نفس اللحظة التي ضغط فيها الزر الخاص بتشغيل المحرك النفاس واستخدام طاقة المادة المضادة ،وهنا انطلقت السيارة بقوة وسرعة هائلتين ،لدرجة أن عماد تراجع بعنف كبير في مقعده ،فارتطمت مؤخرة رأسه بخوذته في عنف ،نتيجة ارتطام الخوذة بمقعده ،ودارت عينيه في محجريهما ،وزاغ بصره وهو يندفع بسرعة خرافية ليخترق سجنه الغامض ،وفي أقل من ثانية واحدة اخترقت السيارة الكرة الآخذة في التقلص ،تقريباً في نفس اللحظة التي تقلصت الكرة على نفسها تماماً وتلاشت .

ولم تكن الكرة فقط هى من تلاشت ،فقد تلاشى وعي (عماد) تماماً .
وسقط مغشياً عليه في مقعده .

(٥٣)

بدأ (عماد) يسترد وعيه تدريجياً، أول ما شعر به هو ذلك الصداع الذي يعصف به، كان جفناه ثقيلاً، ورغم أنهما منسبلين، إلا أنه أحس بسطوع ضوء أبيض قوي، كان يدرك أنه ممدداً فوق فراش ما، ثم بدأ يشعر بالألم في سائر جسده، وهناك أيضاً شعور بالوخز في مواضع مختلفة من جسده.

ببطيء وحذر فتح عينيه، بالكاد فتحهما حتى بهره الضوء القوي، آلام الصداع تجعل هذا الإضاءة العادية مبهرة بالنسبة له.

حاول التعود على الرؤيا تحت هذه الإضاءة، ورويدا رويداً بدأ يكتشف مكانه.

هو ممد فوق فراش ابيض، في غرفة كل ما فيها كساه اللون الأبيض أمامه مباشرة خزانة ملابس كبيرة، وعن يمينه كرسيين من الخشب، ومثلهما عن يساره أسفل النافذة الوحيدة للغرفة، يتصل بذراعه الأيمن انبوب دقيق ينتهي بكيس محلول مائي معلق فوق حامل معدني، وهناك بضعة أسلاك تصل بين جسده وبين آله بها شاشة، تظهر قياس نبضه وضغط دمه، هناك شيء ما معلق برقبته، تحسس هذا الشيء بيده اليسرى، فما هو إلا قناع صغير للتنفس.

لا يحتاج للكثير من الذكاء ليفهم أين هو، هو طريح فراش أحد المستشفيات.

حاول جاهداً أن يتذكر أي شيء، ما الذي جاء به إلى هذه المستشفى ؟

ربما تعرض لحادث سير، ولهذا ينتشر الألم في جسمه بالكامل، لكنه لا يشعر بوجود كسور في عظامه.

هو لا يذكر أي شيء حدث له قبل أن يستفيق منذ دقائق، لا يذكر شيء على الإطلاق، عقد حاجباه وقد اعترته الحيرة، فهو لا يذكر حتى اسمه.

كان مستلقياً في فراشه هذا وقد ارتفع نصفه العلوي قليلاً، ويبدو أن القائمين عليه ضبطوا السرير المعدني على هذه الوضعية، بحث بنظره عن أي شيء حوله يمكن أن يفيد، فمد يده على طولها حتى وصلت أصابعه إلى زر الاستدعاء المتدلي بجوار الفراش، فأمسكه ضغطه بضعة ضغطات متتالية، ثم أفلته من يده وأراحها بجواره كما كانت.

أقل من دقيقة واحدة مرت عليه، قبل أن يفتح باب الغرفة ويدخلها فتاة شابة، ترتدي ملابس الممرضات البيضاء، والتي ما إن رآته مستيقظاً، حتى هرعت تقرأ ما تدلي به شاشة جهاز قياس المعدلات، وتنهدت بارتياح، ثم التفت إليه باسمه وقالت: -حمداً لله على سلامتك، سآتي بالطبيب على الفور-

هم (عماد) بالنطق، لكنها استدارت وانصرفت بسرعة، كان متخبطاً، ولا يذكر أي أحداث.

أغمض عينيه منتظراً وصول الطبيب، فهاجمته رؤيا لمشاهد متلاحقة، فيرى نفسه خلف مقود سيارة ما، فتح عينيه بسرعة، هذه ليست رؤيا، فهو مستيقظ ولم ينم، ربما هذه ذكرى، فكر أنه تعرض بالفعل لحادث سير وهو يقود تلك السيارة التي مرت بباله.

سمع طرقتين على الباب قبل أن ينفتح ويدخل منه شاب في أوائل العقد الثالث من عمره، يرتدي ملابس طبية خضراء اللون، وتصبه نفس الفتاة، الممرضة. اقتربا منه، وعلى ملامحهما شيء من الفرحة والراحة، تحدث الطبيب أولاً وقال: -حمداً لله على سلامتك أيها البطل-

ثم ألقى نظرة على جهاز المعدلات الحيوية، قبل أن يلتفت إلى (عماد) مرة أخرى ويقول:

-لقد تحسنت حالتك كثيراً اليوم،. أتدري كم ظللت فاقداً لوعيك-

هز (عماد) رأسه نافياً وقال:

-أنا لا أذكر شيء -

قال الطبيب:

-فقدان مؤقت للذاكرة .. شيء متوقع ،هل تذكر اسمك ؟ -

هز (عماد) رأسه نافياً ولم ينطق ،فسأله الطبيب :

-ألا تذكر شيئاً على الإطلاق ؟ -

عقد (عماد) حاجبيه وقال:

-أذكر أنني كنت أقود سيارة ما ،لكن لا شيء عدا ذلك ،هل تعرضت لحادث ؟ -

ابتسم الطبيب وقال:

-أنت فقط من يمكنه اجابة هذا السؤال -

(عماد) بدهشة :

-أنا ؟! -

أوماً الطبيب الشاب برأسه موافقاً ،ثم قال مبتسماً:

-حاول أن ترتاح ولا ترهق نفسك بالتفكير ،هي مسألة وقت قبل أن تسترد ذاكرة ..

فقدان الوعي ليوم ونصف اليوم ليس بالأمر الهين -

اتسعت عينا (عماد) وقال:

-يوم ونصف !-

-هذا منذ تسلمناك .. من الممكن أن المدة الحقيقية تزيد قليلا عن ذلك -

قالها الطبيب ،واستدار منصرفاً ،خرجت الممرضة أولاً ،لكن الطبيب توقف بالباب

ونظر ناحية (عماد) وقال:

-حاول أن تنال قسطاً من الراحة ،وبعدها يمكنك تناول وجبة بسيطة لا ترهق بها

معدتك ،وصدقني .. لن تدم حالتك هذه طويلاً إن شاء الله -

قالها الطبيب وخرج وقد أحكم الباب خلفه ،تاركاً (عماد) ليغرق في بحر من

الحيرة.

(٥٤)

لم يتمكن (عماد) من النوم، فقد اشتعلت الأفكار برأسه، من هو؟ كان هذا هو السؤال الأهم، دخلت عليه الممرضة بعد وقت ما، لا يذكر كم مر عليه من الوقت قبل أن تدخل هي، كانت تنزع عنه أنبوبة المحلول المائي لتحرر ذراعه، ثم سألته: -ألا تريد أي شيء؟-

قال بسرعة:

-هل يمكنك أن تخبريني باسم الشخص الذي أوصلني للمستشفى؟-

قالت:

-لقد وجدتك سيارة العاملين بالمركز على مقربة من هنا داخل سيارتك، فأبلغونا وتم نقلك إلى هنا -

سألها:

-أنحن في مستشفى أم في مركز طبي؟ وأين نحن في الأساس؟-

أجابته:

-أنت في المستشفى التابعة لمركز الأبحاث والعلوم الحديثة -

لم يكن هذا الاسم يعنى له شيء، لكن هناك ألفة ما وجدها في اسم المركز، فسألها مجدداً:

- أم تكن هناك أي أوراق تدل على شخصيتي؟-

قالت:

- لقد سمعت أنهم وجدوا كثير من الأوراق في السيارة، لكن من لديه الإجابات حقاً هو الطبيب (مجدي) الذي زارك عند استيقاظك، خاصة أنه جلس فترة طويلة مع

زائرك ليلة أمس -

شعر (عماد) بالأمل يتسلل إليه:

-ومن هو ذا الذي زارني؟ - سألها عماد.

أجابت :

- لقد زارك مدير المركز ،لابد وأنه سمع عن حالتك ،ووجودك بالقرب من المركز ،فقرر زيارتك ليعرف سبب وجودك هنا مثلاً ،كما قلت لك ., لقد اجتمع بالدكتور (مجدي) لفترة -

قال :

- حسناً ., هل يمكنك إخبار الطبيب بأني أريد لقائه -

هزت رأسها وقالت:

-لقد انتهت نوبته وانصرف منذ قليل ،وقد أمر بتحضير وجبة خاصة لك ،وستأتيك

قريباً ،عليك تناول عشائك والنوم حتى الصباح ،لحين عودته إن شاء الله -

قالتها ،ثم استأذنت وانصرفت ،ليعود (عماد) لحيرته مجدداً.

وعليه قضاء ليلته منتظراً الصباح ،ومنتظراً للطبيب (مجدي)،

فرما يجد لديه بعض الأجوبة .

أو كل الأجوبة.

كانت ليلة ليلاء ،كلما غفا (عماد) فيها لدقائق ،تهاجمه مشاهد متقطعة من حياته ،لم يتمكن من الربط بين هذه المشاهد ،وكلما جاءته رؤيا ما ،أفاق بعدها ،وظل يفكر فيما رآه دون جدوى ،فيغفو مجدداً.

شاهد نفسه يعمل في الجامعة ،ويدرس للطلاب مادة الفيزياء ،ووجد نفسه مرة أخرى يعمل في مكان ما غير الجامعة ،فارتبك وإن تأكد من أنه يدرس الفيزياء ،كان هذا أمر قطعي بالنسبة له.

ثم رأى نفسه ،وهو يرأسل فتاة ما ،غير أنه لم يتبين اسمها ،ولا ما كان يكتبه لها ،كانت رؤياه مشوشة هذه المرة .

مرة أخرى يشاهد نفسه في مكان العمل الذي رآه من قبل ،ومع الكثير من الشباب ،ويبدو أنهم يعملون جميعاً على أمر هام للغاية ،لكن لم يتبين ماهية هذا الأمر ،كما لم يتعرف على أي من كانوا معه.

ظل تائهاً في ذكرياته التي تتلاحق بشكل عشوائي ،وباتت لديه فكرة أنه يعمل ضمن فريق على مشروع مهم ،وهو أيضاً تعرض لحادث ما ،إذ أنه لطالما رأى نفسه خلف مقود تلك السيارة ،لكن ما أخبرته به الممرضة لا يؤكد فكرة الحادث هذه . مرت الليلة عليه على هذا المنوال ،لقطات سريعة خاطفة من حياته ،تارة توضح له شيئاً ،وتارة أخرى تزيد من حيرته ،إلا أن جاءته رؤيا واضحة جلية.

عادت له ذكرى يوم ناقشته والدته بأمر الزواج ،هذه الذكرى بالذات لا تفارقه ،هو متأكد من ذلك الآن ،كما أنه متأكد من أن تلك السيدة والدته ،لا يمكن أن يخطئها أبداً.

استيقظ من رؤياه ،وكان وقت الفجر قد دخل بالفعل ،هذه المرة بدأ الضباب ينقشع عن عقله ،فقد تذكر والدته ،وهو الآن يتذكرها في واقعه ،بدأت ذكرياتهما تنساب ببساطة إلى عقله ،حتى ذكرى رحيلها المؤلمة قد عادت إليه ،عادت حاملة معها حزن وآسى كبيرين ،فترقت عيناه بالدموع ،لم يكن يتصور أن أول ما سيتذكره هو هذه الذكرى ،يشعر أنه فقد كل سعادة في هذه الدنيا برحيلها عنه .

غالبه الحزن حتى تسلل الخيط الأول من نور الصباح ،وبدأت الشمس تستعد لرحلتها اليومية ،وقد ذهب عنه أي شعور أور رغبة للنوم ،جاهد حتى تمكن من التقلب على جنبه ،كان يشعر ببرودة لأن ظهره متعرق ،لكن مع بداية الشروق ،خيل له أن شمس ذاكرته هي الأخرى قد أشرقت .

ابتسم وهو يرى تبدد الظلمة ،ليحل محلها نور الصبح عبر زجاج نافذة الحجرة ،لكن ليس المنظر الخلاب هو ما جعله يبتسم .

لقد ابتسم حين تذكر شيء هام ،هام للغاية.

أن اسمه (عماد).

(٥٦)

تجاوزت الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ،تحديداً ربع ساعة بعد الثامنة
عندما دخل الدكتور (مجدي) إلى حجرة (عماد) ،مرتديا ملابسه الخضراء الطبية
،وابتسم ابتسامه ودودة وهو يقول :

-صباح الخير أيها البطل .. كيف حالك هذا الصباح؟ -
اعتدل (عماد) ثم قال باسمًا :

-صباح الخير أيها الطبيب ،يمكنك مناداتي (عماد) -

رفع (مجدي) حاجبيه وهو يقترب من الفراش حيث يرقد (عماد) ،ثم جلس على
المقعد المجاور للفراش وقال:

-إذاً فقد بدأت في استعادة ذاكرتك .. حمداً لله ،لقد تجاوزت الأمر بسرعة لا بأس
بها -

قال (عماد):

-لقد تذكرت أشياء كثيرة .. لكن هناك الكثير يظل مجهولاً من ماضيّ -
(مجدي):

-لا تقلق ،ستتمكن من استعادة كل شيء في وقت قريب بإذن الله ،وربما ستساعدك
زيارة الدكتور (علي) على التذكر بشكل أسرع -

قطب (عماد) حاجبيه محاولاً تذكر أي معلومة بخصوص صاحب هذا الاسم ،ولم
يغب ذلك عن الطبيب الشاب فقال:

-من الواضح أنك لا تتذكر الدكتور (علي) -

-الاسم يبدو مألوفاً ،لكن لا أتذكر شيء .. لا أتذكر -

قالها (عماد) وهو يشعر بارتباك وحيرة ،هو متأكد من أنه يعرف الدكتور (علي) تمام المعرفة ،لكن وبشكل غريب لا يذكر عنه شيء ،كان حائراً بين شعوره وذاكرته الضبابية .

-لا بأس ،سيكون الدكتور هنا قريباً ،فقد أخبرني أنه ينهي بعد المكاتبات الضرورية ،وسياأتي بعد ذلك من فوره -

قالها (مجدي) وقام يراجع الأجهزة المتصلة بجسم (عماد) ،ثم دون بعد الملاحظات في دفتر صغير يحمله معه ،وانصرف بهدوء .،

حاول (عماد) جاهداً أن يحث ذاكرة على الاستفاقة ،واستعادة ما أهملته ،خاصة بخصوص الدكتور (علي) ،لكن قواه قد خارت ،واستسلم للطبيعة البشرية ،فهو لم ينل قسطاً من النوم بشكل جيد ليلة أمس ،فترك نفسه للسلطان ،سلطان النوم.

(٥٧)

لم ينعم (عماد) بحظٍ مع النوم هذه المرة أيضاً، فلم تكن الساعة تجاوزت العاشرة والنصف عندما أيقظه الطبيب (مجدي) برفق، ففتح عينيه بتثاقل وتكاسل، مما جعل بعض الألم يضرب رأسه كذلك.

فتح (عماد) عينيه، لابد أن يكون هذا الرجل هو الدكتور (علي)، هو متأكد من هذا.

اعتدل جالساً، فساعده (مجدي) في الاعتدال بأن قام بضبط وضعية السرير الطبي، ليرفع نصفه العلوي قليلاً، فشكره (عماد) على المساعدة، ثم قال:
-لابد وأنتك الدكتور (علي). أليس كذلك؟
عدل الرجل منظاره الطبي الأنيق، ثم قال:
-بلى. أنا هو ذا -

جلس (مجدي) و(علي) فوق الكرسيين الخشبيين بجوار السرير جهة اليمين، (مجدي) هو الأقرب إلى (عماد)، و الدكتور (علي) تالياً، وما إن استقروا حتى قال الأخير:

-أتمنى أن تكون قد استعدت ذاكرتك كاملة يا ...-

بتر عبارته وهو يتبادل نظره خاصة مع الطبيب، فأطرق هذا الأخير برأسه صامتاً، في حين قال (عماد) بعفوية:

-اسمي (عماد)، وأنا مدرس مساعد لمادة الفيزياء بكلية الهندسة ..حسبتك تعرف شخصيتي يا دكتور-

للمرة الثانية يتبادل (علي) و(مجدي) نفس النظرة الخاصة، وأيضاً للمرة الثانية

أطرق الطبيب صامتاً، فشعر (عماد) بالريبة، مما دفعه ليتسائل:
- هل هناك من شيء ؟ أشعر وكأنكما تكتمان عني أمراً -
سأله (علي):

-أحقاً أنت (عماد)؟-

قطب (عماد) حاجبيه، وقال:

-نعم، إنه أنا -

-وما الذي يجعلك واثق تمام الثقة ؟ ألم تفقد ذاكرتك ؟-

ارتبك (عماد) بشدة، ربما يكون (علي) على حق، هو متأكد من اسمه، كما هو متأكد من والدته، لقد تذكر لمحات كثيرة تجمعها بها، لكن يبقى هناك ذلك الشك الذي نثره الدكتور (علي) في وجهه، فقال:

-لقد تذكرت أحداث كثيرة من حياتي بالفعل، أنا (عماد السيد) كما أخبرتكم، وكنت آمل أن تأتيان بالمساعدة، لا بالحيرة، رجاء لا تشككون في شخصيتي، فهذا كل ما لدي حتى الآن -

صمت ثوان لم يحدث خلالها سوي تبادل صامت للنظرات بين (مجدي) و(علي)
، فقال (عماد) بعصبية واضحة:

-لقد أخبرتني الممرضة بأنكم وجدتم معي الكثير من الأوراق، لا بد وأنها تكشف حقيقة شخصيتي، وأنا أريد الاطلاع على هذه الأوراق -
(علي):

-حاول أن تهدأ .، لقد وجدنا الكثير من الأوراق، ومن بينها هويتك التي تثبت أنك
(عماد)، ورخصة القيادة .، لكن..-

قالها وصمت، فصاح (عماد)-

-لكن ماذا ؟!-

-لكن كلها مزورة -

قالها (علي)، فهو قلب (عماد) بين قدميه.

(٥٨)

شلت المفاجأة تفكير (عماد)، فها هو فاقد الذاكرة بشكل جزئي، وحبس داخل هذه المستشفى، والآن يخبره (علي) بأن أوراق هويته مزورة .

خيم الصمت على الحجرة لدقيقة كاملة، قبل أن يقول (عماد) مرتبكاً:

-أنا متأكد من اسمي، كما انني أثق أي أعرفك تمام المعرفة يا دكتور (علي)، حتى وإن لم أذكر تفاصيل أي شيء، أنا أعرفك، وأنت من سيساعدني، لا أعرف ماذا تقصد بأن أوراقني غير سليمة، أنا (عماد)، أقسم لكما على ذلك-

ساد الصمت لثوان، ثم قال (علي):

-عندما رأيته حين وصلت إلى هنا، ظننت أنك محتال بطريقة أو بأخرى، لكن حالتك الصحية، وما وجدناه معك في سيارتك، جعلني أدع فكرة كونك محتالاً، لكن أنا لا أعرف حقيقتك بالفعل-

صدم هذا الكلام (عماد)، لازال متأكداً من شخصيته، لكنه لا يفهم سبب شكوك الدكتور (علي) أبداً، وهو واثق من وجود سابق معرفة بينهما، ويشعر بأنه سيجد المخرج على يد هذا الرجل الذي يتشكك به.

-هل يمكنني مطالعة ما وجدتم بحوزتي ؟ -

قال (علي) بلهجة جادة:

-اسمعني جيداً، حتى الآن لم أخبر الشرطة بأمرك، لأنني لم أحسم أمري بشأنك بعد، ولا أعلم هل من الصواب أن تأخذ متعلقاتك أم أنتظر لبدء التحقيق الرسمي معك- لم يفهم (عماد)، فقال بقلق بالغ:

-تحققون معي؟! ولم، لقد تعرضت لحادث سير وأنا أقود السيارة، وأنتم وجدتموني

في موقع الحادث .، أليس هذا ما حدث ؟-

قال (علي) بعصبية :

-عن أي حادث وأي سيارة تتحدث ؟-

أجاب (عماد) بعصبية شديدة:

-الحادث الذي تعرضت له وأنا أقود سيارتك يا دكتور-

نظر (مجدي) إلى (علي) الذي لمعت عينيه ،أما (عماد) فقد اتسعت عيناه

،وحرق مشدوها في وجه (علي) ،تخشب لثوان ،قبل أن يقول بخفوت:

-أنا لا أملك هذه السيارة .، إنها سيارتك أنت يا دكتور (علي) .،هل ما أقوله صحيح

؟ أخبرني بالله عليك-

(علي):

-صدقني أيها الشاب ،أنا في حيرة مثلك ،أنا أمتلك سيارة من نفس الموديل وبنفس

اللون ،لكن سيارتك بها تعديلات كثيرة وعجيبة ،أما سيارتي فهي سيارة عادية جداً

،الغريب أننا وجدنا أوراق سيارتك بداخلها وكلها تشير إلى أنني مالك هذه السيارة

.. لكن هذه الأوراق كلها غير حقيقية ،ومن صنعها لك فاشل تماماً ،فرغم شكلها

الجميل وكثرة التفاصيل بها ،إلا أنها لا تشبه أبداً أوراقنا الرسمية .، صدقني أنا لا

أملك الاجوبة ،بل أنا من ينتظر منك الأجوبة-

يبدو أنني على شفا الجنون ،هكذا فكر (عماد) ،لقد تذكر فجأة أن السيارة ملك

للدكتور (علي) وهذا ما يؤكد معرفته به ،لكن ما قاله هذا الأخير مربك ومعقد ،بل

غير مفهوم ،ولا يمكن استيعابه.

قاطع (مجدي) تسلسل الأفكار عن (عماد) حين قال:

-لو أردت رأيي يا دكتور (علي) ،ربما يفيدنا اطلاع (عماد) على ما وجدناه ،في حضورنا

بالطبع ،فأنا متأكد من أن هذه الخطوة ستقلنا لموقع أفضل مما نحن فيه ،وبعدها

ستكشف الكثير من الأشياء-

صمت (علي) مفكراً ،كلام الطبيب (مجدي) به الكثير من العقلانية ،وربما

هذا هو الحل المناسب لهذه المسألة المحيرة ،فهو أمام شاب يدعي أنه شخص آخر ،شخص يعرفه هو بكل تأكيد ،لكن هذا الراقد أمامه ،ورغم التشابه الذي يصل إلى حد التطابق ،فلا يمكن أن يكون (عماد) الذي يعرفه.

-حسناً ،لا مانع لدي ،وسيتم الأمر في حضوري شخصياً -

قالها (علي) وقام من مقعده ،وتبعه (مجدي) وهما بالانصراف ،ثم توقفوا لدى الباب ،واستدار (علي)مخاطباً (عماد):

-سنعود إليك في السابعة مساءً ،وسأحمل معي أشياءك الغريبة تلك ،علها تساعدنا على فهم ما يحدث ., وسيكون بصحبتني شخص يعرفك ،يعرفك تمام المعرفة ،لعلك تتذكره حينها-

ثم خرجا وأطبقا الباب.

(٥٩)

لم يتوقف عقل عماد عن البحث عن الاجابات ،طوال ساعات النهار كلها ،وقد استحوذ التفكير على حواسه كلها ،فلم يقرب الطعام الذي قُدِمَ له ،حتى أنه لا يشعر بالجوع ،الشعور الوحيد كان شعوره بالحيرة والضياع.

ظل ينتظر حلول السابعة ،هذه المرة سيكتشف شيئاً ،خاصة حين يحضر ذلك الشخص الذي يعرف شخصيته الحقيقية ،لابد أن هذا المساء سيكون أكثر إشراقاً من الصباح.

كم كانت الساعات طويلة ،كم شعر أنها لن تنقضي حتى يصل إلى السابعة ،يجب أن يجد جديد ،هذه المرة الاحتمالات كبيرة ،سيطالع أوراقه ،وسيقابل شخص يعرف حقيقته وهويته ،هذا اللقاء سيفتح له الكثير من الأبواب.

حاول خلال ساعات الانتظار أن يبحث عن ذكرى مع الدكتور (علي) ،لقد رآه في رؤى خاطفة ،هو يعرفه بكل تأكيد ،لكن لا يذكر كيف ،كان أكثر ما يربكه هو تلك الطريقة التي تعامل بها الدكتور (علي) معه.

شغلت السيارة فكر (عماد) كثيراً ،لقد تذكر بشكل مباغت أنها تخص الدكتور (علي) ،فلماذا قادها هو ؟ ولماذا يأبى الدكتور الاعتراف بالأمر ؟ ويصر على أن الأوراق غير سليمة بالمرة ،هذا الرجل يخفي شيئاً كبيراً ،لكن مع الكثير من التفكير ،توصل (عماد) لفكرة مختلفة تماماً ،فكرة قد تجعل موقف الدكتور (علي) منه أكثر منطقية ،لكنها فكرة مخيفة.

من الممكن ألا يكون هو (عماد) حقاً ،هذا هو التفسير الوحيد الذي يبرر تصرفات الدكتور (علي) وتحفظه الدائم تجاهه ،إن صحت هذه الفكرة ،فمن هو إذناً ؟ في هذه

الحالة سيعود لنقطة البداية من جديد ،لكن عقله وقلبه يصران على هويته ،رؤيا أمه ،تدريسه للطلاب ،عمله مع مجموعة من المساعدين ،كل هذه الذكريات تخصه ،ولا يمكن أن تخص شخصا آخر ،يبدو أن كل فكرة منطقية تقوده إلى اجابات غير منطقية.

ومرت الساعات ،وانقضى الوقت ،وحلّت الساعة مساءً.

طرقات خفيفة على باب الحجرة ،فدعا (عماد) زواره للدخول ،فدخل (مجدي) أولاً ،وتبعه (علي) ،ثم وقفا ينظران تجاه الشخص الثالث الذي لم يدخل بعد ،وكأنه متردد في الدخول.

تحفزت حواس (عماد) منتظراً الزائر الأخير ،لحظات قليلة مرت قبل أن يدخل هذا الزائر ،هذه اللحظات كانت كفيhle بإثارة أعصاب (عماد) لأقصى الدرجات. ثم دخل الزائر ،أو بالأحرى دخلت الزائرة ،فتاة أنيقة الملابس ،حسنة الطلّة ،خمرية اللون ،لها عينان خضراء ،تهبانهها جمالاً أخذ.

خفق قلب (عماد) لرؤيتها ،هو يعرفها ،لقد رآها أكثر من مرة ،لكنها غائبة إلى حد ما.

دخلوا واحكم (مجدي) إغلاق الباب ،فجلس (علي) أولاً وجاورته ذات العيون الخضر ،ثم جلب (مجدي) كرسيًا من الجهة الثانية للسرير ،ووضعه بجوار مرافقيه ،ليجلس ثلاثتهم عن يمين (عماد) ،

تكلم (مجدي) أولاً:

-لقد تحسنت حالتك الجسدية بشكل ممتاز ،حمدا لله على سلامتك ،لكن لماذا لم تتناول طعامك؟ -

رد (عماد) وعيناه لا تغادران وجه الفتاه :

-شكراً لك أيها الطبيب ،صدقني ،لم أجد أي رغبة في الطعام-

رفع (علي) حقيبة جلدية ،لم يلحظ (عماد) أنه كان يحملها منذ البداية ،وناولها له وهو يقول:

-هذه كل الأوراق والمستندات التي وجدناها بحوزتك-

التفت (عماد) نحوه ،بعينين تحملان تساؤل واضح ،فهم (علي) ما يريدہ فقال:

-ألم تتذكر زميلتنا أيضاً؟-

هز رأسه نافياً ثم قال:

-رغم ثقتي في معرفتنا ببعض ،إلا أن ذاكرتي مشوشة جداً -

تكلمت الفتاة :

-مشوشة لأي درجة ؟ أخبرني ما الذي تذكره عني؟-

تنحنح (عماد) مرتبكاً ،ويظل يتطلع إلى جمالها لثوان ثم قال:

-أتذكر لمحات غير مرتبطة ،لابد أننا تزاملنا في مكان ما ،أذكر أننا عملنا سوية على

شيء ما .. أنا أعرفك معرفة وثيقة ..أليس كذلك؟-

تبادل ثلاثتهم نظرات سريعة ،ثم قال (علي):

-دعنا نبدأ بداية جديدة ،أنا يا ولدي (علي مصطفى) ،متخصص في الفيزياء ،أدرس

بالجامعة ،وفي نفس الوقت أنا مدير هذا المركز ،أتمني أن تكون هذه المعلومات

مفيدة لك-

كانت طريقته مختلفة هذه المرة ،لم يبدأ بالهجوم كما جرى في الصباح ،وقد ناداه

بقوله يا ولدي ،كل هذا طمأن (عماد) ،وجعله يصل لشيء جديد ،فقال:

-نعم يا دكتور ،نحن نعمل سويا في نفس الجامعة ،لقد تذكرت ..أنت استاذي

وداعمي ،أتذكرك الآن يا دكتور -

(علي) :

-دعني أكمل يا ولدي لأنهي حديثي كله - ثم أشار إلى الفتاة وتابع -هذه هي

المهندسة (نهى) ،تعمل في هذا المركز ،متخصصة في الهندسة الميكانيكية ،وهي

صاحبة ابتكار مانع سرقة السيارات بالتعاون مع زملائها من المتخصصين في علوم

الحاسب الآلي .. وهي في نفس الوقت خطيبة (عماد) -

اتسعت عينا (عماد) ،هذه الحسنة هي خطيبته ،لهذا يشعر بالألفة والطمأنينة

نحوها ،تفتحت أبواب الأمل كلها من جديد ،هذه الزيارة ستخرجه مما هو فيه ولا شك.

قطع عليه (علي) استرساله في الأفكار حين قال:

- سأكون صريحاً معك ،لقد كنت أحمل شكوك جمّة تجاهك ،حتى أخبرت (نهى) بأمرك ،وأطلعتها علي تلك الأوراق بين يديك ،وقد اجتمع ثلاثتنا نتباحث في ما وجدنا طويلاً ،فخرجت (نهى) والشخص الثالث بفكرة معقدة ،وسنحاول جميعاً الوصول للحقيقة-

(عماد):

- قلت اجتمعتم ثلاثتكم ،. الشخص الثالث ! أهنأك شخصاً آخر يتابع حالتي غير الطبيب (مجدي) ؟-

نظر ثلاثتهم لبعض ،وتكلم (مجدي) هذه المرة قائلاً:

- نعم ،. هناك شخص آخر يتابع ويدرس حالتك بشكل استثنائي ،لكن فضلت ألا يصحبنا اليوم حتى لا تحدث لك صدمة عند رؤيته-
- صدمة ؟! - قالها (عماد) باستنكار.

- أقصد أننا لم نتأكد من ردة فعلك حين ترى المهندسة (نهى) ،وفضلنا جميعاً أن نكتفي بوجودها فقط هذه المرة ،لكن لقد تحسنت حالتك بشكل رائع ،وستلتقي بالشخص الآخر قريباً -
- ومن هو ذا ؟-

تكلم (علي) :

- في حينه ،ستعرفه حين تلقاه ،المهم الآن ،. تفقد هذه الأوراق ،وأخبرنا بما تجده فيها

كانت الحقيبة ممتلئة إلي حد ما ،فتحها عماد ،ونظر إلى ما بداخلها ،ولفت نظره ملفاً بلاستيكيّاً كبيراً ،أما الباقي فأوراق مفردة ،فأخرج الملف الكبير أولاً ،وتركه بجواره فوق السرير ،وهم بالبحث عن متعلقاته الشخصية وأوراق اثابت هويته بين

محتويات الحقيقة ، لكن بلا سبب نحى الحقيقة جانباً ، وتناول ذلك الملف ، وقربه منه ، ثم فتح صفحته الأولى ليطالع عنوان الملف .
اتسعت عيناه بشدة ، فقد قرأ ثلاث كلمات فقط ، جعلته يصل لذروة الدهشة ، ويصاب بذهول كبير ، فقد وجد عنوان الملف هو .
-السفر خلال الزمن-

(٦٠)

قبل ذلك بنحو ثلاث ساعات، اجتمع (علي) بكل من (مجدي) و (نهي)، وفي مكتبه الخاص بالمركز، جلس ثلاثتهم، تجمعهم حالة من القلق، كان هذا القلق واضحاً جداً على ملامح (مجدي) وهو يقول:

-لو أردت رأيي يا دكتور، أفضل عدم ابلاغ السلطات بما حدث، على الأقل حتى نكتشف الحقيقة -

(علي):

-لكن كشف الحقيقة والتحقيقات ليست مهمتنا نحن أيها الطبيب، خاصة أن المسؤولية الأولى تقع على كاهلي بصفتي مدير هذا المركز -

(نهي) :

-اسمح لي يا دكتور ..، أنا أتفق مع الطبيب (مجدي)، فالشخص الموجود في المستشفى الآن لا يمكن أن يكون مجرماً أبداً، ولا داعي لتدخل الشرطة -

-ومن قال أنني أصفه بالمجرم ؟ كل ما في الأمر أننا لسنا جهة تحقيق، عملنا هنا هو العلم ولا شيء غيره -

قالها (علي) ثم قام من خلف مكتبه، وتحرك في الحجرة جيئة وذهاباً، قبل أن يتوقف ويجلس علي مقعد مجاور للطبيب، وأشار بكفه إشارة لا معنى لها وهو يقول :

-لقد رأيت صورته يا (نهي)، وأنت يا (مجدي)، لقد تعاملت معه مباشرة، لا يمكن أن يكون هناك مثل هذا التشابه بين البشر، لقد وصل لحد التطابق تقريباً -

صمت لحظة، ثم أكمل:

-الغريب هو ما وجدناه بحوزته ،لقد راجعت الملف ثلاث مرات حتى الآن ،كل ما فيه مبهر ،لكني لم أقم بهذا أبداً ،ولا أنتِ يا (نهى) ،ولا حتى هو نفسه .، أقصد ولا حتى (عماد) ،فكلنا نعلم أن السفر عبر الزمن أمر نظري فقط ،ولا يمكن تطبيقه عملياً-

(نهى)

-لكنك أكدت صحة الحسابات والمعادلات الموجودة بالملف يا دكتور (علي) -
قال:

-لقد قلت لك أن ما بالملف مبهر بحق ،المعادلات سليمة من الناحية النظرية ،لكن لم تختبر عملياً من قبل ،ودعيني أفترض معك إمكانية تحقيق فكرة السفر عبر الزمن هذه .، أولاً ،لا يمكن تنفيذها على سطح الأرض لارتباطك بجاذبيتها ووقتها ،وعليك تنفيذ التجربة خارج الكوكب ،لتحررين من زمن الأرض وجاذبيتها-
قالت :

-وثانياً ؟-

قال بعصبية :

-فكرة توليد المادة المضادة من البرق .، هذا وهم كبير ،المادة المضادة مجرد نظريات ،وربما هي مجرد خيال ،خيال يصلح لتمتلي به صفحات تلك الروايات السخيفة التي يهواها الشباب ،لكن في حقيقة الأمر ، لا يوجد اثبات على وجود المادة المضادة -
عقبت بسرعة:

-ولا يوجد اثبات على عدم وجودها كذلك-

قال (مجدي) :

-لكن تلك التجربة التي وجدنا تفاصيلها ،قد حصلت داخل مسرع الجزيئات ،وهو أمر لا يعلمه الكثيرون هنا ،حتى أنا لم أكن لأعرف بشأنه لولا قراءتي للملف -
قال (علي) بغضب:

-اسمع يا (مجدي) .، لو أتيت على ذكر المسارع مرة أخرى ،لن أكتفي بفصلك من

العمل، بل سأبلغ السلطات بأمرك .. هذا الأمر سري للغاية-

صمت للحظات ثم قال هامساً محدثاً نفسه:

-لقد أطلق على المسارع لقب المضمار في الملف .. كيف علم بأمره؟ -

قالت (نهى):

-فيم تفكر يا دكتور؟-

نظر (علي) إليها ملياً، ثم قال:

-أخبريني أنتِ، أريد أن أسمع منكما .. ولهذا طلبت عقد هذا الاجتماع -

تبادلت مع (مجدي) نظرة، ثم قال الأخير:

-رغم عدم اختصاصي بالفيزياء، لكن لدي شعور بأن كل هذا مجرد كذبة كبيرة-

نظر له (علي) باهتمام وقال:

-هيا هات ما لديك-

-ما أقصده، لو أن جهة ما أرادت أن ترسل لنا شخص لكشف حقيقة المساء..- بتر

(مجدي) عبارته بغتة، وخاف أن يكمل كلمة المسارع، فصاح به (علي):

-أكمل يا (مجدي)، لا وقت لدينا للتردد-

ابتلع (مجدي) ريقه، وقال:

-أعني لو هذا الرجل جاء لمجرد كشف المسارع، وكل ما يقوم به مجرد خدعة

محكمة، والأوراق التي بحوزته مجرد وسيلة بهدف ارباكنا، حتى يكمل مهمته -

قال (علي):

-وبعد هذا تطلب مني عدم إبلاغ السلطات بشأنه؟! .. سأفعل ما كان عليّ فعله

منذ ثلاث أيام -

قالها وهو يهم بالقيام من جلسته، فأوقفته (نهى) قائلة:

-انتظر يا دكتور، يبدو أن الطبيب (مجدي) مولع بقصص المغامرات، أنا لدي رأي

مغاير تماماً -

(علي):

-وما هو ؟ -

(نهى):

-لماذا لا نفترض أن كل ما جاء بالملف صحيح؟-

قطب حاجبيه وقال:

-وكيف؟-

قالت:

-أعني أنك و(عماد) ربما توصلتما لهذه الفكرة بعد وقت ما من الآن،وبالفعل تمت التجربة،وقتها سيكون هذا الراقد في المستشفى هو (عماد) عائداً من المستقبل - خيم الصمت على المكان،وقد أخذت فكرة (نهى) بعقلي (علي) و(مجدي) عى السواء،وللحظات،لم يُسمع في الحجرة سوي صوت الأنفاس التي تتردد في الصدور،قبل أن يقطع (مجدي) هذا الصمت ويقول:
-فكرة خيالية،. لكنها ممكنة -

تعلقت الأبصار بالدكتور (علي)،وظل هو يبحث الفكرة في رأسه،ثم نظر إليهما وقال:

-ولنفرض صحة فكرتك،فهناك أمرين غير منطقيين،. أولهما أوراق اثبات الهوية العجيبة التي يحملها ذلك الشاب،وثانيها أن موعد التجربة،. طبقاً للأوراق التجربة في الحادي والعشرين من فبراير،أي بعد قرابة الشهرين من الآن،معنى ذلك أننا بدأنا في التحضيرات وقاربنا على تنفيذ التجربة،. وهذا كله غير منطقي- صمتت (نهى)،وصمت (مجدي)،فكلام الدكتور مغلف بالعقلانية والمنطق،ولا يمكنهما تفنيد النقطتين اللتان أشار إليهما.

قال (علي):

-حسنًا يا (مجدي)،يمكنك الانصراف الآن،وسنأتي إليك أنا و(نهى) قبيل السابعة -

غادر الطبيب مسرعاً،فقالت (نهى):

-وماذا الآن؟-

قال (علي)

-سنكمل نقاشنا بعد أن ينضم إلينا (عماد) - !

(٦١)

استغرق (عماد) نصف ساعة ، في قراءة الملف الذي وجدوه بحوزته ، لم يقرأه بالكامل ، لكنه طالع معظم صفحاته ، وقرأ الوريقات التي دون فيها ملاحظاته منذ انطلق بالسيارة ، كما شعر بالثقة حين وجد بطاقة هويته ، وبطاقة الجامعة .

وضع كل شيء بجواره ، ثم قام جالسا على طرف السرير ، وابتسم ، لقد انتعشت ذاكرته بشكل كبير جداً ، لقد تذكر عمله في المركز ومشروع التجربة ، كان على ثقة في أن هذا اللقاء سيعيد له الكثير مما فقد ، وقد كان .

- ما هو تاريخ اليوم يا دكتور ؟- سأل (عماد) مبتسماً .

أجابه (علي) :

-اليوم هو الخميس ، الموافق الخامس والعشرون من ديسمبر -

ظلت الابتسامة على وجه (عماد) وهو يسأل مجدداً :

-وفي أي عام ؟-

لم يجب (علي) هذه المرة ، بل ران عليهما صمت ثقيل ، فقالت (نهى):

- نحن في عام ٢٠١٤ -

ارتفع حاجبا (عماد) واتسعت عيناه وهو يردد بدهشة :

-٢٠١٤! .. كيف حدث هذا ؟-

-هذا ما نود معرفته منك - قالها الدكتور (علي)

صمت (عماد) ، إذ لم يجد اجابة مباشر لسؤاله ، كيف عاد للماضي ؟ هل يمكن هذا

بالفعل ؟ تذكر شيئاً فسأل :

-ما هو التاريخ المسجل بالسعة الذرية في السيارة ؟-

قالت (نهى) :

-لقد كانت متعطلة ،لكن الغريب حقاً ،عندما حاولنا إعادة تشغيلها ،وجدناها
تعمل بشكل عكسي -

زادت حيرة (عماد) ،وعجز عن إيجاد الحلول ،فقال :

-كل شيء هنا مربك ،أولا تنكروني ،ثم أكتشف أننا في الماضي ،ثم أكتشف أن
الساعة الذرية تعمل بشكل عكسي .. لا أستطيع الربط بين كل هذه الأشياء -

قال له (مجدي) :

-اعتقد أنه من الأفضل أن نتركك لتستريح ،ولتتناول بعض الطعام لتسترد عافيتك
بالكامل -

قال (علي) :

-لكننا لم نحصل على اجابات وافية حتى الآن -

قال (مجدي) بعناد:

-لكن حالته يا سيدي لا تتحمل المزيد من الضغوط ،فهو لا يزال يستجمع ذكرياته
المشتتة -

قالت (نهى) :

-لا ضير من الانتظار حتى الصباح يا دكتور (علي) -

قال (عماد) :

-رجاءاً أيها الطبيب (مجدي) ،دعنا نسترسل ،فهذا فقط ما يساعدني -

-لكنك لم تتناول أي شيء طوال اليوم ، وهذا .. -

قاطعه (عماد) بقوله:

-سأتناول طعامي بعد هذا اللقاء .. أعدك بذلك-

شعر (مجدي) بالحنق وقال:

-حسناً ،سأمر بتحضير وجبة جيدة لك بأسرع ما يمكن -

قالها ثم قام مغادراً ،انصرف حانقاً ،فالتفت (عماد) إلى الدكتور (علي) وقال :

-الآن يمكننا الحديث بشكل أفضل-

قام من جلسته على السرير ،وتحرك ببطيء نحو النافذة ،ووقف أمامها يطالع المنظر خارجها ،واحترم صمته (علي) و (نهى) ،ولم يقاطعا أفكاره التي كانت تتصارع فيما بينها .

قال (عماد) دون أن يلتفت لهم :

-طبقاً لتاريخ اليوم ، فمن المفترض أننا في مرحلة التحضير للتجربة ،لكن هذا التاريخ بالذات له دلالة مختلفة بالنسبة لي -

تبادل (علي) و(نهى) نظرة خاطفة ،كان (عماد) وكأنه يتحدث إلى نفسه ،لكنه التفت فجأة وقال:

-هذا التاريخ معناه أن والدتي توفت قبل يومين فقط-

تبادل (علي) و (نهى) نفس النظرة ،ولم يعقبا عليه أيضاً ،فسار حتى جلس مرة أخرى فوق السرير الطبي ،في مواجهتهما ،ثم زفر بضيق وقال:

-هناك شيء غير مفهوم في هذا الأمر-

قال (علي):

-بل الأمر كله غير مفهوم -

-ولم ؟- سأله عماد.

تكلمت (نهى) قائلة :

-صحيح أن والدتك توفيت قبل يومين ., لكن نحن لسنا في المرحلة التحضيرية للتجربة -

-ماذا تقصدين ؟- سأل عماد.

قال (علي):

-هذا ما أحاول أن اخبرك به يا ولدي ،نحن لم نقم بالتجربة ،ولا علم لنا بها بالمرّة ،وأنا لم أذهب إلى سويسرا لأبتاع الساعات الذرية ،ولم تقم انت برحلة الصين تلك ،كل ما تخبرنا به لا نعلم عنه شيء البتة-

صاح (عماد) :

-ما الذي تقوله يا دكتور ؟ أي عبث هذا ؟-

قالت (نهى):

-ما يقوله هو الحقيقة يا ...-

لم تكمل عبارتها ،فقطب (عماد) حاجبيه ،ونظر لها غاضباً وقال:

-أأنت أيضاً تنكريني ؟-

قالت:

-الأمر معقد جداً لشرحه ،لكن ألم تؤكد أنت في ملف تجربتك هذه ،بأن التحرك

خلال الزمن يكون في اتجاه واحد فقط ،ولا يمكن العودة للماضي ؟ فبم تفسر لنا

وجودنا في ماضيك بحسب زعمك ؟-

قال حانقاً :

-زعمي ! ما خطبكما ؟تتحدثان وكأن ما أقوله درب من دروب الخيال ،كيف هو

الأمر إن لم نكن شركاء جميعا في التجربة ؟-

قال (علي) محاولا البقاء هادئاً :

-سأكرر لك ما قالتة (نهى) ،نحن لا نعلم شيئاً عما تقول -

ثم قام خاطفاً حقيبة الأوراق من فوق السرير ،وفتحها وبحث فيها عن شيء

ما ،حتى وجد ضالته ،كانت رخصة السيارة ،فناولها إلى (عماد) بعصبية ،ثم أخرج

حافضة نقوده وفتحها وأخرج منها بطاقة ما ،وناولها هي الأخرى إلى (عماد) وقال:

-هل تفسر لي ما بين يديك ؟-

نظر (عماد) للبطاقة فوجدها عبارة عن رخصة سيارة الدكتور (علي) لكنها تحمل

أرقاماً مغايرة ،بل ومختلفة تمام الاختلاف في الشكل والألوان المستخدمة ،وحتى

نوعية الخطوط.

قال (عماد) بدهشة:

-ما الذي يعنيه هذا ؟-

أخرج الدكتور (علي) بطاقة أخرى من حافظته ،وناولها إلى (عماد) وهو يقول بعصبية واضحة:

-بل قل لي ما معنى هذا أيضاً -

تفحص (عماد) البطاقة الجديدة ،فاتسعت عيناه دهشة وشكاً ،فالبطاقة كانت عبارة عن اثبات هوية الدكتور (علي) لكن مسماها هو بطاقة هوية ،وليس بطاقة رقم قومي ،وكانت مختلفة عن بطاقات الرقم القومي في كل شيء ،كانت مفاجأة غير مفهومة ،مفاجأة تزيد من الارتباك والحيرة لدى (عماد) ،بل لديهم جميعاً .
قال (عماد) بصوت واهن :

-لهذا تقول عن أوراقى بأنها زائفة -،

-بالضبط - قالها (علي) وهو يومئ برأسه موافقاً .

قالت (نهى) :

-الآن تأكدت من أنك لم تعد لنا من المستقبل -

قال (علي) : -لقد أخبرتك بذلك يا (نهى) -

ران عليهم الصمت ،وعصفت الحيرة بعقل (عماد) ،فكلما أمسك بيده ما ظنه خيط النجاة ،وجد نفسه ممسكاً بخيط من الزئبق .

قال (عماد):

-لكني متأكد من شخصيتي -

قال (علي) :

-هذا أيضاً محل شك -

نظر إليه (عماد) بعينين تحملان تساؤلا واحداً (ماذا تقصد؟)

قال (علي):

-لقد زرت (عماد) بالأمس في منزله ،وهو يتلقى واجب العزاء في وفاة والدته -

واتسعت عينا (عماد)،

فهذه المرة كانت المفاجأة مبهمة وغامضة لأقصى حد.

(٦٢)

كانت الساعة قرابة الخامسة والنصف بعد عصر نفس اليوم، عندما دخل (عماد) إلى مكتب الدكتور (علي) في المركز، فقام هذا الأخير و(نهى) لاستقباله، وقال (علي): -أشكرك لمجيئك يا (عماد) رغم ما تمر به -

جلس (عماد) على المقعد المجاور للدكتور (علي)، وهو يقول :
-لا داعي لشكري يا دكتور، فما أخبرتني به أمس شيء يصعب تصديقه، ولم أكن لأفوت فرصه أن أرى هذا الشخص الذي أخبرتني بأمره-
قال (علي):

-لكن فقدان الأم هو أصعب ما يمر به الفرد، وحضورك معنا اليوم له مردود خاص في نفسي -
(عماد) :

-دع عنك هذا الشعور يا دكتور (علي)، فأنت تعرفني منذ سنوات طوال، فما حدث قد حدث، وربما كانت الوفاة راحة بالنسبة لأمي، فقد اشتد بها المرض كثيراً في الفترة الأخيرة -

زفرت (نهى) بضيق، وهي تنظر صوب (عماد) بحنق، ولوت شفتها ممتعة، قبل أن تغمم :

-أنت إنسان عملي لا يضيع أي وقت-
رمقها (عماد) بنظرة صارمة، ثم قال:
-هل يمكنني الاطلاع على ذلك الملف ؟-
قام (علي) من مكانه وهو يقول :

-بالطبع .. سأحضره فوراً -

غادرهما (علي) ليحضر تلك الأوراق ،فنظر (عماد) إلى (نهى) بغضب وقال بصوت خفيض:

-ألن تكفي عن تصرفاتك تلك ؟-

قالت بهمس:

-أي تصرفات ؟-

قال دون أن يرفع صوته:

-أنت تفهميني يا (نهى) ،نعم .. أنا رجل عملي لأقصى درجة ،وعملي هو أهم شيء في حياتي ،بل هو حياتي كلها -

همت بقول شيء ما ،لولا أن عاد إليهما الدكتور (علي) ،حاملا حقيبة الأوراق ،جلس في مكانه وناول الحقيبة إلى (عماد) قائلاً :

-ها هي ذي-

تناول (عماد) الحقيبة بلهفة كبيرة ،وفتحها بسرعة وأفرغها فوق الطاولة أمامه ،ثم تفحص أوراق الهوية بسرعة وأعادها للحقيبة ،ثم قرأ بعض الورقات المفردة وردّها للحقيبة هي الأخرى ،ثم أمسك الملف وطالع ما فيه بشكل سريع ،ثم أعاده للحقيبة وأغلقها وتركها فوق الطاولة ،ثم اعتدل في جلسته وقال:

-هذا أمر غريب حقاً -

صمت للحظات ،ثم قال مخاطباً (علي):

-منذ أخبرتني بالتفاصيل يوم أمس ،وأنا لم أنقطع عن التفكير في الأمر ،ولقد قمت بحث صغير عبر الانترنت ،وقد تكونت لدي فكرة ما-

قالت (نهى) بلهجة تحمل شيء من السخرية :

-أخبرنا بما لديك أيها العبقري -

تجاهل (عماد) سخريتها ،وقال:

-أعتقد أن هناك نظريتين لا ثالث لهما ،فكما تعلمان نحن بصدد تجربة مسارع

الجزئيات الذي انتهينا من بنائه بشكل غير معلن ،ونحن مركز أبحاث حكومي ،وهذه الأمور تحتاج لموافقات وإجراءات معقدة ،وهناك الكثير من الموظفين قد اطلعوا علي الأمر ،فمن الممكن أن يكون هناك شخص ما أذاع أمرنا ،وعندها سيكون هذا الشخص الموجود بالمستشفى مجرد جاسوس-

(علي) بقلق :

-لقد فكر الطبيب (مجدي) في احتمال كهذا -

(عماد):

-أنت تعلم يا دكتور (علي) أن دولة الكيان الصهيوني تسعى لإنشاء مسارها الخاص ،ولا زالت تتفاوض مع بعض الدول من الجيران لتنفيذ المشروع كشراكة بينهما ،ولو وصلتهم تلك المعلومات عنا ،فربما يكون هذا الرجل هو بديل لي ،يريدون زرعه وسطنا ،لنقل المعلومات أولاً ثم لتدمير مسارنا بعد ذلك -

قالت (نهى) بتهكم:

-عليك أن تتوقف عن متابعة أفلام الجاسوسية يا (عماد) -

رمقها (عماد) بنظرة حادة وغاضبة ،وعاتبها (علي) قائلاً:

-لا داع للسخرية يا (نهى) ،فكلام (عماد) منطقي إلى حد بعيد-

ضحكت وقالت:

-أي منطق في هذا ؟ فلنفترض أنه جاسوس اسرائيلي ،فلم زدوه بهوية غير سليمة ،أعجزوا عن تزوير هوية وطنية كالتي نحملها جميعاً ؟ ولماذا أيضاً منحوه سيارة تشبه سيارتك وهي أيضاً بأوراق مختلفة لما لدينا ،والأهم من ذلك ،لماذا تركوا (عماد) الحقيقي ولم يقوموا باختطافه لتسهيل مهمة زرع البديل ؟-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً ،ثم قال ساخراً:

-الآن فقط بدأت التفكير بشكل منطقي -

رفعت حاجبيها وقالت:

-لعلهم تركوك حتى تتلقي العزاء في والدتك المسكينة ،ولربما يخطفونك غداً أو بعد

احتقن وجه (عماد) ،وأراد أن يعنفها ،لولا أن قال (علي) :

-اسمعاني جيداً أنتما الاثنين ., لا مجال لخلافاتكما الشخصية هنا ،خاصة في هذه

الظروف ،فلا تتصرفا بصبيانية ،وتعقلاً حتى نصل إلى الحقيقة -

أخذ (عماد) نفساً عميقاً ليسترد هدوئه ،وهو يحدق في (نهى) غاضباً ،ثم قال :

-ما قالته المهندسة (نهى) منطقي تماماً ،وقد فكرت في نفس المعطيات التي سردتها

هي ،ووجدت فكرة أن يكون هذا الرجل بديلاً وجاسوساً أمراً غير ممكن ،وهنا لم

أجد سوى الفكرة الثانية ،وهي أكثر جنوناً-

قالت (نهى):

-وما هي هذه الفكرة المجنونة ؟-

ابتسم (عماد) بهدوء ،ثم قال:

-أن يكون هذا الرجل من عالم آخر ،لا من عالمنا-

(٦٣)

كان لوقع الفكرة التي اقترحها (عماد) في نفس الدكتور (علي) و(نهي) أثر كبير ،فقد صمت كلاهما في محاولة لفهم ما قاله (عماد) ،مرت دقيقة كاملة قبل أن يقول (علي) :

-نحن نرفض الاعتراف بنظرية السفر عبر الزمن ،وأنت تخبرني بأن ذلك الشاب آتٍ من عالم آخر ؟ أي عالم هذا بالله عليك ؟-
رد (عماد) ولم تفارقه ابتسامته:

-من عالم موازي-

-ماذا ؟- قالها (علي) مستنكراً.

قال (عماد) :

-ها هو الحل المنطقي الوحيد -

-أي منطق هذا الذي تتحدث عنه ؟- سأله (علي) بغضب.
(عماد):

-ما أخبرتني به يوم أمس ،وما قرأته بنفسي قبل قليل في هذه الأوراق ،يؤكد أن ذلك الشاب نجح في التحرك بسرعة الضوء ،لكن الأمر الغريب هنا ،هو ما الذي حدث له بعد ذلك ؟ فقد توقف عن تدوين ملاحظاته بعد الوصول لسرعة الضوء -
قال (علي) متهكماً :

- يبدو أنك نسيت أنه من المستحيل التحرك بهذه السرعة للأجسام والكتل -
قال (عماد) :

-هذا ما تقوله النظريات ،لكن هذه الأوراق وجدت حلاً لهذه المعضلة .، لو أعطيت

لنفسك فرصة في مراجعة الأمر من زاوية ماذا لو كان ما تقوله الأوراق حقيقي
عندها ستصل إلي ما توصلت إليه -

صمت (علي) ،حاول أن يستسيغ الأمر ،وقالت (نهى):

-لقد فكرت بطريقة مشابهة لطريقتك يا (عماد) ،وطننت أن هذا الشاب هو أنت
نفسك عائداً من المستقبل ،بعد أن تكون قد توصلت مع الدكتور (علي) للمعادلات
الموجودة في الملف -

أوماً (عماد) برأسه وقال:

-وأنا أيضاً ،في البداية فكرت فيما قلتيه ،لكن وقفت أمام التواريخ ،فمن المستحيل
أن أكون أنا نفس الشخص ،وإلا لنا الآن نستعد للتجربة ،وكنت قد سافرت إلى الصين
في شهر رمضان الماضي ،وهو ما لم يحدث-

قال (علي) :

-أراكما قد اتفقتما على شيء ما أخيراً -

تبادل (عماد) و(نهى) نظرة سريعة ،قبل أن تقول (نهى) :

-لكن كيف وصل إلينا هذا الرجل ؟-

أجاب (عماد) بسرعة :

-عبر ثقب أسود -

صاح فيهما (علي):

-ما الذي تقولانه ؟لقد فقدتما عقليكما بالتأكيد-

قالت (نهى):

-فلنفترض يا دكتور أن هذا الرجل صادق ،وهو أيضاً يدعى (عماد) ،ولقد أخبتنا
بمدى الشبه بينه بين (عماد) ،ولنفرض كذلك صحة ما جاء في الأوراق ،حاول أن تفكر
من هذا المنظور قليلاً -

صمت (علي) ،فقد وجد نفسه بين شابين متحمسين لفكرة مجنونة وطائشة

،ويحاولنا إقناعه بهذه الفكرة ،فكر لبعض الوقت ،فوجد أن ما يقولانه محتمل أن

يحمل في طياته الحقيقة المطلقة ،فطبقاً لما وجدوه وبحثوه ،قد يكون هذا الأمر ممكن الحدوث ،ولو على سبيل الخيال.

قال (علي):

-حسناً ،سأفترض أنكما على حق .. فليخبرني أحدكما الآن كيف وصل هذا الشاب إلى هنا تحديداً ؟-

قال (عماد) :

-لقد علمتنا يا دكتور أن هناك الكثير من الغموض يغلف أسرار الكون ،وربما نحن أمام أحد أغرب ما في الكون ،الزمان والمكان .. لكن الاجابة القاطعة ستجدها عنده هو -

قطب (علي) حاجبيه وقال :

-عند من ؟-

(عماد) :

-عنده هو .. (عماد) الآخر .. فلو أخبرنا بما حدث بعدما نجح في الحركة بسرعة الضوء ،وقتها سينكشف اللغز-

صمت (علي) ،ونظر إلى ساعة يده ،فقد اقترب موعد لقائه بذلك الذي يتمدد فوق الفراش بالمستشفى ،ودارت برأسه عشرات الأسئلة ،فهو طوال حياته العملية يؤمن بتقليدية القوانين ،ويصعب عليه ابتلاع الفكرة العجيبة التي يتبناها (عماد) و (نهى) ،لكن هذا الأول معه حق ،فلو تمكن ذلك الشاب في المستشفى من استعادة ذاكرته سريعاً ،فسوف يكشف لهم كل شيء ،ووقتها سيجد الإجابات لتلك الأسئلة التي تكاد تفتك بعقله.

(٦٤)

منذ عرض الدكتور (علي) العمل في تجربة السفر خلال الزمن على (عماد)، وهذا الأخير يوقن تمام اليقين أن التحرك في الزمن يكون للأمام فقط، ولا يمكن فعليا العودة للماضي، حتى وإن أمكن ذلك حسابياً، فالحقيقة أنه يستحيل ذلك عملياً.

ولما خاض غمار التجربة، كان من المفترض به أن ينطلق بالسرعة الخارقة لمدة ساعتين تقريباً حسب ساعته الذرية، وعندما يوقف السيارة ويعود للزمن الطبيعي سيمكنه معرفة ما فاتته على الأرض، هل مر يوم أو نصف يوم أو أكثر من ذلك، وبعدها سيحاول إطالة مدة الحركة بالسيارة لفترة أطول وحساب الفارق الزمني وهكذا، ثم يتم الإعلان للعالم اجمع عن التجربة ونجاحها.

والآن، يجد نفسه عائداً للخلف بالزمان، ويعيش في ماضيه، ولكن الغريب أن كل من يقابله يتشكك في شخصه، وينكر تماماً عليه فكرة وخطوات التجربة.

كل هذا، بالإضافة لعدم صفاء عقله واكتمال ذاكرته، جعله لا يفكر في تلك المعضلة، هو الآن في زمن يحيى فيه بالفعل، وأصبح هناك نسختين منه، هو و هو، وربما يتمكن من مقابلة نفسه، والحديث مع نسخته الثانية، هذه الفكرة التي غابت عن ذهنه قد أربكته بشدة عندما تنبه لها، وعندما أخبره الدكتور (علي) بأنه زار (عماد) يوم أمس لتقديم واجب العزاء في وفاة والدته فقد أخذته الحيرة للحظات، وعجز عن إيجاد ما يقوله، لقد مر بهذه الأيام الصعبة من قبل، ولا يريد أن يعيش المعاناة مجدداً.

سأل (عماد) بلهجة ساخرة:

-وكيف وجدتني يا دكتور عند زيارتك لي بالأمس؟-

فهم (علي) دعابته على الفور ،فقال مبتسماً:
-كعادتك يا ولدي .. كنت متماسكا جداً ومتقبلاً لقضاء الله ،حتى أنك أتيت إلى
المركز اليوم-
(عماد) مدهوشاً :
-أنا ؟!-

ضحكت (نهى) وقالت:
-بل هو .. (عماد) خاصتنا-
هز (عماد) رأسه في حيرة ،ثم قال :
-لكن عندما توفت والدتي رحمها الله ،تغييت عن العمل لأسابيع .. أنا لا أفهم لماذا
يتغير الماضي بهذا الشكل-
قالت (نهى) :

-تغييت لأسابيع ؟ .. أرى أن إنسانيتك ومشاعرك تفوق مثيلتها عند (عماد) خاصتنا -
نظر (عماد) إليها باستغراب شديد ،لقد كررت عبارة -عماد خاصتنا- مرتين ،تلك
العبارة جعلته يشعر بوجود اختلاف كبير بينه وبين نسخته الثانية ،فسألها قائلاً:
-هل ترياني اختلف عن (عماد) الثاني كثيراً؟-
ردت (نهى) بسرعة وحسم:
-كثيراً جداً-

نظر (عماد) للدكتور (على) منتظراً إجابة لسؤاله ،فأجابه (علي):
-أنا لا أعرف الاجابة بالتحديد يا ولدي ،فأنا لا أعرفك بشكل شخصي لأتمكن من
المقارنة بينكما-

وقف (عماد) فجأة ،وحدق فيهما بصمت ،وظل ثابتاً بلا حراك لبعض الوقت
،قبل أن يقول:

-كلامكما يؤكد شكوكي-

سأله (علي):

-ما الذي يدور ببالك ؟-

قال (عماد) بحزم:

-أننا شخصين مختلفين .. وأنا لم أعد إليكم من الماضي-

تبادل (علي) و(نهى) نظرة صامته ،بعدها تعلقت عيونهم بـ(عماد) ،الذي تحرك مرة أخرى صوب النافذة ،ووقف أمامها يفكر ،وطال به الوقوف ،فبدأ القلق يظهر علي ملامح (علي) ،فقد شعر أن ذلك الواقف أمامه ،سيصل إلى نفس الاستنتاج الذي وصل إليه قرينه ،وهذا ما يحنقه ،فهو يرفض الفكرة ،ويصر على أنها درباً من دروب الخيال ،أو الجنون.

أما (عماد) ،فقد استغرق تماماً في التفكير ،لقد تأكد من أنه لا يعيش ماضيه ،فهؤلاء القوم أناس لم يعرفهم من قبل ،لكنهم صور حية لمعارفه الحقيقيين ،طباعهم وسلوكهم يختلف عن ما يألفه ،وهذا لا يعني أنه عاد بالزمان ،بل يعني أنه في مكان مختلف وزمان مختلف وبين قوم لا يعرفهم ،كل هذا معناه أنه في عالم مختلف. وجد نفسه يتذكر الكثير من المواقف والأحداث ،انطلاقه بسرعة تجاوزت سرعة الضوء نفسها ،وجوده في ذلك المكان المظلم ذو الجاذبية الخاصة ،ظهور تفاصيل من حياته وحياة والديه ووالديهم ،ثم تذكر عندما بدأ ذلك المكان في التقلص ،وهروبه منه.

رغم أن الزمن شتاءً ،وهو لا يرتدي سوى ملابس طبية من المستشفى ،إلا أن قطرات العرق غمرت جبينه ،وشعر بها وهي تنساب إلى خديه ،والتفت نحو (علي) و (نهى) ،ثم قال بصوت خفيض :

-ثقب أسود-

تهللت أسارير (نهى) وقالت باسمه:

-كنت واثقة من هذا-

في حين هز الدكتور (علي) رأسه وقال:

-حتى أنت تظن نفس الظن-

تحرك (عماد) ، والتف حول السرير ، ثم جلس من جديد في مواجهتهما ، ومال قليلاً للأمام مستنداً بكفيه إلى حافة السرير ، ثم قال :

- هذا ليس مجرد ظن يا دكتور .، لقد عبرت خلال ثقب أسود بالفعل -

خيم الصمت على المكان ، واعتدل (عماد) في جلسته ، وقد تذكر كل شيء ، فعلت وجهه ابتسامة كبيرة وهو يقول:

- هل تودان معرفة ما حدث لي-

نظر إليه (علي) بشك وسأله:

- هل استعدت ذاكرتك بالكامل ؟-

ازدادت ابتسامة (عماد) ، وقال :

- تقريباً -

قالت (نهى) بلهفة :

- حسناً .، أخبرنا بكل التفاصيل -

صمت (عماد) للحظة ، ثم بدأ يروي ، ومع تقدمه في روايته ، بدأت تتسع عيون

(علي) و (نهى) في دهشة وعدم تصديق ، إذ ما يخبرهم (عماد) به قد تجاوز أي خيال .

(٦٥)

تجاوزت الساعة العاشرة مساءً، عندما عادت (نهى) إلى بيتها، ووجدت والديها في انتظارها، فاستقبلها وجلسوا في حجرة المعيشة، حيث كان يتابع والديها احد البرامج التليفزيونية، و بدى الامتعاض على وجه والدها وهو يقول:
-أرجو ألا تكون هناك اجتماعات طارئة كهذا، خاصة بعد مواعيد العمل الرسمية -
ابتسمت (نهى) وقالت:

-لا تقلق يا والدي الحبيب، سيكون هذا الاجتماع هو الأخير من نوعه :
قال :

-لولا تأكيد الدكتور (علي) على أنه سيعيدك إلى البيت بنفسه في العاشرة لما وافقت
أبدأً على حضورك هذا الاجتماع-

التفتت (نهى) نحو والدتها وقالت :

-أتمنى أن أجد بعض الطعام المتبقي من الغداء، فأنا أتضور جوعاً-
قامت الأم من مجلسها بسرعة وهي تقول :

-بالطبع يا حبيبتي، فقط قومي بتبديل ثيابك ريثما أحضر لك عشاءً شهياً-

-أشكرك يا غاليتي -قالت لها (نهى) وهي تتابع ذهاب أمها إلى المطبخ، ثم اقتربت من
والدها وهمست :

-أريد التحدث معك في أمر هام يا والدي .، سأستبدل ثيابي وأعود بأسرع ما يمكن -
قالت لها، وانصرفت إلى حجرتها من فورها، فشعر (مصطفى) ببعض القلق، فهو

متأكد من أن هناك شيئاً ما، بداية عندما اتصل به صديقه الدكتور (علي) ليطلب
منه السماح لـ(نهى) بحضور اجتماع طارئ وهام بخصوص جهاز حماية السيارات

من السرقة التي ابتكرته مع مجموعة من زملائها، وإصراره على أن يكون الاجتماع بعد مواعيد عمل المركز بعكس المألوف، ثم ها هي (نهى) تطلب منه الحديث حول أمر ما، وواضح أنها لا ترغب في أن يصل هذا الأمر إلى أمها، كل هذا جعل الشك يتسلل إليه.

عادت (نهى) سريعاً، بعد أن ارتدت ملابس البيت العادية، واتخذت مجلساً بجوار أبيها، الذي قال بقلق واضح:

-ماذا هناك يا ابنتي؟ أنا أشعر بالقلق -

لم تجبه مباشرة، بل ناولته هاتفها المحمول، وقالت:

-انظر إلى هذه الصورة-

تناول (مصطفى) الهاتف، فوجد صورة (عماد) ممدداً فوق فراش طبي، وقد تعلقت بجسده الكثير من الأسلاك والأنابيب، مع قناع صغير للتنفس، فاتسعت عيناه وقال بانفعال:

-يا إلهي .. ما الذي حل بخطيبك؟-

أشارت إليه (نهى) بيدها وقالت بصوت خافت:

-رويدك يا أبي، لا أريد لأحد أن يسمع نقاشنا هذا .. لا تقلق هذا الشاب بخير حال الآن، هذه الصورة كانت قبل يومين من الآن-

عقد (مصطفى) حاجبيه وقال:

-قبل يومين؟! هل أصيب (عماد) بصدمة بعد وفاة والدته؟ لكنني زرتة بالأمس كما تعلمين، وكان بخير حال-

مطت شفيتها وقالت:

-وهو كذلك بالفعل .. هذا الشاب ليس (عماد) -

لم يفهم (مصطفى) قولها، فقال مندهشاً:

-ليس (عماد)؟ وكيف؟ .. ومن هو ذا؟-

رفعت حاجبيها وابتسمت، ثم قالت :

-هذا هو (عماد) -

تجلت الحيرة على وجه (مصطفى) وقال:

-أي قول هذا؟ أنا لا أفهم شيئاً -

قالت :

-ما سأخبرك به يا والدي ،أمر سرى للغاية حتى الآن ،ولم يتحدد بعد ما الذي سيحدث لهذا الشاب ., هذا الشاب هو (عماد) لكن ليس (عماد) الذي نعرفه ،بل هو قرين له من عالم آخر-

اتسعت عينا (مصطفى) بدهشة وعدم تصديق ،وقبل أن يتفوه بكلمة إضافية ،بادرته (نهي) بالكلام ،وبدأت تقص عليه كل ما حدث منذ الصباح وحتى عادت إلى البيت قبل قليل ،وفغر فاه (مصطفى) ،فما سمعه ليس من السهل تصديقه .
ليس من السهل أبداً.

(٦٦)

لم تتمكن (نهى) من مناقشة والدها، إذ عادت والدتها بالطعام الساخن، وتناولت (نهى) الطعام باستمتاع، في حين غلفت الحيرة ملامح (مصطفى) وهو الأمر الذي لم يخفى على الأم، فسألت المرأة زوجها:

- ماذا هناك يا (مصطفى) ؟ أراك مشغول البال -

حار الرجل بم يجب زوجته، فكر قليلاً ثم قال :

- لقد اخبرتني (نهى) بأن (عماد) سيعود للعمل من الغد، رغم أن (علي) أكد لي بشكل شخصي أنه يمكنه التغيب كيفما شاء حتى يتجاوز محنة وفاة والدته-

مطت المرأة شفرتها وقالت:

- هذا الشاب قاسي القلب -

قال (مصطفى):

- ما الذي تقولينه ؟ على الأقل راعي حضور (نهى) -

لاكت (نهى) بعض الطعا في فمها، ثم قالت :

- خذي راحتك يا أمي، فأنا لدى رأى مشابه لرأيك-

نظر إليهما (مصطفى) وقال متعجباً:

- ما الذي تقولانه أنتما الاثنين ؟-

قالت الأم:

- أنت تعرف أنني لم أشعر بالارتياح تجاه هذا الشاب، ولولا والدته الطيبة وأخته الرائعة لرفضت ارتباطه بابنتي ، حتى وإن كان من ترشيح صديقك الدكتور (علي)-

قال (مصطفى) بعصبية:

-لن تنفكين تكرري مثل هذا الكلام، ألم تباركي هذه الزيجة من قبل؟-
قالت:

-قلت لك أنه من أصل طيب، لما رأيته من والدته رحمها الله ومن أخته، كما أنهم مناسبون لنا من الناحية المادية، وقلت أن نعطيه فرصة وسنتعرف عليه بشكل جيد -

تدخلت (نهى) في الحوار وقالت:

-دعا هذه المناقشة، إذ لم تمض على خطبتنا سوى أشهر قليلة، كل منا لا يزال يكتشف الآخر -

ثم قامت تحمل أطباق الطعام، وتوجهت إلى المطبخ، فالتفت (مصطفى) إلى زوجته وقال بعصبية :

-ألن تكفي عن ذكر (علي) وأنه سبب هذه الزيجة أبداً؟-

حاولت أن تهدئ من حدة النقاش، لتمتص غضب زوجها الواضح، فقالت بهدوء:

-اهدأ يا (مصطفى) واسمعني .. لقد قلت لك سابقاً أننا تسرعنا في اتمام الخطبة وإقامة حفل، كان من الممكن أن نكتفي بقراءة الفاتحة ونأخذ وقتنا في دراسة هذا الشاب، هذا ما كنت أطلبه فقط-

هز (مصطفى) رأسه، وهم بقول شيء ما، لولا ان ملح (نهى) تشير إليه بأنها ستذهب إلى حجرتها، وفهم أنها تريد مناقشة ما أخبرته به، فقام من مجلسه وهو يقول:
-دع الأيام تكشف لنا الأمور .. سأذهب إلى (نهى) لنتحدث قليلاً، فما كان ينبغي أن يكون هذا النقاش في حضورها-

ذهب إلى حجرة ابنته، وطرق بابها قبل أن يدخل، ويحكم إغلاق الباب خلفه، فوجد (نهى) تجلس على مقعد بجوار مكتبها الصغير، فجلب المقعد الآخر وجلس مقابلها، ثم قال:

-أخبريني بصدق يا (نهى) .. ألا ترغبين في اتمام الزواج بـ(عماد)؟ -
هزت رأسها وقالت:

-هذا أمر سابق لأوانه يا والدي ،ولقد أخبرتك منذ البداية أنني لا أجد أي انجذاب تجاه (عماد) ،فهو مجرد زميل في العمل ،وقد اتفقنا على أن تكون فترة الخطبة قصيرة وبعدها فلننظر في الأمر-

ثم مالت للأمام وقالت:

-المهم الآن .. ما رأيك فيما قصصت عليك ؟-

حك (مصطفى) ذقنه وقال:

-أنا لم أستوعب كل ما قلتيه يا ابنتي ،صحيح أنني محب للفيزياء ،لكني لست خبيراً في امورها ،خاصة تلك النظرية التي حيرت العباقرة علي مر الزمان ،نسبية اينشتاين ،لكن الصورة التي رأيته لا تفسير لها -

صمت قليلاً وقال :

-لو كان لـ(عماد) شقيق توأم لما كانا بمثل هذا الشبه -

قالت (نهى) :

-أتعلم يا والدي لماذا قبلت الارتباط بـ(عماد) رغم تحفظي عليه ؟-

سألها :

-و لم ؟ -

قالت :

-لأنني أثق في حدسك يا والدي ،فطالما أرشدتني في أمور حياتي ،ولطالما كنت دائماً على الصواب ،وهذا ما أطلبه منك .. لا أريد رأياً علمياً ولا قانونياً ،أريد أن أعرف كيف كنت لتتصرف لو حدث معك مثل هذا الأمر-

ابتسم (مصطفى) وقال:

-هذه المرة الأمر غريباً وغير مألوف ،فكيف أرشدك لطريقة التصرف في أمر كهذا ؟ -

صمت قليلاً وقال :

-أنت واثقة من أنه لا ينتمي إلى عالمنا ؟-

قالت :

-لم نجد حلاً منطقياً سوى هذا ، هو نفسه مقتنع بذلك -

قال :

-عجباً ، الحل المنطقي عبارة عن خيال جامع يصعب عليّ استيعابه ، لكن إن كان ذلك صحيحاً فإن أحد منكم لم يفكر في الشيء الوحيد الواجب فعله -

سألته باهتمام :

-وما هو هذا الشيء ؟-

قال :

-عليكم مساعدة ذلك الغريب في العودة إلى حيث ينتمي-

صمتت للحظات ، ثم نظرت إليه وقد علت ملامحها ابتسامة حانية وقالت :

-ألم أقل لك ؟! ، دائماً ما ترشدني للطريق الصحيح -

قام وامسك برأسها ، وطبع قبلة حانية على جبينها ، ثم نظر إليها قليلاً وقال :

-ولابد أن تثقين في أنني لن أجبرك على شيء ، وسأدعم قرارك أيّاً كان -

فهمت ما يرمي إليه ، فأمسكت كفيه وقبلتهما ثم قالت :

-حفظك الله لنا يا أبي -

ربت على كتفها بحنان ، ثم تركها وانصرف بهدوء ، فقامت وألقت بجسدها فوق

السريـر ، وسبحت في بحار الأفكار ، لقد أشار والدها إلى أمر هام ، لو كان هذا الشاب

لا ينتمي لهذا العالم ، فما الذي سيفعله هنا ؟

والأهم ، كيف يا ترى سيعود إلى عالمه ؟

وهل هذه العودة ممكنة حقاً؟

(٦٧)

تداخلت مشاعر (عماد) وتضاربت ،تخبط بين الفرحة باستعادة ذاكرته وتذكر تفاصيل التجربة ،وبين الخوف من هذا المكان والزمان الذي يعيش بهما الآن ،شعور بعدم الأمان بعد ما سمعه من الدكتور (علي) و(نهي) ،وهناك شعور لا يمكن وصفه ،فهو يعلم أن هناك قرين له في هذا العالم ،بل وسيقابله قريباً ،وهناك ذلك الشعور الذي يتعاضم في أعماقه ،هل هو احساس بالغيرة ؟ لقد فرح بوجود (نهي) ،لكنها ليست خطيئته ،بل خطيئة قرينه ،وهناك هذا الشعور المفاجئ ،شعور بالجوع .
هذه المرة تناول ما قُدِّمَ له من طعام ،وأكل بنهم حقيقي ،كان يحتاج لتصفية ذهنه كي يفكر بشكل جيد ،لكنه يحتاج للطعام بشكل أكبر .

جلس (عماد) ممدداً فوق فراشه ،وقد شعر ببعض الحيوية والنشاط ،وبدأ عقله يرتب الأمور ،ويحاول استنتاج سبب منطقي لوجوده في هذا العالم ،لكن كل مرة كانت تقوده الدروب إلى نفس النهاية ،لقد عبر ثقباً أسوداً ولا شك .

ظل يحاول أن يتذكر كل ما يعرفه عن الثقوب السوداء ،فلم يتوصل إلى شيء مؤكد ،تناول الأوراق البيضاء والقلم ،كان قد طلب الأوراق والقلم من ممرضته فأتته بهم مع وجبة طعامه ،ثم بدأ يسجل ما مر به ،يكاد لا يصدق ما حدث له ،لكن ما حدث قد حدث فعلاً .

عكف يصف ما عاشه داخل الثقب الأسود ،ذلك الوسط شديد الجاذبية ،لم يجد تفسير للمشاهد العجيبة التي رآها هناك ،هو يحتاج للمساعدة حول هذه النقطة تحديداً .

فجأة ،خطرت بباله فكرة عجيبة ،زادت من التناقضات التي تحيط به منذ أفاق

في هذه المستشفى ، لو كان قد مر من خلال أحد الثقوب السوداء قبل أن ينهار ، وعبر إلى عالم موازٍ بالفعل ، فمن المفترض أن يجد نفسه في نفس الزمن الموازي ، لا في الماضي .

توقف أمام هذه الملاحظة كثيراً ، دون أن يجد التفسير ، ظل يبحث ويبحث في عقله ، شعر بالضيق ، فكلما ظن أنه اقترب من إيجاد الحل ، كلما اكتشف أنه أبعد ما يكون عن الحقيقة .

توقف عن الكتابة ، وترك الأوراق إلى جواره فوق الطاولة الصغيرة ، ثم استلقى وعاد يفكر ويبحث ، واستمر يفكر حتى استسلم عقله وجسده ، وراح في نوم عميق .

(٦٨)

في صباح اليوم التالي ،عندما اقتربت الساعة من الحادية عشرة ،سمع (عماد) صوت طرقات على باب حجرتة ،فقال بصوت عال:

-تفضل -

أنته (نهى) ، وهي تحمل في يدها بضعة حقائب ورقية أنيقة ،دخلت باسمه ،فقام للترحيب بها ،وضعت ما تحمل فوق السرير الطبي وقالت:

-صباح الخير أيها الغريب -

رفع حاجبيه وقال بدهشة :

- غريب ؟-

حدقت فيه مبتسمة ،ثم قالت :

-ليس من السهل أن أناديك بـ(عماد) -

هز رأسه متفهماً ،وقال :

-يمكنني فهم ذلك .. فأنت ترين أمامك صورتين من شخص واحد-

قالت وهي محتفظة بابتسامتها :

-شيء من هذا القبيل -

ثم أشارت إلى الحقائب التي أحضرتها وقالت :

-لقد جلبت لك بعض الملابس ،وأتمنى أن يحوز اختياري على استحسانك-

اندهش (عماد) وقال بعفوية:

-هل هي من ملابس (عماد) ؟-

حدقت فيه للحظات ،ثم ضحكت وقالت :

-أظن أن قرينتي في عالمك تتصف بالبخل -

سألها :

-ولِمَ ؟-

قالت :

-لأنك تحسبني أبخل من أن أجلب لك ملابس جديدة ،وأحضر لك من ملابس
(عماد) -

ضحك وهو يشير إليها لتجلس ،ثم قال :

-يبدو أنني أسأت اختيار الكلمات .، في الحقيقة ،لقد أنقذتني من ورطة مربكة -
جلست ،ثم أومأت برأسها وقالت:

-أنا أعرف أنك لا تملك سوى ردائك الذي وجدوك به ،وبالطبع لن تظل في ثياب
المستشفى هذه -

جلس فوق السرير ،ونظر إليها طويلاً قبل أن يقول :

-أشكرك يا (نهى) -

شعر بالغرابة لأنه يناديها باسمها مجرداً ،هي أيضاً راودها نفس الشعور ،ثم بدأ
الخرج يتسلل إلى (عماد) لمناداته لها بهذا الشكل ،فحاول أن يخرج من حرجه وقال:
-يبدو أنك في إجازة اليوم أيتها المهندسة-

على الفور ،فهمت ما شعر به من حرج ،وتعمده لمناداتها بلقبها ،هزت رأسها
نافية ثم قالت:

-لقد استأذنت الدكتور (علي) في أن أقدم لك هذه الملابس بنفسني ،وقد وافق على
الفور ،وقال أنه كان عليه أن يفعل هذا من قبل-

قال (عماد) :

-أتفهم مدى الارتباك الذي وقعتكم فيه بسبب وجودي -

قالت:

-ألن ترى ما أحضرته لك ؟أريد أن أعرف رأيك-

تناول (عماد) الحقائق ،وأخرج محتوياتها ،كانت ملابس أنيقة وغالية الثمن ،وتحمل أسماء ماركات شهيرة ،وجد بنطلون من نوع الجينز بلون البلو بلاك ،وقميصاً سماوياً بخطوط رأسية رفيع بيضاء ،وجاكت من القطيفة باللون البني ،وحذاء من الجلد الأسود.

نظر إليها بامتنان ،وقال:

-لا أجد ما أقوله -

قالت :

-لقد شكرتني من قبل ،هل نالت الملابس رضاك ؟-

قال:

-بالطبع ،إنها أكثر من رائعة -

قامت وقالت مبتسمة :

-حسناً ،سأنتظرك في الخارج حتى تنتهي من ارتدائها-

قالتها وخرجت ،تابعها (عماد) بعينه حتى خرجت من الحجرة ،وقد شعر بشيء ما يداعب قلبه ،قام وبدأ في ارتداء الملابس ،ثم نظر إلى نفسه في المرآة ،شعر وكأنه يوم جديد يحمل الأمل والسعادة.

فتح (عماد) باب الحجرة ،فالتفت له (نهى) ،وتطلعت إليه للحظات ،ثم أشار

إليها بالدخول ،جلسا متقابلين على المقاعد الخشبية.

قال (عماد):

-للأسف لا يمكنني تقديم واجب الضيافة إليك-

ضحكت وقالت :

-أنت هو الضيف علينا في مركزنا ،أتعرف أمراً ., خشيت ألا تناسبك الملابس فهذه

المرّة الأولى التي أبتاع فيها ملابس للرجال-

قال :

-إن لك ذوق رفيع في الاختيار ولا شك-

قالت بحماس :

-أخبرني عن (نهى) قرينتي ،كيف هي-

عقد حاجبيه وقال:

-تشبهك تمام الشبه ،كيف تتخيلها أنتِ ؟-

هزت كتفيها وقالت:

-لا أقصد من ناحية الشكل ،أنا أقصد الطباع والسمات الشخصية-

قال :

-لا بد وأنكما متطابقتين ،ألم تجديني مطابقاً لـ(عماد) ؟-

صمتت للحظة قبل أن تقول:

-بل أجذك مختلف عنه ،لهذا كنت أود أن أعرف عن قرينتي -

قال :

-هي انसानة طيبة ،ساندتني في محنة وفاة والدي ،هي ووالدها لم يتركاني حتى

تجاوزت الصدمة ،هي ذكية ونشيطة ومفعمة بالحماس ،وتجيد عملها لأقصى درجة

-

قالت:

-هل كنت تعرفها قبل أن تصبح زميلتك في المركز؟ -

قال :

-لقد كانت طالبة في الكلية حيث أعمل مساعد مدرس لمادة الفيزياء ،لكن لم تكن

بيننا معرفة وقتها ،لكن منذ تزاملنا في العمل ،وجدت الألفة مكانها بيننا بسرعة

،حتى انتهى الأمر بخطبتنا -

قالت:

-ألم أقل لك ؟-

سألها :

-ماذا تقصدين ؟-

-أقصد أنكما قد اختار كل منكما الآخر،عكسنا هنا -

قطب حاجبيه وقال :

-أوضحني ما تقصدينه .، أشعر بعدم ارتياحك إلى (عماد) -

شعرت بالحرج لأنها تخوض معه في أمور شخصية،فقالت:

-دعك من هذا،وأخبرني،هل توصلت لشيء ما بخصوص تجربتك المثيرة ؟ -

تناول الملاحظات التي دونها ليلة أمس،ثم ناولها إياها،وقال :

-لقد دونت هذه التفاصيل -

قرأت ما كتبه،ثم أعادت الأوراق على الطاولة كما كانت،وبدأت تفكر،كانت قد

قرأت شيئاً ما عن الثقوب السوداء في الكون،لكن لا تذكر تفاصيل ما قرأته،نظرت

إلى (عماد) وقالت:

-لقد قرأت شيئاً ما ذات مرة عن نظرية الثقوب السوداء،وأجد تقارب بين ما كتبه

أنت وما قرأته،وإن كنتُ لا أذكر تفاصيل ما قرأته حولها-

ابتسم وقال:

-يمكنني أن أولف كتاباً عنها الآن-

قطع حديثهما صوت الطبيب (مجدي) يتنحج،وهو واقف بالباب المفتوح

،فدعاه (عماد) للدخول قائلاً:

-تفضل أيها الطبيب -

دخل (مجدي)،وحياهما،قبل أن يجلس على مقعدٍ بالقرب منهما،وقد بدى

الارتباك واضحاً جلياً على ملامحه،وانتظره (عماد) و(نهى) ليتكلم،فلم يفعل،فسأله

(عماد):

-ماذا هناك أيها الطبيب؟-

قال (مجدي) :

-أنت تعرف بأن هذه المستشفى ملحقة وتابعة للمركز،أي أننا جهة حكومية

،ووضعك هنا غير مثبت،ولم نتمكن من تسجيلك بسبب أوراقك الغير مألوفة،ولقد

تساورت مع الدكتور (علي) كثيراً ،حتى أن المهندسة (نهى) حضرت معنا ذات مرة ،وكان رأينا الذي أيده الدكتور (علي) أن يظل الأمر بعيداً عن الجهات الرسمية - بدأ القلق يتسلل إلى (عماد) ،فقد فهم ما يرمي إليه (مجدي) الذي تابع قائلاً:
-ولقد استرددت عافيتك وذاكرتك ،وأصبح الآن من الضروري وضع الأمر في قالب رسمي ،وهنا نقف أمام مشكلة أوراق هويتك الغير مألوفة ،فيجب أن يتم تسجيل فترة اقامتك هنا وتسجيل المحاليل والأدوية التي صُرِفَت لك ،حتى لا نتعرض للمساءلة -

تمكن القلق من (عماد) ،فما تعنيه كلمات (مجدي) هو أن أيامه في المستشفى باتت معدودة ،أو حتى أنها قد انقضت بالفعل ،وعليه إيجاد مأوى آخر ،قاطعت (نهى) استرساله في الأفكار وقالت:
-لا تقلق أيها الطبيب (مجدي) ،فلقد فكرت في هذه النقطة بالأمس ،وأعتقد انني وجد لها حلاً لا بأس به -

(مجدي):

-حقاً ؟ وما هو هذا الحل ؟-

قالت :- سأحاول إقناع الدكتور (علي) بأن نستخدم أوراق (عماد) الحقيقية لنسجل فترة الإقامة باسمه -

سألها (عماد): -وهل سيقبل الدكتور (علي) ؟-

قالت:

-الدكتور (علي) انسان طيب للغاية ،وأثق أنه لن يتأخر عن تقديم المساعدة .. المهم أن يقبل هو -

سألها (مجدي):

-أتقصدين .. ؟-

قاطعته قائلة:

-أقصده هو .. (عماد) -

(٦٩)

اقنع (عماد) كل من (مجدي) و(نهى) بأن يذهب مع هذه الأخيرة إلى مبنى الإدارة لمقابلة الدكتور (علي)، متحججاً بأنه استرد صحته ولم يعد لبقائه في المستشفى أي فائدة، خاصة بعد كلمات (مجدي).

وأثناء انتقالهما من مبنى المستشفى إلى مقر الإدارة، تأكد (عماد) من صحة استنتاجه، هو الآن في عالم آخر، عالم موازي، فما رآه أزال أي شكوك كانت متبقية في عقله.

كانت المباني هي نفسها، والمساحات تقريباً واحدة، والشكل المعمري متطابق كذلك، لكن تلك اللافت التي تحمل اسم وشعار المركز كانت هي الدليل الحاسم، إذ لم يكن الاختلاف بين المركز في العالمين من ناحية الاسم وحسب، بل كان هذا المركز دائرة حكومية، وكما قرأ على اللافتة، أنه تابع لوزارة التخطيط والبحوث، هذه الوزارة لا وجود لها في عالمه، وحتى المركز في عالمه لا يتبع أي جهة حكومية، ولا يقع تحت إشراف أي وزارة، بل هو مشروع استثماري علمي خاص، باستثمارات فردية.

وصلا إلى مبنى الإدارة، واستقلاً المصعد حتى مكتب الدكتور (علي)، ودخلا للمكتب، فقام (طارق) لاستقبالهما، وقد تجلت الدهشة عليه، سلم عليه (عماد) وهو يشعر بالغربة، فها هو (طارق) المطابق لذلك الموجود في عالمه. تكلم (طارق) بدهشة:

-عجباً أيها المهندس (عماد)، كيف وأين قمت باستبدال ملابسك ؟ -

فهم (عماد) التضارب الذي وقع به (طارق)، فقال:

-لا تشغل بالك .. لكن أليست هذه الملابس أفضل من سابقتها ؟-

هز (طارق) رأسه وقال:

-هي كذلك بالفعل -

قالت (نهى):

-نريد مقابلة الدكتور (علي) ،هل هو مشغول الآن ؟ -

رفع (طارق) حاجبيه وقال مخاطباً (عماد) :

-لكنك كنت هنا قبل دقائق ! -

قالت (نهى) :

-هل الدكتور منشغل أم يمكننا مقابلته ؟-

التفت نحوها (طارق) وأخذ الصمت للحظة ،قبل أن يشير بيده قائلاً:

-تفضلاً بالدخول -

دخلا إلى المكتب ،فقام الدكتور (علي) من خلف مكتبه لاستقبالهما ،لكنه لم يكمل

نهوضه عندما وقعت عينيه على (عماد) ،وقد وقع في حيرة مما يراه ،فقال متردداً

موجهاً سؤاله إلى (عماد) :

-هل أنت ... -

لم يكمل سؤاله ،لكن (عماد) أوماً برأسه موافقاً ،فسأله مرة أخرى:

-وهل غادرت المستشفى ؟-

قالت (نهى) بسرعة :

-نعم يا دكتور (علي) ،ونحن هنا بهذا الشأن -

لاحظ (علي) أنهما مازالا واقفين ،فدعاهما للجلوس قبل أن يجلس هو ويقول

مخاطباً (عماد):

-ألم تتعجل مغادرة المستشفى ؟ -

(عماد) :

-على العكس ،فقد تحسنت حالتي والحمد لله ،كما أن وجودي في المستشفى يشكل

حرجاً كبيراً لكم كما علمت -

عقد (علي) حاجبيه وقال:

- علمت ! .. علمت ممن ؟ -

قالت (نهى) :

- قبل قليل جاء الطبيب (مجدي) وأخبر (عماد) بما يشعر به من حرج، خاصة في ظل
عدم وجود أية أوراق ثبوتية يمكن استخدامها -

قال (علي):

- لا تقلقي من هذه الناحية ، سأتدبر الأمر -

تبادل (عماد) و (نهى) نظرة سريعة قبل أن تتساءل هي :

- وكيف ذلك يا دكتور ؟ -

(علي):

- أنت تعلمين أنني سمحت لـ(عماد) بالتغيب بعد وفاة والدته رحمها الله ، ولم نعدل
سجلات الحضور الانصراف عن تلك الأيام ، فوجد أنه من المناسب أن نعتبر (عماد)
مريضاً ، وبأنه تعرض لصدمة بفقدان والدته ، وتم وضعه تحت الملاحظة الدقيقة في
المستشفى ، وبهذا تصبح أوراقنا سليمة بالكامل حتى صباح اليوم -

تهللت أسارير (نهى) وقالت مخاطبة (عماد) :

- ألم أقل لك ؟!

ثم التفتت إلى الدكتور (علي) وقالت:

- لقد فكرت في نفس الفكرة تقريباً يا دكتور ، لكن هل سيقبل (عماد) باقتطاع هذه
الأيام من إجازاته المستحقة ؟-

ابتسم (علي) وقال :

- لقد أفنعتني بالفعل ، ولقد أرسلت أوراقه إلى المستشفى للقيام بما يلزم ، ويعمل على
إنهاء الأمر مدير المستشفى نفسه ، وبالطبع (مجدي) لم يعرف بعد ما تم-

ثم مال إلى الأمام وقال :

- لو وصلتما مبكرين عدة دقائق لوجدتماه هنا-

تمتت (نهى) بخفوت :

-حمدا لله على تأخرنا -

التفت (علي) صوب (عماد) وقال:

-اسمعني جيداً يا ولدي، وحاول ان تتفهم ما نمر به جميعاً، صحيح أنك تمر بموقف لا تحسد عليه، لكننا في موقف صعب كذلك، كما تعلم، هذا المركز كيان حكومي، وله ضوابط وأحكام، ولقد ركنت إلى رأي الزملاء هنا طيلة الأيام السابقة -

صمت للحظات، وقد تعلقت به عيون (نهى) و(عماد)، وشعر (عماد) بقلق من طريقة التي يتحدث بها (علي)، وتساءل في نفسه لماذا يشعر دائماً بالانقباض في حضرة هذا الدكتور ؟

أما (نهى)، فقد بدأت تستنبط ما يريده الدكتور (علي)، فهي تعرفه معرفة جيدة، ورغم طيبة قلبه ودماثة خلقه، إلا أنه نموذج اسطوري للموظف الحكومي، رغم ما آتاه الله من العلم، يبقى الدكتور (علي) مجرد موظف متقيد بالروتين.

قالت (نهى) :

-نحن نقدر موقفك يا دكتور، وأنا أقترح أن يقيم (عماد) في أحد الفنادق، إلى أن نتوصل لطريـ.....-

قاطعها (علي):

-لا .. لن يغادر هذا الشاب إلى أي مكان-

قال (عماد) بقلق :

-ماذا هناك يا دكتور ؟ هل أنا سجين هنا ؟ -

لم يجب (علي)، إذ دخل (طارق) فجأة، انحنى على أذنه وقال بصوت مسموع :

-هناك بعض عناصر الشرطة هنا، ويقـ.....-

قاطعها (علي):

-دعهم يدخلون على الفور -

خرج (طارق) للحظات، وعاد وبصحبه ضابط برتبة مقدم، ومعه ثلاثة من

العساكر، وضرب القلق كل من (عماد) و(نهى) في مقتل.

قال المقدم:

-أنا المقدم (سيف حماد) من شرطة العاصمة، وقد أتيت بناء على بلاغكم بوجود دخيل ينتحل صفة أحد العاملين بالمركز -

كانت صدمة قاسية على (نهى)، وأشد قسوة على (عماد)، أما (علي) فقد قال بهدوء :

-مرحباً بك أيها المقدم .. إنه هو ذا -قالها وهو يشير إلى (عماد) الذي أخذته الصدمة.
قال (طارق) بدهشة عارمة :

-ماذا ؟ -

وقف (عماد) ببطية، ولم تسعفه الكلمات بشيء يقوله، ووجد أحد العساكر يمسكه من ذراعه، ثم سمع صوت المقدم (سيف) من ورائه يقول:
-رجاء تفضل معنا بهدوء ولا داع لأي مقاومة -

لم يكن لدى (عماد) أية نية للمقاومة، في حين بلغت الدهشة مبلغها بـ(طارق) الذي قال :

-ما الذي يحدث بالضبط ؟ -

أما (نهى) فنظرت إلى الدكتور (علي) بهمارة كبيرة وقالت :

-لماذا يا دكتور ؟ .. لماذا ؟-

أما (علي)، فكان يشعر بشيء من عدم الرضا تجاه تصرفه هذا، لقد تصرف من تلقاء نفسه، وأبلغ الشرطة بوجود شاب ينتحل صفة (عماد)،
كان قد أعد خطة ما، واتفق على تنفيذها مع مدير المستشفى.

خرج (عماد) بصحبة العساكر، في حين وقف المقدم (سيف) وقال:

-عليك أن تلحق بنا يا دكتور، ومعك مدير المستشفى، والطبيب المسئول -

ثم التفت ناحية (نهى) ورمقها بنظرة صارمة قبل أن يكمل :

-يجب أن يحضر كل من له علاقة بالأمر يا دكتور من أجل تسوية المحضر الأولي-

قالها وانصرف بحسم، فقالت (نهى) بصوت متهدج :

-لماذا يا دكتور ؟ -

أما (طارق) فلك تزول عنه دهشته وقال :

-أنا لا أفهم شيئاً -

قال (علي) :

-عد إلى مكتبك يا (طارق) .. واستدع المهندس (عماد) من مكتبه -

هتف (طارق) بدهشة بالغة :

-من ؟ -

قال (علي) بحنق :

-نفذ ما أقول يا (طارق) .. وفوراً -

خرج (طارق) غير مصدق لما حدث أمامه ،ولا يفهم كيف يستدعي (عماد) من

مكتبه بعدما ذهب مع رجال الشرطة.

نظر (علي) إلى (نهى) وقال ببساطة :

-لا تقلقي .. لقد قمت بإعداد كل شيء ،وسينتهي الأمر قريباً -

قالت بحسرة :

-ولكن لماذا؟ ما الداعي لتدخل الشرطة في الأمر؟ لقد عرفنا حقيقة أمر هذا الشاب

وكان من المفترض بنا أن نساعد-

نظر إليها للحظات ثم قال بحدة :

-لقد توليت إدارة هذا المركز منذ تم إنشائه ،وطوال سنوات عملي لم يسجل ضدي

ولو لفت نظر واحد ،ولن أسمح بتلويث تاريخي المهني بعد كل هذه السنوات يا

(نهى) .. ما فعلته اليوم تأخر كثيراً -

صمتت ولم تعلق ،ورمقته بنظرة غاضبة ،ثم قامت لتصرف ،فاستوقفها قائلاً :

-صدقيني .. لقد رتبت كل الأمور بدقة ،وسينتهي الأمر كما أريده-

نظرت إليه ولم تعقب ،ثم خرجت وصفعت الباب خلفها بقوة.

(٧٠)

انتابت (عماد) حالة من الخوف والهلع ،وهو يغادر مركز البحوث ،وسط رجال الشرطة ،وتحت عيون العاملين بالمركز ،والذين أصابتهم دهشة لا نظير لها حين شاهدوا هذا المشهد.

بمجرد ما خرج (عماد) خارج المبنى ،حتى خف شعور الخوف ،واختلط بمزيج من الدهشة والتعجب ،إذ وجد سيارتي الشرطة أمامه ،إحداها كانت ممن انتاج شركة شيفرولية ،بيضاء اللون ،وعلى جانبيها خطوط زرقاء ،وشعار باللونين الأبيض والأزرق ،أما الثانية ،فكانت من نفس الشركة لكنها من نوعية (ميني باص) ولها نفس ألوان سابقتها ،ولها باب مزدوج من الجهة الخلفية.

أسرع أحد العساكر المحيطين به ليفتح ذاك الباب المزدوج ،ويشير إلى (عماد) بيده ويقول:

-هيا .. اصعد بسرعة-

صعد (عماد) ،فوجد السيارة قد اصطف بها صفين متقابلين من المقاعد الجلدية النظيفة ،فجلس وتبعه العساكر الثلاثة ،تعجب (عماد) من نظافة السيارة ،وللمرة الأولى لاحظ أنه لم يتم تكييله بالأصفاد ،بل والعجيب ،أنه وجد بالسيارة فتحات لمكيف الهواء.

نسى خوفه بعض الوقت ،وبدأ يتأمل هؤلاء العساكر ،فقد كانت ملابسهم تختلف عما اعتاد عليه ،فهم يرتدون قمصان سماوية اللون ،تزين أكمامهم شرائط رفيعة زرقاء اللون ،وسراويل سوداء أنيقة ،وأحذية من نفس اللون لامعة ،وعلى خصر كل منهم حزام يحتوي على الكثير من المهمات ،بدأت الدهشة تتعالى في أعماقه ،لدرجة

أنه تسائل إن كان هؤلاء مجرد شركة أمن خاصة.

وصل (عماد) إلى مخفر الشرطة، وتنبه إلى أن المقدم (سيف) كان يستقل السيارة الأخرى، وتوقع من ملابسه المدنية أنه ضابط بالمباحث، أما المخفر ذاته فكان بعيد كل البعد عن أي صورة تخيلها (عماد)،

فطوال حياته، كان (عماد) من تلك النوعية التي لم تدخل قسم الشرطة إلا يوم استكمال إجراءات استخراج البطاقة الشخصية قبل إلغائها واستحداث بطاقة الرقم القومي، وكان ينزعج لمجرد مروره أمام أي مخفر، أما هذا الذي يراه، فهو شيء آخر. المبنى بسيط مكون من دورين فقط، يحمل نفس الألوان التقليدية، الأبيض والأزرق، نظيف لدرجة أنه ينافس بعض المستشفيات في عالم (عماد) من حيث النظافة، ومكيف الهواء بالكامل، والمكاتب أنيقة، والكل مشغول بعمله.

اقتاده حارسه حتى أدخله إلى حجرة أنيقة، بها مكتب كبير بعض الشيء، وأمامه أربعة مقاعد معدنية مكسوة بالجلد الأسود الأنيق، وفي الجهة الأخرى مكتب صغير، عليه جهاز كومبيوتر محمول وطابعة وبجواره ماكينة تصوير أوراق، وبجوار المكتب هناك خزانات من الخشب وضلفها من الزجاج، تمتلئ بالكثير من الملفات.

جلس حارسه على أحد المقاعد الجلدية الأربعة، وظل ينظر إليه في صمت، قبل أن يسأله في دهشة :

-لماذا تقف عندك ؟-

قال (عماد) مرتبكاً :

-وماذا عليّ أن أفعل ؟ -

ارتفع حاجبي العسكري في دهشة، وقال:

-من الأفضل أن تجلس -

تعجب (عماد) أيما عجب، ما هذا الأسلوب في التعامل، من المفترض أنه متهم، في عالمه كان الوضع ستختلف كثيراً.

تقدم عماد، وجلس في مواجهة العسكري، وما إن فعل، حتى سمع صوت قطرات

من الماء تضرب زجاج نافذة الحجرة، فقد كانت السماء تمطر في الخارج، شعر ببعض الارتياح يتسلل إليه، خاصة بعد هطول المطر.

لم يمر سوى دقيقتين، حتى دخل المقدم (سيف)، ومعه شخص آخر، فقام (عماد)، وهب العسكري واقفاً، وأدى التحية العسكرية المعتادة، فأمره (سيف) بالانتظار خارجاً، أما الشخص الآخر فقد اتخذ مجلسه خلف المكتب الصغير، لابد أنه من سيكتب المحضر.

جلس (سيف) خلف مكتبه، وأشار إلى (عماد) ليجلس، ففعل، ثم أخرج (سيف) من جيب سترته علبة سجائر، وهاتفه المحمول ووضعهما أمامه، ثم رفع عينيه إلى (عماد) وقال:

-هل يزعجك أن أدخن قليلاً؟-

ارتفع حاجبي (عماد)، وهو يكاد لا يصدق ما يحدث، ثم قال :
-كما تحب يا سيادة المقدم -

تناول (سيف) علبة السجائر، وفتحها وأخرج منها سيجارة، وكذلك أخرج قداحة بلاستيكية، وأشعل سيجارته قبل أن يعيد القداحة إلى داخل العلبة مرة أخرى ويتركها أمامه، ثم قال :

-هيا .. أخبرنا برقم هويتك لنسجل بياناتك في المحضر -

فتح (عماد) شفتيه، وهم بإخباره برقمه القومي، لكنه تراجع، فلو فعل لما وجدوا لهذا الرقم أي بيانات لديهم، فهم يتعاملون بصيغ مختلفة، فكر للحظة ثم قال :
-في الحقيقة أنا لا أحفظ الرقم -

مط (سيف) شفتيه وقال :

-وكيف لا تحفظه وأنت تستخدمه بشكل يومي تقريباً .. حسناً .. فلتخبرنا باسمك الرباعي وعملك وتاريخ ميلادك حتى نبث عن بياناتك على الشبكة-

أملأه (عماد) بياناته، وهو متأكد من أنها نفس بيانات (عماد) هذا العالم، وبالفعل، وجد الرجل البيانات وشرع يقوم بعمله، وبدأ (عماد) يعجب بعمل

شرطة هذا العالم ، فلم يكن كاتب المحضر كما في عالمه ، يستخدم أوراق الكربون لعمل نسخ متعددة من المحضر ، بل كان شاباً يتعامل مع الحاسب الآلي ، وكل شيء يتم بطريقة الكترونية .

قطع صوت (سيف) عليه أفكاره وهو يسأله :

-لماذا تواجدت في مركز البحوث ؟-

ارتبك (عماد) ، هل يخبره حقيقة قصته أم لا ؟ ، فكر ثم قرر أن يخفي الأمر ، فقال :
-أنا أعمل هناك -

سحب (سيف) نفساً من سيجارته ، ونفث دخانها في الهواء ببطء شديد ، وكأنه يختبر أعصاب (عماد) ، ثم قال :

-البلاغ المقدم من مدير المركز يتهمك بانتحال صفة (عماد السيد) أحد العاملين هناك -

قال (عماد) محاولاً الحفاظ على رباطة جأشه :

-أنا لم أنتحل أي صفة ، فأنا هو (عماد) ، ولا أعلم شيء عن هذا الاتهام . ثم ألم يكن من المفترض أن أطلب محامي يرافقني أثناء التحقيق ؟ -
نظر إليه (سيف) طويلاً ، قبل أن يقول :

-ومن قال أن هذا هو التحقيق ؟ عند مثولك للتحقيق لابد وأن يرافقك محامي من اختيارك بالطبع -

سأله (عماد) بدهشة :

-وإن لم يكن هذا هو التحقيق ، فما الذي نفعله بالضبط ؟-

مرة أخرى نظر إليه سيف طويلاً ، ثم قال :

-لقد قلت لك من قبل . نحن نسجل البيانات ، حتى نكمل ملف البلاغ ليكون جاهز قبل التحقيق ، وبالمناسبة . سيكون التحقيق يوم غد ، وعليك التواصل مع محاميك -

ارتبك (عماد) بشدة ، فهو لا يعرف أي محامي في عالمه ، فما بالك بهذا العالم ، ثم من هو ذا المحامي الذي سيصدق كلامه ليدافع عنه ؟ أي محامي بمجرد أن

يسمع لفكرة السفر خلال الزمن وعبر ثقب أسود لابد وأنه سيضيف إلى تهمته تهمة الجنون.

قال (عماد):

-لكنني لا أعرف أي محامى -

مط (سيف) شفتيه وقال بلا مبالاة :

-لا عليك ., سيتولون هم الأمر هناك -

سأله (عماد):

-هناك أين ؟-

قال (سيف) بنفس اللامبالاة :

-في النيابة بالطبع -

(٧٨)

انتهى أخذ أقوال (عماد) سريعاً، ثم وجد نفسه مضطراً للمبيت في غرفة الحجز حتى يوم غد، حيث سيتم ترحيله لعرضه على النيابة، غرفة الحجز هذه كانت ككل شيء شاهده في هذا المخفر، مليئة بالمفاجئات.

الغرفة رحبة بشكل كبير، ونظيفة تماماً، بابها الذي دخل من خلاله عبارة عن باب معدني مجوف، يحتوي شباك صغير يفتح من الجهتين، تفتش أرضيتها المكسوة بالموكيت الأخضر عشرات المراتب التي لا يزيد عرض الواحدة منها عن متر واحد، و فوق كل مرتبه كيس بلاستيكي، يحتوي دثار، الغرفة بها الكثير من النوافذ الصغيرة، وكلها ثابتة بلا ضلف متحركة، ويحميها من الخارج قضبان حديدية على كل نافذة، وفي ركن الحجرة وجد باباً عليه لافتة مميزة، تحمل علامة دورة مياه .

كل هذا لم يكن أشد غرابة من أنه وحيد في هذه الغرفة، ولا يوجد أحد سواه، فقطع طول الغرفة حتى وصل إلى دورة المياه، وما إن دخلها حتى خيل له أنه داخل دورة مياه أحد الفنادق متوسطة المستوى.

توضاً ثم خرج، وذهب لباب الحجرة وفتح ذاك الشباك الصغير، فوجده مغلق من الجهة الأخرى، فطرق على الباب، ففتح العسكري الذي يحرس الباب الشباك من جهته بسرعة وسأله:

-ماذا تريد ؟-

أجاب (عماد) :

-أريد معرفة اتجاه القبلة -

قال العسكري :

-انظر إلى السقف -

قال (عماد) بدهشة :

-السقف ؟! -

سأله العسكري :

-أتريد شيئاً آخر ؟-

قال (عماد) وقد احتار بعض الشيء :

-كلا.. لا أريد .. فقط اتجاه القبلة -

لم ينبس العسكري ببنت شفة ،وأغلق الشباك من جهته بقوة ،كان من النوع الصارم ولا شك .

عاد (عماد) ينظر داخل الغرفة ،ونظر إلى السقف ،فوجد علامة ملصقة في منتصف السقف تماماً ،سار حتى أصبح تحتها مباشرة ،فوجدها عبارة عن سهم باللون الأخضر يشير مباشرة إلى صورة الكعبة المشرفة ،ومكتوب أسفل السهم بالأخضر (اتجاه القبلة) .

وجه (عماد) وجهه كما الاشارة ،ودخل في صلاته.

انتهى من الصلاة ،فتمدد فوق أقرب فرش إليه ،ورغم ما يمر به ،إلا أنه لم يفكر في ما يعاينه ،ولم يفكر في كيفية الخروج من هذا المأزق ،لكن ما شغل تفكيره هو هذا العالم الغريب ،هل يمكن لجهاز الشرطة أن يكون بهذا المستوى من الادمية والرقى ؟ هذا المستوى غير موجود بالمرة في عالمه ،غير موجود في دول التحضر والحريات ،وبالطبع غير موجود في الدول النامية ،هل يتبع جهاز الشرطة في هذا العالم وزارة السياحة بدلا من الداخلية ؟ ثم أين هم المحتجزين في المخفر ؟هل من الممكن أن يكون هذا العالم بلا مشاكل ،بلا جرائم ،وبلا خطر ؟
إما أنه يعيش حلماً بشكل أو بآخر ،وإما أنه قد وصل للمدينة الفاضلة.

(٧٢)

في اليوم التالي، تم اقتياد (عماد) غير مكبلاً، إلى سيارة تشبه السيارة التي أحضرته إلى المخفر، ورافقه حارسان فقط، ثم نقلته السيارة إلى حيث النيابة العامة. هناك لم يختلف الوضع كثيراً عما وجدته في مخفر الشرطة، المعاملة الأكثر من راقية، وقمة الاحترام لإنسانيته.

قبيل عرضه على وكيل النيابة، وفوجئ بوجود محامى شاب لحضور التحقيق معه، كان هذا المحامي يدعى (محمد شكري)، عرف منه (عماد) أن (نهى) هي من وكلته لحضور هذا التحقيق، بعد أن روت له كل شيء وأصبح هذا المحامي ملماً بتفاصيل كثيرة.

بدأ التحقيق بالفعل، كان أول شيء أن قرأ ممثل النيابة (ياسين الدسوقي) عريضة الاتهام، في البداية، استغرب (عماد) لِمَا سَمِعَ، كان الدكتور (علي) قال في بلاغة أنهم وجدوا هذا الشاب مغشياً عليه داخل المركز، وتم نقله باعتباره (عماد) الذي يعرفونه جيداً، زميلهم في المركز، ظنا منهم أنه تحت تأثير صدمة سماعه لخبر وفاة والدته، وتم تسجيل بياناته في المستشفى بنسخة من أوراقه الموجودة في المركز، لكنهم تفاجئوا بعد يومين بأن (عماد) الحقيقي موجود في منزله، ولم يتعرفوا على هذا الشاب.

لم يفهم (عماد) الأمر، لماذا أَلْفَ الدكتور (علي) مثل هذا الإدعاء ؟ فمنذ أول يوم له وسطهم وهم مدركون أنه شخص آخر غير (عماد) الذي يعرفونه، هل قال ما قاله ليبرر تأخره عن إبلاغ السلطات ؟ لابد وأن الأمر كذلك .

قال (ياسين):

-لقد قال الطبيب (مجدي) بأنهم وجدوا معك هذه الأوراق -
قالها وهو يخرج حقيبة الأوراق من أسفل مكتبه ،ويضعها أمامهم فوق المكتب
،ثم سأل (عماد) :

-هل هذه الحقيقية وما فيها من أوراق تخصك حقاً ؟ -
تبادل (عماد) نظرة سريعة مع (محمد) ،الذي أوماً برأسه موافقاً ،فتشجع (عماد)
وقال:

-نعم ،هي كذلك -
سأله (ياسين) :

-وهل تقر بصحة ما جاء في هذه الأوراق ؟ -

صمت (عماد) يفكر ،ولم يلتفت إلى (محمد) المحامي ،هل عليه إخفاء الأمر
أم عليه البوح بالحقيقة ؟لم يكن يشعر بالراحة لمناقشة تفاصيل التجربة مع غير
المتخصصين ،فما بالك بمناقشتها في محاضر رسمية ،وسط قوم يرون ما يقوله درب
من دروب الخيال ،وربما الجنون.
أعاد (ياسين) سؤاله :

-هل تقر بصحة ما جاء في هذه الأوراق ؟ -

التفت (عماد) إلى (ياسين) ،كان ممثل النيابة شاباً في بداية العقد الثالث من
العمر ،حسن الطله ،أبيض البشرة ،وكانت عليه علامات الثقة بالنفس ،والتمرس في
عمله ،كانت نظرتة الحادة التي يرمق بها (عماد) كافيه لتجعله ينطق قائلاً :
-نعم ،أقر بكل ما جاء في أوراقي تلك -

تراجع (ياسين) في مقعده ،وشبك أصبعه أمام وجهه ،وظل يرمق (عماد) بنظره
فاحصة للحظات ،قبل أن يقول :

-لقد دونت ملاحظات تفيد بأنك منتقل من عالم آخر .. هذا أمر صعب التصديق ..
كما أن أوراق اثبات شخصيتك التي وجدناها بداخل الحقيقية ،عجيبة وغير مألوفة ..
أريدك أن تقص عليّ ما حدث ولكن بشكل موجز ومختصر -

قال (عماد) :

-تقصد منذ بدأنا التجربة؟-

(ياسين) :

-بالضبط .. لكن اختصر قدر ما تستطيع-

بدأ (عماد) يروي قصته ،وقد تعلقته به عيني (ياسين) تفحصانه ،وكلما مضي

(عماد) في روايته ،كلما زاد اقتناعه بأنه صادق فيما يقول ،فقد كان يمتلك مهارة

قراءة لغة الجسد لكشف الكاذب من الصادق.

انتهى (عماد) من قص ما مر به ،فاعتدل (ياسين) وقال:

-يبدو أن هذه القضية ستتخذ مسارات مختلفة -

دخل (محمد) في الحوار وقال :

-اسمح لي يا سيادة وكيل النيابة ،فهذا الشاب لا يجب أن يعامل كمتهم ،فما

الاتهام الذي يوجه له لمجرد تشابهه العجيب بالمهندس (عماد السيد) ؟ثم أن إدارة

المستشفى هي من قامت بتسجيله بأوراق لا تخصه ،حيث كان يرقد في غيبوبة تامة

كما ذكرت التقارير الطبية ،لدرجة أنه فقد ذاكرته لبعض الوقت -

ابتسم (ياسين) وقال :

-قلت لكم أن هذه القضية ستتخذ مسارات مختلفة ،هل قرأت البلاغ المقدم من

الدكتور (علي) جيداً أيها المحامي؟-

ارتبك الحامي الشاب وقال :

-في الحقيقة لم يسعفني الوقت لقرا...-

قاطعته (ياسين) بحزم:

-البلاغ المقدم لا يوجه اتهام مباشر إلى هذا الشاب .. لكنه طلب اوضعه تحت

الحماية بعد استجوابه بالطريقة الخاصة -

ردد (محمد) في دهشة :

-الطريقة الخاصة؟! -

تناول (ياسين) ورقة من داخل أحد الملفات الموجودة أمامه ،وناولها إلى (محمد) وهو يقول :

-عليكما التوقيع على هذا الإقرار -

شعر (عماد) بالقلق ،فنظر إلى (محمد) وسأله :

-ماذا هناك ؟ أنا لا أفهم شيئاً -

قرأ (محمد) تلك الورقة ،قبل أن يرفع عينيه إلى (عماد) ويقول:

-أعتقد أننا يجب علينا أن نوقع على هذا الإقرار -

(عماد) :

-أي إقرار؟-

(محمد) :

-إقرار بالموافقة على خضوعك للطريقة الخاصة واستخدامها كدليل بإذن النيابة -

(عماد) :

-أية طريقة خاصة تلك ؟ هل تريدون مني الموافقة على التعرض للتعذيب مثلاً؟-

هتف (ياسين) مستنكراً:

-تعذيب ؟! -

ثم مال للأمام قليلاً نحو (عماد) وقال بلهجة صارمة :

-اسمع يا هذا ،، ما يدور في هذه الحجرة يتم تسجيله بالصوت والصورة بقوة

القانون ،ولدي الآن سبباً كافياً لاتهامك بتلفيق التهم لأجهزة الدولة -

ارتبك (عماد) ،وامتقع وجه (محمد) الذي قال بسرعة :

-هو لم يقصد شيئاً ،، بل أنه لا يعرف شيئاً في الحقيقة ،، أنا متأكد من أنه من عالم

مختلف عن عالمنا -

تراجع (ياسين) في مقعده مرة أخرى وقال :

-دع أرائك الشخصية لنفسك أيها المحامي -

ثم نظر إلى (عماد) قليلاً قبل أن يقول :

- سأخبرك يا (عماد) ، أو أيا كان اسمك ، الطريقة الخاصة هي خضوعك للتحقيق تحت تأثير مصل بنتوثال الصوديوم المخدر -

اتسعت عينا (عماد) في دهشة وقال بغير تصديق :

-مصل الحقيقة ؟! -

أوماً (ياسين) موافقاً ثم قال:

-بتوقيعك على هذا الإقرار ، فسيتم أخذ ما تقوله تحت تأثير المصل بالاعتبار أمام المحاكم وأي جهة سيادية في الدولة ، لكن برفضك التوقيع أو رفضك الخضوع للمصل ، فإن ذلك يعتبر إقرار منك بجريمتك -

صاح (محمد) :

-أية جريمة ؟ موكلي بريء من أي اتهام و... -

قاطعته (ياسين) بحنق :

-أنا أوضح له الفائدة والهدف من وجود الإقرار أيها المحامي ، وأتكلم بشكل عام ، وقلت سابقاً أن مركز البحوث لم يقدم أي اتهام رسمي بل يطلب التحقيق بالطريقة الخاصة ، وإذا ثبت صدق هذا الشاب ، سيتم وضعه تحت الحراسة لحين ينتهي المركز من البحث بشكل علمي في الأمر -

الآن فقط فهم (عماد) لماذا أبلغ عنه الدكتور (علي) ، فالرجل بصفته الحكومية ، كان يريد أن يتم الأمر بشكل قانوني ، فشعر بارتياح كبير ، وأخذ الإقرار من يد المحامي ، وهو يسأل (ياسين) :

-هل لي بقلم من فضلك ؟-

ابتسم (ياسين) بثقة ، وناول قلمه ، فوقع (عماد) الإقرار بسرعة ، وتبعه (محمد)

بقلق ، ثم أعاد (عماد) القلم والإقرار إلى (ياسين) وسأله:

-ومتى يمكنني الخضوع لهذا التحقيق ؟-

لم تفارق ابتسامة الثقة وجه (ياسين) وهو يقول :

-قريباً ، قريباً جداً -،

(٧٣)

انتظر (عماد) و (محمد) في حجرة خاصة ،طبقاً للمعمول به في مثل هذه الحالات ،لم تكن حجرة خاصة ،بل كانت معدة للانتظار ،تحتوي على صفوف من المقاعد المعدنية الأنيقة المتراسة ،وبها مبرد لمياه الشرب.

وجدها (عماد) فرصة ليستوضح بعض الأمور من (محمد) ،فسأله :

- هل استخدام مصل الحقيقة شائع في عالمكم ؟-

هز (محمد) كتفيه وقال:

-لا ليس شائعاً ،. لكن أحياناً نضطر للجوء إليه في حالات نادرة -

قال (عماد):

-في عالمي ،لا يعتد بأي تحقيق جرى تحت تأثير المصل أمام المحاكم -

سأله (محمد) :

-ولمَ ؟-

(عماد) :

-إنه عقار مخدر في الاساس ،لكنه يفقد الانسان القدرة على اختلاق الأكاذيب ،وفي

عالمي ،يعتبر الاعتراف تحت تأثير المصل غير هام لأنه لم يكن بالإرادة الحرة للشخص

-

مط (محمد) شفتيه وقال:

-ربما تداركنا هذا في عالمنا ،لذلك لا يخضع للمصل إي شخص دون اون يوقع إقرار

بالموافقة على استخدامه -

قال (عماد) :

- وإن رفض استخدام المصل ،يعتبر مقرأً بجريمته كما قال وكيل النيابة -
قال (محمد) :

-لأبد من وجود وسيلة ضغط على من تريد إخضاعه للتحقيق الخاص ،فإن قَبِلَ الأمر
فهو صادق ،وإن رفض فهو مجرم أو شريك في الجرم بلا شك -
قال (عماد) :

-وجهة نظر -

ثم قال بسرعة :

-أخبرني عن معاملة رجال الشرطة للناس-

هز (محمد) كتفيه وقال :

-وما بها ؟ أراها عادية جداً -

صاح (عماد) :

-عادية ؟! أي قول هذا يا رجل ؟لقد ظننت أنني كنت ضيفاً على وزارة السياحة يوم
أمس ،لا مجرد حبيس في أحد أقسام الشرطة -
ضحك (محمد) وقال:

-ولمَ كل هذا ؟ما عرفته أنهم لم يهتموا بك وكانت معاملة روتينية -
بلغت دهشة (عماد) مداها وهو يقول:

-إن كانت هذه هي المعاملة العادية (الروتينية) كما تقول ،فما هو الحال لو اهتموا
بي أكثر ؟-

قال (محمد) :

-لو كان لك أحد الأقارب ذوي العلاقة بالشرطة أو من أصحاب النفوذ ،لوضعوك في
حجرة خاصة مزودة بتليفزيون وثلاجة كبيرة ،وكنت لتجد هذه الثلاجة وقد امتلأت
بأنصاف الفواكه المختلفة ،وكنت ستحدد وجباتك المفضلة ولا تأكل من طعام القسم
العادي -

قال (عماد) :

-طعام القسم العادي هذا يقدم في فنادق ذات ثلاث نجوم في عالمي .. لكن واضح من كلامك أن المحسوبة تلعب دورها هنا أيضاً -
أوماً (محمد) موافقاً وقال :

-للأسف .. المحسوبة كالسرطان في جسد مجتمعنا -
ثم قام من مكانه ،فسأله (عماد) :
-إلى أين ؟-

قال ببساطة :

-سأحضر كوبين من الشاي -

قالها ،وخرج ،فجلس (عماد) يفكر في هذا العالم ،كان يراه مثاليا ،وكأنه في المدينة الفاضلة ،ولو أن مشكلاتهم تتعلق فقط بالمحسوبة ،فهنيئاً لهم بعالمهم.
تلقت حوله ،لم يكن هناك سواه في الحجرة ،فخطرت بباله فكرة ،لماذا لا أهرب من هذا المكان ؟ فهو غير مكبل ،ووحيد تماماً ، كل ما عليه هو أن يخرج من هذه الحجرة ،ومن المبني كله.

قام بحذر ،ثم سار بهدوء ،وفتح باب الحجرة ،ثم خرج منها ببساطة ،كان هناك ممر طويل أمامه حتى يصل إلى الدرج والمصعد ،وكل الحجرات على جانبي الممر تضح بالحياة ،فلن يتلفت له أحد بالتأكيد ،سار بضعة خطوات هادئة ،قبل أن يلاحظ ظهور ثلاثة عساكر في نهاية الممر ،تماماً أمام المصعد ،وقد ظهر التحفز عليهم جميعاً ،فشعر (عماد) بقلق ،لكنه قرر ألا يتوقف ،وقبل أن يخطو خطوة إضافية ،شعر بيد قوية فوق كتفه وصوت صارم يقول من خلفه :

-إلى أين أنت ذاهب ؟-

التفت بقلق إلى مصدر الصوت ،فوجد ثلاثة عساكر أيضاً على بعد خطوة واحدة منه ،وكان أولهم هو صاحب السؤال ، فقال بارتباك :

-كنت أبحث عن محاميّ -

قال العسكري بنفس الصرامة :

-لقد ذهب إلى البوفيه .. عد إلى حجرة الانتظار كما كنت وانتظره هناك -
لم يعارضه (عماد)، وأسرع الخطى في صمت، عائد إلى حجرة الانتظار، وفتحها
ودخلها بسرعة، ثم جلس وعينيه تتفحص الجدران، فوجد كاميرات مراقبة صغيرة
مثبتة في أكثر من موضع، فابتسم.

لحظات ودخل (محمد) مسرعاً، يحمل كوبين من الورق المقوى، وجلس بسرعة
بجوار (عماد) وسأله :

-ما الذي فعلته ؟ أتحاول الهرب ؟-

هز (عماد) رأسه وقال :

-بل كنت أبحث عنك فحسب -

(محمد) :

-لقد أخبرت بأنني سأجلب بعض الشاي وأعود -

أطرق (عماد) ولم يعقب، فقال (محمد) :

-سأخبرك بأمر هام .. كل المنشآت الأمنية هنا لها تصميم خاص بحيث يكون
أماكن الدخول والخروج فقط تحت الحماية الدائمة، وباقي الأماكن مراقبة بدوائر
تليفزيونية كاملة، وفي كل دور من أدوار أي مبنى توجد حجرة مراقبة وتحكم وبها
بعض الحراس، وكلهم متصلين فيما بينهم بسماعات دقيقة داخل الأذن، ولقد أخبرني
الحراس بأنهم رأوك تتلفت حولك داخل هذه الحجرة قبل أن تقوم وتغادرها، وكان
من الطبيعي أن يتم توقيفك لأنه لم يصدر لك تصريح بالخروج من المبنى حتى الآن

-

هز (عماد) كتفيه وقال:

-أنا معجب بنظامكم الأمني هذا -

قبل أن يتفوه (محمد) بكلمة أخرى، انفتح الباب، وخلفه أحد الحراس ينظر لهما
ويقول :

-تفضلا معي -

نظر (عماد) إلى (محمد) ،فقد خشي أن يتم اتهامه بالهرب ،فسأله :
-إلى أين ؟-
أجاب (محمد) وهو ينظر بحسرة إلى الشاي الذي لم يطعمه :
-أعتقد أننا ذاهبان إلى التحقيق الخاص -

(٧٤)

داخل غرفة خاصة ،جدرانها ملونة بمزيج من اللون الرمادي واللون السماوي ،خضع (عماد) للتحقيق الخاص ،وبمرافقة محاميه الشاب ،جلس كلاهما على رأس طاولة خشبية متوسطة وأمامهما مكبر للصوت ،وفي مقابلهما من الجهة الأخرى جلس (ياسين) ومعه ملف ما مليء بالأوراق ،وأمامه كذلك مكبر للصوت.

عن يمين (عماد) ،تواجد رجل يعمل على تسجيل كل ما يدور في الغرفة بالصوت والصورة ،مستخدما كاميرا حديثة مثبته فوق حامل خاص ،أما عن يساره فكانت هناك مرآة تحتل نصف مساحة الجدار بالكامل ،لم يكن الأمر يحتاج للكثير من الذكاء لتدرك أن هذه المرآة عاكسة من جهة واحدة فقط ،أما جهتها الأخرى فهي شفافة تسمح للمراقبين بمشاهدة ما يحدث داخل حجرة التحقيق.

ظل (محمد) يحاول بث روح الثقة في (عماد) ،ومهوونا عليه الأمر ،في حين كان (عماد) يتلهف الانتهاء من هذا التحقيق ،فهو سيخبرهم بالحقيقة ،وهذه المرة لا مجال لهم إلا أن يصدقوه ،ولأول مرة شعر بأنه على وشك النجاة من أزمته.

عندما حانت اللحظة ،دخل طبيب ومع مساعده ،وهذا المساعد يدفع امامه عربة معدات طبية صغيرة ،وشرع الطبيب في قياس ضغط الدم ومعدل ضربات قلب (عماد) ،حتى تأكد من قابلية (عماد) لتعاطي جرعة من عقار الحقيقة ،فأخرج محقن خاص وغرسه في ذراع (عماد) حيث موضع أحد أورده ،ليسري المصل في دمه بسرعة ،بعدها تفحص الطبيب (عماد) بسرعة ،قبل أن يتنحى جانبا هو ومساعدة ،ويعطي إشارة بيده بمعنى أن كل شيء على ما يرام ،ويبدأ التحقيق.

أخرج (ياسين) ما في الملف من أوراق ،كانت هذه الأوراق تمثل كل شيء بالنسبة

لـ(عماد) ،ففيها أوراق اثبات شخصيته ،وأوراق التجربة بالكامل ،والتقرير الطبي لحالته منذ دخوله للمستشفى التابعة للمركز وحتى مغادرتها.

بدأ التحقيق بالأسئلة التقليدية ،عن بياناته الشخصية ،وبالطبع أجاب (عماد) بكل صدق ،وعكف (ياسين) على مقارنة إجابات (عماد) بما لديه من أوراق ،ورغم انه لا يمكن الاعتراف بأوراق تحقيق الشخصية هذه في هذا العالم ،إلا أنها كانت متطابقة مع ما يقوله (عماد).

ثم انتقل التحقيق إلى السفر خلال الزمن ،وعند هذه المرحلة ،استدعى (ياسين) شخصاً متخصصاً في علم الفيزياء ،أحد أساتذة الفيزياء في جامعة القاهرة ،والذي أكد على ما يقوله (عماد) ،وعلى ما يحمله من أوراق من الناحية النظرية ،حتى أنه طالب الحصول على نسخة من هذا الملف ليعمل عليه بشكل شخصي.

استغرق التحقيق هذه المرة ساعة ونصف الساعة ،لم يترك (ياسين) أي شيء إلا وسأل عنه ،سأل (عماد) عن عمله في الجامعة ،علاقته بزملائه ،علاقاته الشخصية وأصدقائه ،مدى تدينه والتزامه ،خلفيته السياسية والمرجعية ،هواياته ونشاطاته ،كل ما يمكن أن يستفيد منه في التحقيق تم السؤال عنه.

بعدها ،ترك (ياسين) المجال للطبيب ومساعدة ،لإزالة أثر العقار من جسد (عماد) وعقله ،ثم أمر ببقائه في حجرة الانتظار .

(٧٥)

هذه المرة لم يكن (عماد) دون حراسة في حجرة الانتظار، كما كان في المرة السابقة، وهذه المرة أيضاً لم يكن بصحبة (محمد)، فقط هو وحارس من العساكر. حاول أن يستفسر من الحارس عما سيحدث، وعن مكان (محمد)، فلم يعطه ذلك العسكري أي اجابة شافية، كل ما قدمه له هذا الحارس كان كوباً من الشاي الساخن وزجاجة مياه صغيرة وشطيرة لحم، وأخبره أن محاميه هو من أحضر هذه الوجبة له.

دفعه الجوع لافتراس شطيرته بلا هوادة، فقد كان يتصور جوعاً بالفعل، وشعر أن هذا هو أفضل وقت في حياته ليتناول الشاي.

شعر بأنه استعاد صفاء ذهنه، وبعض الحيوية والنشاط، لم يكن يحمل ساعة يد ولا حتى هاتفه المحمول، فسأل العسكري عن التوقيت، فوجد أن الساعة تجاوزت السادسة مساءً بدقائق.

بضعة دقائق أخرى، ثم دخل (محمد)، كانت على ملامحه علامات الذهول، مما كان كفيلاً بإثارة قلق (عماد) الذي سأله :
-ماذا حدث يا (محمد) ؟-

ظل (محمد) جامداً للحظات، قبل أن ينتفض وكأنه يفيق من حلم ما، وقال:
-عن أي شيء تسأل بالتحديد ؟-

قال (عماد) بتوتر :

-كل شيء .. أخبرني عن كل ما جرى، هل انتهت التحقيقات ؟ هل سأنصرف من هنا ؟ .. أخبرني بكل شيء -

تقدم (محمد) وجلس بجوار (عماد)، ثم طلب من العسكري أن يتركهم بمفردهما، فقام العسكري الموكل بحراسة (عماد) وغادر المكان، ثم التف (محمد) بجسده فوق مقعده ليواجه (عماد)، وظل يتفرس في ملامحه لبعض الوقت، ثم قال:-
اطمئن .. لقد انتهى التحقيق بالفعل، وستغادر إلى قسم الشرطة مرة أخرى-
قال (عماد) بعصبية:

-أي إجراء هذا ؟ .. أليس من المفترض أن يتم الإفراج عني من هنا مباشرة؟-

حك (محمد) جبهته وقال:

-هذا إجراء خاص يا (عماد)، فلن يتم الإفراج عنك بشكل تام كما تظن -
سأله (عماد) بقلق :
-أوضح مقصدك، فقد بلغت من القلق ما يكفي -
(محمد) :

-كما تعلم .. كل هذا التحقيق كان بغرض اثبات صدقك من عدمه، وهذا ما أقرته النيابة بالفعل، وبناءً على ما طلبه الدكتور (علي) مدير مركز البحوث، فسيتم تسليمك للمركز، للعمل معك على بعد الأمور العلمية الخاصة جداً، وهذا ما سيحدث صباح الغد من خلال قسم الشرطة -

قال (عماد) بغضب :

-لقد كنت في هذا المركز بالفعل، وكنت على أتم استعداد للتعاون، هم من دفعوني لهذا التحقيق -

قال (محمد) :

-عليك أن تتذكر أن المركز كان يحتاج صيغة قانونية ليتعامل معك .. لقد طلب مني الدكتور (علي) أن أؤكد على هذه النقطة -

قطب (عماد) حاجبيه وقال:

-هل قابلت الدكتور (علي)؟-

أوماً مجيباً برأسه وقال :

-لقد رحل قبل قليل بعدما عرف نتيجة التحقيق الخاص -

بدأ (عماد) يعيد النظر في الأمر برمته ،لكن هذه المرة من وجهة نظر الدكتور (علي) الموظف الحكومي رفيع الشأن ،وبدأ يتفهم ما قام به ويتقبله بعض الشيء ،وبدأ يفهم طبيعة شخصية الدكتور (علي) في هذا العالم ،وكيف هي مختلفة عن الدكتور (علي) في عالمه ،وفجأة تذكر أن (نهى) أشارت ذات مرة إلى أنها تراه مختلفاً عن (عماد) هذا العالم.

قال وقد هدأ بعض الشيء :

-على الأقل قد ثبت لكم صدقي الآن ،وبشكل رسمي -

قال (محمد) وهو يقوم من مكانه :

-هيا بنا ،فعليك التوقيع على الأوراق الرسمية ،قبل أن يتم ترحيلك إلى القسم -

قام معه (عماد) ،وخرجا من الحجرة ،فانضم لهما العسكري الذي كان ينتظرهما خارج الحجرة ،وتقدما صوب مكتب (ياسين) ،وفي أعماقه شعر (عماد) بالراحة لأول مرة منذ وطأ أرض هذا العالم ،فهو الآن موضع ثقة بشهادة رسمية من النيابة ،وبالتأكيد سيجد العون من الدكتور (علي) ،أو هكذا يتمنى.

(٧٦)

استيقظ (عماد) على صوت أجش يناديه ،فتقلب ليرى مناديه ،فكان هو حارس غرفة الحجز بذلك المخفر ،واقفاً عند الباب ويشير إلى (عماد) ويقول :
-هيا .، تحرك ،فقد حان موعد خروجك من هنا-

اعتدل (عماد) جالساً وقال:

-دعني فقط أغسل وجهي على الأقل -

مط الحارس شفتيه وقال :

-أسرع إذن ،وسأنتظرك هنا -

قام (عماد) واتجه إلى الحمام الملحق بالغرفة ،وغاب داخله لدقائق ،قبل أن يخرج ويرتدي سترته ،ويذهب مع الحارس.

قاده الحارس إلى حجرة صاخبة ،بها الكثير من الرجال ،دخلا مباشرة من الباب حتى كاوتر من الرخام يجلس خلفه اثنان من أمناء الشرطة ،وكل منهما مشغول في ما أمامه ،فقال الحارس مخاطباً أحد الرجلين :

-هذا هو (عماد) يا حضرة الأمين -

لم يرفع الرجل عينيه عن الأوراق التي امامه وهو يقول :

-حسنا .، انتظرا للحظات -

كان هناك ثلاثة آخرين أمام هذا الكاوتر ،أحدهما يتعامل معه نفس أمين الشرطة الذي سيتعامل مع (عماد) ،والآخرين يتعاملان مع أمين الشرطة الآخر ،والحجرة مكتظة بالكثيرين ينتظرون دورهم بالخلف.

خلال دقائق الانتظار ،لم يلحظ (عماد) ذلك الشاب خلفه ،الذي قام واقفاً وسكن

ولم يتحرك.

انتهى أمين الشرطة من المعاملة الخاصة بالرجل الواقف أمامه بجوار (عماد)
،فناولها إياه وقال :

-عليك توقيعها من الضابط في المكتب المجاور ،ثم توقيعها وختمها من سيادة
المأمور-

أخذ الرجل أوراق معاملته ،وانصرف مسرعاً ،فالتفت أمين الشرطة إلى (عماد)
،واتسعت عيناه في دهشة ،وفغر فاهه ،وظل على هيئته تلك للحظات ،قبل أن يهز
رأسه ويقول متعجباً :
-سبحان الله -

ثم استعاد حزمه وقال بصوت عال:
-تقدم يا أستاذ (عماد) -

لم يفهم (عماد) ما الذي يريده أمين الشرطة بالتحديد ،فهو ذا واقف أمامه لا
يفصلهما سوى الكاونتر الرخامي ،ثم دخل إلى جواره شاب له نفس طوله ،فالتفت
إليه بحرجة غريزية ،واتسعت عيناه عن آخرهما ،حتى كادت تغادران محجريهما
،فذلك الشاب الواقف بجواره لم يكن سواه.
كان هو نفسه لكن في ملابس مختلفة.
وبمعنى أدق ،كان (عماد) هذا العالم.

(٧٧)

هل تخيلت يوماً ما أن تواجه نفسك؟ مواجهة مادية على أرض الواقع، لا أقصد مواجهة النفس والضمير، بل أقصد أنت تكون أنت وأنت أيضاً، أعتقد أنك مرتبك الآن.

إن كان الارتباك هو شعورك لمجرد أن تخيلت مثل هذا الموقف، فما بالك لو عشته حقاً.

كان الذهول والرغبة هما المسيطران على (عماد) وهو يقف أمام (عماد)، قرينه ابن هذا العالم، صحيح أنه كان متأكد من حدوث هذا اللقاء، وكان يظن نفسه مستعداً له، لكن الواقع أكثر تأثيراً من أي ظن أو خيال.

وجد (عماد) نفسه ينظر إلى نفسه لكن بلا مرآة، ينظر إلى جسد وروح، نفس الطول، نفس لون البشرة، نفس لون الشعر، نفس الملامح، إنه هو الذي في الحقيقة ليس هو.

تعود (عماد) على تطابق أهل هذا العالم مع أهل عالمه في المظهر، ف(نهى) هي نفسها (نهى) في الشكل والهيئة، والدكتور (علي) هو نفسه الدكتور (علي) في الشكل والهيئة، و(طارق) هو نفسه (طارق) في الشكل والهيئة، تعود على هذا التطابق، بل كان هذا التطابق مطمئناً له في غالب الوقت، أما الآن، وبعد ما رأى (عماد) الآخر، أصبح هذا التطابق مخيفاً بالنسبة له.

ابتسم (عماد) الآخر وقال ببساطة :

-مرحباً يا قريني العزيز -

لم ينطق (عماد)، ولم يفارقه ذهوله، ولم يستطيع حتى أن يبعد ناظريه عن

(عماد) الآخر، حتى عندما سمع أمين الشرطة يقول :
-عجباً ! لو أنكم توأم متطابق لما كنتما بهذا التشابه العجيب -
ظل (عماد) محدقاً في قرينه، الذي قال :
-هل ستظل محدقاً فيّ بدھشة هكذا ؟-
خرجت الكلمات بصعوبة من (عماد) وقال:
-الأمر ليس سهلاً أبداً -
ضحك (عماد) الآخر وقال:

-دعنا ننتهي من إجراءات خروجك، وبعدها سنتحدث طويلاً .، طويلاً جداً-
قالها وهو يخرج من جيبه محفظته الجلدية، ويخرج منها إثبات شخصيته، ثم
قدمها مع تفويض خاص من المركز إلى أمين الشرطة، الذي عكف على إنهاء محضر
التسليم والتعهدات اللازمة وسط دهشة كبيرة، وبين الحين والآخر يرفع ناظريه إلى
الثنائي (عماد) ثم يهز رأسه متعجباً، ويعود ليكمل ما يفعل.

دقائق وانتهى كل شيء، وبعد الحصول على التوقعات والأختام اللازمة، خرج
الثنائي من المخفر، إلى سيارة المركز الخاصة بنقل العاملين والتي أقلت (عماد) الآخر
من المركز وحتى المخفر، كانت من نوع الحافلات الصغيرة التي تتسع إلى خمسة
وعشرين راكباً فقط، فركبا فيها وجلسا متجاورين في صف واحد، لكن يفصلهما ممر
ضيق في منتصف الحافلة لممر الركاب، وانطلقا وسط دهشة بالغة من السائق
والذي لم يستوعب ما يراه، وطوال الطريق ظل ينظر إليهما مطولاً من خلال المرآة
التي أمامه.

لاحظ (عماد) أن قرينه لا تبدو عليه الدهشة لرؤيته، بل شعر أنه قد ألف الأمر
سابقاً، فقال:

- أراك لست مندهشاً لرؤيتي -

قال الآخر :

-لقد دُھشتُ حين رأيتك للمرة الأولى، اطمئن .، ستعتاد الأمر -

سأله (عماد) :

-ومتى تقابلنا لأول مرة ؟-

الآخر :

-أنت لم تراني من قبل ،لكنني رأيتك صورتك مع الدكتور (علي) وأنت فاقد الوعي-
كان من الصعب على (عماد) تقبل الأمر ببساطة ،فهو لأول مرة يرى نفسه
يتحدث ويتحرك ،شعور عجيب لا يمكن وصفه.

حاول (عماد) أن يفتح حواراً مع قرينه هذا ،فقال:

-هل اطلعت على أوراق التجربة ؟-

أوما الآخر موافقاً وهو يقول :

-بالطبع -

(عماد):

-وما رأيك فيما وجدت ؟-

لمعت عينا الآخر وهو يلتفت إلى (عماد) ويقول:

-عبقريّة ،راجعت التجربة عدة مرات ،لقد قمتم بعمل مذهل يا صديقي -

بدأ (عماد) يطمئن لقرينه بعض الشيء ،فهو أول شخص في هذا العالم يبدى

اعجابه بما قاموا به ،ويؤيد عبقريّة التجربة ،فقال معبراً عن ذلك:

-لقد دأب الدكتور (علي) على ذكر استحالة تنفيذ التجربة من الناحية العملية ،وإن

لم يرفضها نظرياً-

قال الآخر:

-دعك منه ،فهو موظف حكومي بدرجة عالم-

قطب (عماد) حاجبيه ،ولم تعجبه تلك الطريقة التي يتحدث بها قرينه عن

الدكتور (علي) ،ووجد سخريته هذه فجّة للغاية ،خاصة وأنه يرى في الدكتور (علي)

في عالمه قدوة له.

قال (عماد) الآخر:

-سيتطلب الأمر منا جهداً كبيراً لنقنعه بإعادة القيام بالتجربة-

(عماد) :

-كنت أظنه سيتحمس للقيام بها -

قال الآخر:

-أنت لا تعرف الدكتور (علي) كما أعرفه أنا .، ربما كان الدكتور في عالمك أكثر مرونة وأقل تعقيداً منه في عالمنا ،لكن هنا .، سيعترض الدكتور علينا بحجة كيف سنسجلها في الأوراق الرسمية وما فائدها حتى يتحمل المركز تكلفتها ،وكلام من هذه النوعية ،حتى لو أقنعناها بإمكانية تنفيذ التجربة ،فسيجد من العوائق الروتينية ما يكفيه لكي يمنعنا من التنفيذ-

قال (عماد):

-بالنسبة لنقطة التكلفة ،فالمركز لن يتحمل الكثير ،فكل شيء جاهز تقريباً ،يبقى فقط تجهيز المضمار-

قال الآخر :

-وهنا تكمن المشكلة ،المضمار كما تسميه أنت غير مجهز لتجربتنا ،ولن يقبل الدكتور إجراء التعديلات المطلوبة مهما حاولنا معه-

قال (عماد) :

-عجباً .، في عالمي ،قام الدكتور (علي) بإنشاء المضمار خصيصاً لهذه التجربة -
قال الآخر :

-لعلك لاحظت الآن أن العالمين مختلفين بعض الشيء-

كان (عماد) الآخر محقاً ،فهناك فوارق واضحك بين العالمين ،صحيح أن الأشكال والهيئات متطابقة تماماً ،لكن الصفات الفردية والشخصية مختلفة بشكل واضح ،كان عقله يأبي الاعتراف بالفوارق في محاولة منه للتأقلم على الحياة في هذا العالم باعتباره عالم متطابق مع عالمه ،لكن لا يمكن الاستمرار في هذا الادعاء.
فها هو يرى قرينه ذو شخصية مختلفة عن شخصيته ،وكذلك الأمر بالنسبة

للدكتور (علي)، حتى (نهى) في هذا العالم لدهيا بعض الجرأة والتحرر بخلاف (نهى) خطيبته البسيطة الهادئة .

حتى الجهات المجتمعية الرسمية تختلف عن عالمه، أسماء الوزارات والمصالح الحكومية مختلفة بعض الشيء.

شرد (عماد) في أفكاره، وبدأ يرى الصورة التي لم يقتنع بها، أما قرينه فقد تركه في سلام، ولم يحال فتح باب الحوار مجدداً، واستمر بهم الحال حتى وصلا إلى المركز.

(٧٨)

داخل حجرة مكتب الدكتور (علي)، اجتمع ثلاثتهم، الدكتور (علي) و(عماد) و(عماد) الآخر.

في هذه الساعة من الليل، لم يكن من المعتاد تواجد الكثيرين في المركز، فكان الهدوء هو السمة المميزة للمكان.

بدأ (علي) بالكلام :

-أتمنى أن تتفهم موقعي منك يا (عماد) -

ابتسم (عماد) وقال:

-هذه هي المرة الأولى التي تخاطبني فيها باسمي -

(علي):

-لو كنت في موضعي ...-

قاطعته (عماد) :

-لا عليك يا دكتور .. فأنا أعذك فيما قمت به ،على الأقل أصبحت ذا صفة رسمية هنا-

تنهد (علي) بارتياح ،ثم قال:

-أعتقد أنك بحاجة إلى الراحة الآن ،حتى تصفي لنا ذهنك وعقلك في الصباح-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً وقال :

-معك حق يا دكتور ،ولقد فكرت أن أقيم بأحد الفنادق حتى ...-

قاطعته (عماد) الآخر قائلاً :

-أي فندق ؟! دع عنك هذه الأفكار ،فسوف تقيم معي ،ولا تنس أن بيتي هو بيتك -

ارتبك (عماد) أمام هذا العرض ،فهو بالكاد تعود على رؤية قرينه ،لكن سيكون من الصعب أن يقيم معه بشكل دائم.

قال (علي) :

-أعتقد أنه من الأفضل أن تقيم هنا في المركز ،ولدينا نُزل ،صغير ملحق بالمركز ،ولقد تم تجهيز غرفة خاصة حتى تتمتع بخصوصيتك-

قال (عماد) الآخر :

-خصوصية عني أنا ؟ نحن شخص واحد في جسدين يا دكتور ،وأنا أُصر على أن يقيم معي -

قال (عماد) :

-بل أجد من الأفضل أن أقيم بمفردتي -

مط (عماد) الآخر شفثيه وقال:

-كما تريد .. لن أضغط عليك أكثر من ذلك-

قام الدكتور (علي) من خلف مكتبه وقال مخاطباً (عماد):

-هيا بنا الآن ،لنوصلك إلى مبنى النُزل ،وبعدها سأقل (عماد) إلى بيته-

قام ثلاثهم وهموا بالخروج من المكتب ،فتناول (علي) حقيبة الأوراق التي

تحتوي كل أوراق (عماد) وناولها إياها ،ثم سار الدكتور (علي) بين الـ(عمادين)

ووضع ذراعيه على كتفيهما وهو يوقل مداعباً:

-ينبغي أن نميز بينكما حتى لا يختلط علينا الأمر-

ضحك (عماد) الآخر وقال:

-وكيف هذا ؟-

ابتسم (عماد) وقال:

-اطمئن يا دكتور ،يمكنك تمييزي بهذه الملابس التي لا أملك سواها حالياً-

ضحك الدكتور (علي) وقال :

-إذن لابد وألا تستبدل ملابسك أبداً -

غادروا حجرة المكتب، وهبطوا مغادرين المبنى كله، وساروا في الفناء حتى وصلوا إلى مبنى النزل الصغير، في قسمه الخاص بالرجال، وتوقفوا أمام باب يحمل الرقم ثمانية، في الطابق الأرضي من المبنى، ثم أخرج (علي) من جيب سرواله مفتاحاً مميزاً في سلسلة فضية قصيرة تنتهي بقطعة دائرية فضية اللون أيضاً، أحد وجهيها يحمل اسم المركز، والوجه الآخر يحمل الرقم ثمانية، ثم أدخل المفتاح في رتاج الباب وأداره عدة مرات حتى انفتح الباب، فقال:

-تفضل يا (عماد)، وسننتظرك في مكثبي صباح الغد-

قال (عماد) :

-إن شاء الله يا دكتور -

ثم حياهما فانصرفا، فاستدار ودخل الغرفة، ومد يده إلى الحائط باحثاً عن مفاتيح الإنارة.

أنار الغرفة، لم تكن غرفة بالمعنى الحرفي، بل هي وحدة سكنية، أغلق (عماد) الباب وأحكم إغلاقه من الداخل، ووقف يتأمل مسكنه الجديد، كانت الوحدة عبارة عن صالة كبيرة، تحتوي على مقاعد أنيقة على الطراز الحديث، وطاولة طعام صغير يحيطها أربعة كراسي خشبية، وهناك شاشة مسطحة متوسطة الحجم معلقة على الجدار، وأسفل الشاشة هناك جهاز استقبال القنوات الفضائية، والصالة مفتوحة على بوفيه صغير لكنه مجهز بالكثير من الأواني والأدوات، ثم هناك ممر صغير يفصل الصالة عن حجرة النوم التي تم تأثيثها بالكامل، وحمام صغير لكنه نظيف، كانت الوحدة السكنية هذه جيدة بالنسبة لها وتفي بمتطلباته تماماً.

دخل (عماد) إلى حجرة النوم، وترك الحقيبة جانباً وخلع سترته وحذائه ثم ألقي جسده فوق السرير، طالباً ود سلطان النوم.

(٧٩)

داخل الثقب الأسود، سبح (عماد) مجدداً، في ذلك الكون الصغير ذو الجاذبية العجيبة، وجد نفسه يعيش ما عاشه من قبل، واقفاً أمام تلك المشاهد الغير مترابطة ببعضها.

ألم الذهول به، وتساءل كيف عاد إلى هنا؟ ولماذا عاد؟ ظل ثابتاً يراقب ما يحدث، لكن لا شيء يحدث حقاً، راقب تلك المشاهد التي تحيط به، وتأكد من أنها لا تتقلص عليه كما حدث من قبل، الآن لديه بعض الوقت. لكن أي وقت؟

عندما نجا في المرة السابقة من هذا الثقب، وجد نفسه في عالم غير عالمه، وزمن سابق لزمه، وتوقفت ساعته هناك، حتى انها عملت بشكل معكوس كما أخبروه. ثم لديه الوقت لأي شيء؟ هو محاصر بمشاهد وصور متحركة، وسط المزيد من اللاشيء.

قرر الاقتراب من هذه المشاهد، ولينظر ماذا يرى، تحرك كما اعتاد أن يتحرك، تحرك وقد تصاعد إلى رأسه سؤال مربك، أهو نفس الثقب الأسود السابق أم أنه دخل إلى آخر جديد؟

أثناء حركته مقترباً من الصور المتحركة، لاحظ أنه يرتدي زيه الواقى وأجهزة التنفس وكل معداته كما سبق، مما سبب له الحيرة، هم لم يعيدوا إليه ملابسه تلك في ذاك العالم الذي اقتحمه.

خطرت بباله فكرة ما، ربما ما حدث له مجرد حلم فقط، وهو لم يغادر الثقب الأسود في الأساس، أو ربما غادرة لآخر، ربما هو كذلك، وذاك العالم ليس له وجود

،وقد كان مجرد حلم عابر.

انتعش الأمل في أعماقه مجدداً، أمل أن ينتهى كل هذا الأمر ليجد نفسه في عالمه ،لا يهم أن يعود إلى زمنه ،لا يهم أن يصلهم في مستقبلهم كما افترضت التجربة ،وحتى لا يهمه إن عاد إليهم في الماضي ،المهم أن يعود لعالمه. اقترب من واحدة من تلك الصور ،بدرجة تسمح له رؤية التفاصيل ،وبمجرد ما ركز نظره على الصورة ،تحرك المشهد.

لم يكن مشهداً مألوفاً أبداً ،ربما هو جزء من فيلم تاريخي ،فهو يري أمامه عدد كبير من الجنود ،يصطفون في عدد من الكتائب ،وأمامهم عدد غير قليل من الفرسان اللذين يمتطون الجياد ،كل هؤلاء يجذب انتباههم فرد واحد ،يمتطي جواد قوي ،يقف في منطقة مرتفعة بعض الشيء ،تجعل من السهل على الجميع أن يرونه ،وفي الخلف من بعيد بعض الخيام التى ضربت في الأرض.

كانت ثيابهم تدل على أنهم ربما في القرن العاشر الميلادي أو الحادي عشر ،وربما الثاني عشر ،لا يمكنه تحديد أي زمان هذا ،لكن من المؤكد أن هؤلاء الجنود على وشك خوض غمار معركة شرسة.

أخذه المشهد كثيراً ،هل هذا القائد هو خالد الذكرى صلاح الدين الأيوبي فاتح بيت المقدس ؟ ولربما هو سيف الدين قطز داحر التتار والمغول.

رغم عدم تأكده من هوية هؤلاء القوم ،إلا أنه شعر بالفخر ،فسواء كان هذا هو صلاح الدين أو كان سيف الدين قطز ،فكلاهما مبعث للفخر والعزة ،كم كنا أقوياء وقتها ،كم كنا شداد على المحن ،وكم قهرنا المستحيل ،هل سيأتى علينا اليوم الذي سنتحد فيه كعرب وكمسلمين تحت راية واحدة ندافع فيها عن بيت المقدس ،ونرفع فيها كرامة الاسلام كما اعتاد اسلافنا الخالدين؟

قرر (عماد) أن ينتقل لمشهد آخر ،ودفع جسده في اتجاه اليمين ،وتحرك لمسافة قبل أن يتوقف ويراقب الصور بحذر وقلق.

لقد فعلتها مجدداً ،وها هي تتحرك متقلصة ومنكمشة على نفسها وعليه تماماً

كالمرّة السابقة ، لكن هذه المرّة كانت سرعة تقلصها أكبر من سابقتها ، وعلى الفور ، دفع جسده في الفراغ الجاذب هذا ، ودار كما يدور السباح ليغطس في المسبح من فوق منط مرتفع ، وانقلب رأساً على عقب بمرونة ، ودفع نفسه نحو الأسفل .

لكن مهلاً ، أين هي سيارته ؟ لا يرى ضوءها الخافت .

دفع نفسه بسرعة أكبر ، وهو ينظر في كل اتجاه ، لكن لا أثر للسيارة ، أصبح يتحرك حركات عشوائية مذعورة ، وهذا المكان المخيف يتقلص حجمه بشكل متسارع ، وتسارعت دقات قلبه لدرجة مرعبة .

لم يعد هناك متسعاً يتحرك فيه ، السيارة ليست هنا ، هذا مؤكد الآن ، المؤكّد أيضاً أنه لا يملك وسيلة للخروج من الثقب الأسود قبل انهياره ، حتماً هو هالك هذه المرّة . تضاعفت سرعة الانكماش ، فجمد في موضعه مذعوراً ، هو يرى النهاية قادمة من كل اتجاه ، هل سيشعر بالألم ؟ أم سينتهي الأمر بسرعة ؟ قلبه يكاد ينفجر من كل هذه الضخات المتعاقبة بسرعة كبيرة ، باتت حدود الثقب الأسود على بعد بضعة أمتار منه ، ربما ثانيّتين أو ثلاثة وينسحق في هذا المكان العجيب ، ويا له من قبر . اقتربت اللحظة الفاصلة ، فأغمض عينيه وهم بتريّد الشهادات ، لكنه فتح عينيه فجأة .

فتحهما ليجد نفسه ممدداً فوق سريره في الحجرة رقم ثمانية ، وهو يلهث بشده ، وقد غمره العرق الغزير رغم برودة الجو .

يا له من كابوس مفزع .

(٨٠)

اغتسل (عماد) ليسترّد نشاطه وحيويته ، فقد شعر بالارهاق عند استيقاظه ، بعد ذلك الكابوس الذي ظل واضحاً بكامل تفاصيله في مخيلة (عماد) ، انتهى من ارتداء ملابسه وهندامه ، ثم خرج ليذهب إلى مكتب الدكتور (علي) .
وهناك ، وجد الدكتور (علي) مشغولاً باجتماع ما ، واعتذر له (طارق) بأدب ، كما أخبره هذا الأخير أن (عماد) الآخر يحضر نفس الاجتماع ولا يمكنه مقابلته أيضاً .
لم يتبقى له سوى (نهي) ، فقرر الذهاب إلى حيث تعمل هي ، كان المبنى هو نفسه تقريباً من الداخل كذلك الذي في عالمه ، مع وجود اختلافات بسيطة في ألوان الدهانات والتشطيبات فقط ، فلم يكن عسيراً عليه أن يجد سبيله إلى حيث تعمل (نهي) .

شق طريقه ببساطة في هذا المكان الرحيب ، قابله الكثير من العاملين فألقوا عليه التحيات ظناً منهم أنه (عماد) الذي يعرفونه ، وكان يبادلهم التحية وهو يعلم تماماً من يظنونه .

كاد يصل إلى مكان عمل (نهي) ، وإذا بها أمامه فجأة ، كانت خراجه من مكتب ما ، فتفاجأت به هي الأخرى ، فابستمت وسألته بسرعة :
- ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ -

ابتسم وقال مرتبكاً :

- في الحقيقة ، لقد كنت أبحث عنك -

رفعت حاجبيها واتسعت ابتسامتها ، فازداد ارتباك (عماد) وقال بسرعة :
- أقصد أنني لا أعرف هنا سواك ، والدكتور (علي) وقريني العزيز ، وكلاهما في اجتماع

خاص ، ولم أجد ،،، -

قاطعته باسمه:

-لا عليك ،. لقد كنت في طريقي إليك بالفعل -

قال بلهفة :

-حقاً؟-

قالت:

-عليك أن تدعوني لتناول الشاي الساخن ،فالطقس شديد البرودة هذا الصباح -

عاد إليه ارتبأكه مجدداً وهو يقول :

-بالطبع ،. لكن أنتِ تعرفين أن ،،،،-

قاطعته مجدداً وهي تمشي بجواره :

-يمكنني أن أدعوك أنا للشاي هذه المرة ،فأنت لا تحمل نقوداً بعملتنا ،لكن عليك

أن تردها لي في أقرب فرصة -

سار بجوارها ،وهو يتأملها للحظات قبل أن يقول :

-ستزداد ديوني إليك أيتها المهندسة -

قالت بهرح دون أن تلتفت نحوه:

-وهل رأيت شيئاً بعد ؟ سيزيد دينك لي إلى حد لا تتوقعه -

ضحك لقولها ،وأكملا طريقهما حتى وصلا إلى كافيتريا المركز الواسعة ،والتي لم

تكن مزدحمة في هذا الوقت من الصباح ،كانت الكافيتريا رحيبة بشكل كبير ،تكتظ

بعشرات الطاولات المستديرة والتي يصطف حولها عدد من الكراسي المعدنية ،وفي

أحد جوانبها المطبخ والبوفيه ،فهي أيضاً المصعم الذي بخدم العالمين بالمركز ويقدم

لهم الوجبات الشهية في فترات الاستراحة.

جلس (عماد) و(نهى) متقابلين على مقربة من البوفيه ،وقد أتاها العامل بكوبي

الشاي ،وبدأ (عماد) يضيف السكر ،فسألته (نهى) :

-هل نمت جيداً ليلة أمس؟-

توقف عن قلب السكر مع الشاي، ونظر إليها مطولاً قبل أن يقول في حيرة :
-لا أعرف -

أمالت رأسها جانباً وقالت:

-يبدو أنك مررت بليلة ليلاء-

صمت قليلاً قبل أن يقول:

-كان كابوساً مزعجاً -

قالت :

-إنه مجرد كابوس عابر ، لا يستحق الأمر أن يشغل تفكيرك بهذا الشكل-

هز رأسه نافياً وقال:

-ليس كابوس عابر ، ربما .. ربما هي رؤية بطريقة أو بأخرى ، لا أعرف حقيقة ما رأيته

، فأنا لا زلت أتذكر كل تفاصيل ما حدث-

ظهر عليها الاهتمام وهي تقول:

-لو لم يكن لديك مانع ، يمكنك أن تقص عليّ رؤياك تلك-

صمت قليلاً ، وأخذته التفكير ، هل يقص عليها ما رأى أم لا ، ربما هو يحتاج

لمن يشاركه الأمر ، ويحتاج للمشورة ، حسم أمره وبدأ يحكي لها رؤياه ، وظلت هي

تستمع إليه باهتمام حتى انتهى من سرده ، فقالت:

-يبدو أنك لازلت متأثراً بما حدث لك في تجربتك-

هز رأسه موافقاً وقال:

-لكن هذا الوضوح وكل هذه التفاصيل ، لا يمكن أن يكون مجرد حلم عابر-

قالت:

-من الطبيعي أن يترك ما حدث في نفسك أثراً عميقاً ، وربما هذا الحلم جزء من تلك

الآثار ، وقد ينتهي كل هذا ما الوقت .. قل لي ، أهذه أول مرة ترى فيها مثل هذه

الرؤيا؟-

قال:

-بلى،هى المرة الأولى-

قالت :

-حسناً،فلننتظر ونرى ماذا تخبئى لنا الأيام القادمة-

نظر إليها وقال:

-أشكرك أيتها المهندسة -

ابتسمت ومالت للأمام قليلاً،ثم قالت:

-هل يمكننى أن أطلب منك شيئاً؟-

قال :

-بالطبع ،ما الذي تريدينه؟-

قالت :

-أن تكف عن مناداتى بلقب المهندسة يا (عماد) -

كانت مفاجأة بالنسبة له ،فارتبك بعض الشيء ،وأبعد ناظريه عن عينيها وقال :

-حسنا-

قالت:

-هذا أفضل ،فقد علمت أنك ستصبح زميلا لنا هنا ،وبالإضافة إلى ذلك ،فأنا لا اتعامل

مع اصدقائى بالالقب الرسمية-

قطب حاجبيه ،فما قالته يحمل شيئين هامين ،أولهما أنه سيعمل معهم في المركز

،أما الثاني ،فهى تعتبره صديق ،مجرد صديق ،شعر بالحنق تجاه ذاته ،وتسائل كيف

تحركت مشاعره تجاهها ،هى ليست (نهى) خطيبته ،بل هى قرينتها في عالم مختلف

تماماً عن عالمه ،ثم انها مخطوبة بالفعل ،الأدهى أنها مخطوبة إلى قرينه ،كيف وجد

نفسه في هذا الخضم الهائج من الافكار والمشاعر المتضادة.

لاحظت (نهى) عليه الشرود ،فسألته:

-ماذا هناك؟-

قال:

-افكر فيما قلتيه-

قالت:

-وهل هناك أي خطب في ما قلته؟-

قال مرتبكاً :

-لقد ذكرتي أنني سأعمل معكم هنا ،أليس كذلك؟-

قالت:

-بلى ،ألم يخبرك الدكتور (علي) بالأمر؟-

هز رأسه نافياً دون أن ينطق ،فقالت:

-حسناً ،سأخبرك بما حدث ،يوم قام الدكتور بإبلاغ السلطات بأمرك ،قد تملكني الغضب ،ولم أغادر المركز حتى تحدثت مع الدكتور ،وأوضح لي ما قام به ،لقد طلب إخضاعك للتحقيق الخاص ،وبعد اجتيازك للتحقيق ،يمكنه الاستناد لنتيجة التحقيق إذا ما كانت إيجابية ،ليقوم باستخراج تصريح خاص لك بالإقامة هنا ،وبعدها سيبرم معك عقد عمل لتبدأ عملك معنا-

قال (عماد):

-لم يخبرني الدكتور بأي من هذا كله-

هزت كتفها وقالت:

-ربما لم تواتيه الفرصة بسبب تلك الاجتماعات المتكررة-

عاد (عماد) لشروده مفكراً مرة أخرى ،فقالت (نهى):

-لم أرى علامات السعادة عليك -

قال :

-الأمر مربك قليلاً ،لم اتوقع هذا كله -

قالت:

-لكنه أمر جيد ولا شك ،فستصبح مقيماً بشكل رسمي ،وستحصل على وظيفة جيدة بأجر مناسب -

ثم غمزت بعينها وقالت:

-على الأقل حتى تسدد بعض من مديونيتك-

ابتسم وقال:

-في هذه النقطة .. معك حق-

قامت وهي تقول:

-هيا بنا نعود للعمل، فلدي بعض الأعمال لأقوم بها، ويمكنك مرافقتي إلى حين انتهاء

ذاك الاجتماع-

قام معها (عماد)، ثم سارا سوياً، وفي نفسه يتصارع شعوره بالإعجاب بها، مع

تأنيب ضميره الذي يرفض هذا الإعجاب، هذه المرة سار بجوارها شارداً، شارداً تماماً.

(٨١)

لم يتمكن (عماد) من لقاء الدكتور (علي)، بسبب ذلك الاجتماع الذي استمر طوال ساعات النهار، حتى أن (طارق) اعتذر منه أكثر من مرة مؤكداً عدم إمكانية لقاء الدكتور (علي)، فهذا الاجتماع هام للغاية.

طوال فترة انتظاره، قرر (عماد) التجول في المركز، خاصة وأنه لم يرغب في إضاعة المزيد من وقت (نهى)، كما لا يريد أن يعطلها عن أعمالها، فكان الخيار المتاح له هو التجول في المكان.

المركز لا يختلف ظاهرياً عنه في عالمه، لكنه يختلف جوهرياً ولا شك، فقد كان هناك اهتمام كبير بالمطورين، مطوري البرامج الحاسوبية، ومكونات الحواسيب الذكية، كان الدكتور (علي) في عالمه يفكر في هذا الأمر جدياً، أما في هذا العالم، فالاهتمام بعلوم الحاسب أمراً واقعاً.

كان العاملين بالمركز يظنوه (عماد) الآخر، مساعد مدير المركز، لذا كانت الأبواب تفتح أمامه بسهولة، والجميع يرحب به ويطلعونه على آخر مستجداتهم، فتلقى من الأفكار الكثير، هؤلاء القوم يتفوقون على عالمه في التقنيات الحديثة، لكنه لاحظ أن غالبيتهم بيروقراطيين، تماماً كشخص الدكتور (علي) مديرهم، وقله فقط منهم من يعمل بشغف من أجل العلم، ومن أجل الشغف نفسه، هؤلاء هم من استمتعوا واستفادوا من قضاء النهار بينهم.

انتهى النهار، وغادر أغلب العاملين بالمركز إلى مساكنهم، فكان أمام (عماد) شيء واحد، ألا وهو العودة إلى مكان إقامته.

دخل (عماد) إلى بيته الصغير، وخلع سترته، وأعد كوباً من الشاي، ففتح الثلاجة

الصغيرة فوجد بعض اصناف الفاكهة ،فأخرج منها بعض التفاح والعنب ثم غسلهم ،وجلس يفكر في صمت.

لم يكن من هواة مشاهدة برامج التليفزيون ،رغم الملل الذي يحيط به ،فلم يقترب من التليفزيون ،بل وجد سبيلاً جيداً لقضاء الوقت ،فانتهى من احتساء الشاي بعدما تناول وجبة الفاكهة خاصته ،ثم أحضر حقيبته وأوراقه ،وأفرغ محتوياتها أمامه فوق الطاولة ،وأخذ ينظر إلى ما لديه.

تعجب للحظات ،فهذه الأوراق كانت لتجعل منه عبقرياً في عالمه ،أما هنا ،فرما يظن أهل هذا العالم به الجنون بسبب نفس الأوراق ،ظل يقلب في الأوراق والملفات حتى وجد بطاقة هويته.

حتى هذه لا تثبت شيئاً في هذا العالم ،عكس حالها في عالمه ،لقد تبين أن الانسان في أي عالم عبارة عن مجموعة من الأوراق ،وعدد من الشهادات ،يبدأ بشهادة الميلاد ،وينتهي بشهادة للوفاة ،وما بينهما الكثير والكثير ،الانسان مجموعة من التواريخ والأوراق الحية ،التي تتبدل مع الزمن ،كما يتبدل هو ،وتنتهي بانتهاء حياته .
أمسك بالأوراق البيضاء ،ثم أمسك بقلمه ،وظل ينظر طويلاً في الصفحة البيضاء ،ثم بدأ في الكتابة بلا هوادة ، انطلق كاتباً وكأنها هناك عشرات الاشخاص يملون عليه ما يكتب ،طوال ساعتين كاملين لم يتوقف قلمه عن الكتابة إلا في الثواني التي يبذل فيها الصفحة التي بين يديه بأخرى جديدة بيضاء.

سجل كل ما رأى وكل ما عايش وكل ما دار بينه وبين من تقابل معهم ،سجل الأفكار والإبداعات التي تعرف إليها هذا اليوم ،ثم فجأة توقف ،توقف وقد ترك قلمه وعاد بظهره للوراء في كرسيه ،ثم أمسك بورقة جديدة فارغة ،وظل يحدق بها .
كان حائراً في تدوين رؤياه في الليلة السابقة ،هل يسجل ما حدث فيها أم يتجاهل الأمر برمته ،كانت حيرته كبيرة لأنه لا يزال يتذكر كل تفاصيل ذلك الحلم ،هل يمكن لإنسان أن يحتفظ بذكريات حلمٍ أو رؤيا بكامل التفاصيل ؟

وجد في نفسه راحة لتدوين الحلم ،خاصة وأنه لم يخرج عن نطاق ما مر به

بالفعل داخل الثقب الأسود ،فكر أنه ربما مر بها رآه فعلاً داخل الثقب الاسود قبل أن يخرج لهذا العالم ،وأن الحلم مجرد ذكريات من هناك ،فالتقط قلمه مرة أخرى وبدأ يكتب.

(٨٢)

في اليوم التالي، التقى (عماد) بالدكتور (علي) وبقرينه أيضاً في مكتب الأول، الذي كان مرحباً وودوداً بعض الشيء، وجلس ثلاثتهم على المقاعد الجلدية الكبيرة في ركن الحجرة.

قال (علي) :

-أرجو أن تتقبل اعتذاري لعدم مقابلتك يوم أمس، فقد علمت من (طارق) أنك ترددت على المكتب مراراً .. لكن أنت تعرف تلك الاجتماعات مع الجهات الرسمية-
هز (عماد) رأسه وهو يقول:

-لا داع للاعتذار يا دكتور، فلقد قضيت يوماً جيداً ومفيداً في المركز-
قال (عماد) الآخر:

-لقد أخبرني بعض العاملين أنك قضيت معظم النهار في قسم أبحاث الحاسب الآلي-
أوماً (عماد) موافقاً وقال:
-بالفعل، ولقد كان وقتاً هاماً بالنسبة لي .. هل تعلم أنكم متقدمون بشكل جيد في هذا المجال؟-

قال (عماد) الآخر بلهجة ساخرة :

-أأنتم أقل منا في عالمك ؟ وأنا الذي أعجبتُ بتجربتكم الفريدة التي أتت بك إلى هنا -

قطب (عماد) حاجبيه وهم بالرد لولا أن قال (علي) مخاطباً مساعده:

-لكل عالم مميزاته يا (عماد)، كما أن لكل عيوبه ومساوئه كذلك-

قال (عماد) :

-أظن أنني لمست بالفعل العديد من أوجه الاختلاف بين عالمينا يا دكتور ،رغم أن النظريات التي تحدثت عن العوالم المتوازية تذهب إلى أن هذه العوالم متطابقة تماماً-

قال (علي):

-ربما أنا لا أؤمن بهذه النظريات .. ولا أقتنع بها مطلقاً-

هم (عماد) بقول شيء ما ،لولا أن سمع طرقات على الباب ،أتبعها دخول (طارق) وهو يحمل في يد حقيبة ورقية تشبه تلك التي تستخدم مع الهدايا ،وفي يده الآخري صندوق كرتوني ،ليس إلا جهاز كمبيوتر محمول.

تقدم (طارق) منهم ثم وضع ما يحمل فوق الطاولة أمام الدكتور (علي) ،ثم قال:
-الاشياء التي طلبتها يا دكتور-

رد (علي) باقتضاب :

-شكرا يا (طارق) -

غادرهم (طارق) ،فالتفت (عماد) صوب (علي) وقال بدهشة:

-أمازلت غير مقتنع بنظريات العوالم المتوازية يا دكتور ؟ ها أنا أمامك خير إثبات لتلك النظريات-

مال (علي) للأمام وتناول الحقيبة الورقية ،ثم ناولها إلى (عماد) وهو يقول:

-لا تتعجل فسوف نتناقش في هذه الأمور ،لكن تفضل هذه الآن-

قال (عماد) وهو يتناول الحقيبة:

-وما هذه ؟ -

فتح (عماد) الحقيبة ،فوجد بها علبة هاتف محمول متطور للغاية ،من انتاج شركة سامسونج الكورية ،ومعه علبة مربعة بلاستيكية ،علبة لأحد خطوط المحمول ،فرفع عينيه إلى الدكتور (علي) وقال متسائلاً :

-ما هذا يا دكتور ؟-

هز (علي) كتفيه وقال ببساطة :

-هاتفك المحمول ،وهذا هو جهاز الكمبيوتر الخاص بك- قالها وهو يشير إلى الكمبيوتر المحمول الجديد فوق الطاولة.

قال (عماد) الآخر:

-لابد أن تحمل وسيلة اتصال يا صديقي . أليس كذلك ؟-

قال (عماد) محرجاً :

-لكن ..-

قاطعته (علي) مبتسماً:

-لا توجد لكن .. اعتبرها هدية بسيطة ،ويمكنك رد الهدية بعد ذلك من راتبك-

هم (عماد) بالكلام ،فسبقه قرينه قائلاً:

-كما قال الدكتور (علي) قبل قليل ،لكل عالم من عالمنا مميزاته وعيوبه ،لذا فقد قرر

الدكتور أن تعمل معنا هنا لنستفيد من تجاربك في عالمك هذا-

قال (عماد):

-لا اعرف ماذا أقول ،فأنا ..-

قاطعته (علي) قائلاً :

-اسمعني يا ولدي ،سوف نستخرج لك تصريح خاص بالإقامة في بلدنا ،وسيصبح لك

أوراق رسمية هنا ،ولكي تتمكن من العيش فعليك العمل ،ولن تجد مكانا أفضل من

هذا المركز لتعمل به ،نستفيد من تجارب عالمك وتستفيد أنت من تجاربنا ،أعتقد

أن هذا عرض لا يمكنك رفضه-

صمت (عماد) قليلاً قبل أن يقول :

-لقد كنت أفكر في شيء آخر يا دكتور .. كنت أفكر في العودة-

قطب (علي) حاجبيه ،وبدا الضيق على ملامحه ،فنظر (عماد) الآخر إلى ساعة

يده ثم قال :

-هذه هي ساعة الاستراحة يا دكتور ،وأعتقد أنه من الأفضل أن نلحق بالكافتيريا

لنتناول بعض الطعام ،فضيفنا هذا لم يتناول شيئاً بالأمس كما علمت-

أدركا أنه يغير دفة الحديث ،فقال (علي):
-معك حق يا (عماد) ،هيا بنا نؤدي الصلاة أولاً ،ثم نذهب لتناول الطعام ،فبعضنا
يحتاج للتفكير السليم -
قالها ثم قام ،وتبعه الشابين في صمت ،أما (عماد) فقد شعر بأنه لن يستطيع
تنفيذ التجربة مرة أخرى بسهولة حتى يعود إلى عالمه ،بل من الواضح أنه سيقا تل
من أجل الرحيل عن هذا العالم ،والرحيل إلى هنا.

(٨٣)

بعدما تناولوا الطعام معاً، رحل (علي) و(عماد) الآخر، فعاد (عماد) إلى مستقره الصغير.

وبعدما اغتسل، وغسل ملابسه الداخلية وقميصه، تمدد فوق سريره مرتدياً بنطلونه الجينز فقط، وامتدثراً بأغطية الفراش ليتقي البرد، وهو يأمل أن يكون مجفف الغسالة بحالة جيدة حتى تجف ملابسه في أسرع وقت.

كان قد قام بتركيب خط التليفون داخل جهازه المحمول، وظل يحاول حفظ رقمه الجديد، ثم أرسل رسالة برقمه هذا لكل من الدكتور (علي) و (عماد) قرينه، اللذان تركا له رقميهما قبل رحيلهما عن المركز.

لحسن الحظ، كان النُّزْل مجهز بخدمات الانترنت اللاسلكية، فقام بتحميل الكثير من التطبيقات، ثم أنشأ بريداً الكترونياً جديداً له، وبدأ يؤسس حساباته على مواقع التواصل.

بعدما انتهى، بدأ يبحث عن (نهى)، كانت هناك المئات من الفتيات اللاتي يحملن نفس الاسم، فلم يتمكن من الوصول إليها، فعادت به الذكريات في الزمان، عادت إلى ماضيه ليتذكر (نهى) خطيبته، إنها ولا شك تختلف عن (نهى) هذا العالم، هي أكثر خجلاً من قرينتها الحالية، وأكثر بريقاً، ولها هدوء ورزانة مميزان، لكن أين هي الآن؟ وماذا حدث لها بعد رحيله؟

انتبه إلى أمر أثار دهشته، فهو في هذا العالم يعيش زمن ماضٍ بالنسبة إلى زمن عالمه، ومن الجائز أن يكون قد مر على رحيله عدة شهور لا عدة أيام، عكف يفكر ويحسب الفرق الزمني بالتقريب بين العالمين، فوجد أن ما مضى على رحيله فترة

تتراوح ما بين أربعة إلى ستة أشهر.

هل لا زالت تنتظره ؟

هل حافظت على خطبتهما؟

هذه الفكرة الأخيرة كانت أربعته كثيراً ،فهو لا يتحمل فقدان (نهي) خصوصاً بعد رحيل والدته.

ربما لن يسمح والدها بالاستمرار في خطبتها لشخص مفقود كل هذه الفترة ،وفي واقع الأمر سيكون والدها على حق.

شعر في داخله أنها لم تعد له ،أو على الأقل أوشكت أن تكون كذلك ،كان هذا الشعور يذيقه مرارة كبيرة ،وبدأ يفكر أنه سيكون غريباً وحيداً عند عودته إلى عالمه ،هذا إن تمكن من العودة.

هل سيتمكنه العودة حقاً؟

رغم أنه لديه الإصرار على العودة ،وسيحاول بشتى الطرق إقناع الدكتور (علي) بإعادة التجربة ،لكن هناك شيء ما في أعماقه ،شعور صغير مبهم في غيابات باطنه ،شعور يميل للبقاء في هذا العالم المختلف.

لقد وجد بلاده في هذا العالم أكثر تحضراً وأكثر إنسانية ،كم أنها أكثر اهتماماً بالعلم ،ربما هذه هي البلاد التي يتمناها ويحلم بها ،لقد أخبره الدكتور (علي) بأنه سيحصل على تصريح مؤقت بالإقامة في هذه البلاد وهذا العالم ،ومن الممكن تجديد هذا التصريح ،وربما من الممكن اعتباره مواطناً بعد فترة.

-مهلاً ،يبدو أنني أميل للبقاء- قالها (عماد) بخفوت.

سرح بخياله ،وغرق في أسئلة كثيرة لا جواب لها.

هل تم اعتباره متوفياً في عالمه؟

ماذا فعل الدكتور (علي) بعد اختفائه ؟

هل اعتبر أن التجربة فشلت ؟ هل تم تجريم الدكتور (علي) لقيامه بهذه التجربة بشكل سري لدرجة أنها تسببت في اختفائه؟

هل تم تجريم التجربة في حد ذاتها؟
وإن عاد إلى عالمه، هل سيعتبر مجرمًا لمشاركته في هذه التجربة؟

ثم ماذا حل بوظيفته في الجامعة؟
لابد وأنه قد تم فصله لتغيبه المستمر بدون عذر أو سبب.
من الواضح انه بلا مستقبل في عالمه.

عاد يفكر في (نهى) مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت (نهى) هذا العالم، هي الأكثر
طيبة بين كل من قابل في هذا العالم، صحيح أن كل من قابلهم يتصفون بالطيبة
والسماحة ودماثة الخلق، لكن (نهى) تفوقهم، لكنها برغم ذلك ستكون سبب شقائه
وآلمه في هذا العالم، فهي ببساطة على وشك الواجه بشخص آخر، بقرينه هو شخصياً
،وهذا أكثر إيلاًماً ولا شك.

عجيب هذا التناقض، فعالمه حيث ينتمي أصبح و إلى حد بعيد مكان غير مناسب
له، عكس هذا العالم الذي وفر له عملاً جيداً وسيتم توفيق أوضاعه بشكل يسير
،حتى (نهى) التي أحبها وكانت ملجأه، ستكون قرينتها سبباً في حزنه وآسائه إن بقي
في عالمها هذا.

نفذ عنه أفكاره، وقام من تحت دثاره، ولف جسده به، وراح يرى هل جفت
ملابسه أم لا.

جفت الملابس بالفعل، فقام بكي قميصه، ثم ارتدى ملابسه ليؤدي صلاة المغرب.

(٨٤)

في صباح اليوم التالي، خرج (عماد) متجهاً إلى المركز، ولم يكد يقطع بضعة أمتار قليلة حتى ملح (نهى) تهرول تجاهه، وهى تحمل في يدها الكثير من الحقائق البلاستيكية، فتسمر مكانه.

وصلت إليه وعلى وجهها ابتسامة، كانت أكثر إشراقاً من شمس الصباح، قالت بصوت لاهث:

-صباح الخير يا (عماد) .. حمداً لله أنني لحقت بك قبل دخولك إلى المركز-
قال بارتباك:

-صباح الخير .. ماذا هناك ؟ هل كل شيء على ما يرام-
ضحكت ضحكة رقيقة، ثم قالت وقد هدأت بعض الشيء:
-ما بك يا (عماد) ؟ هل أنت قلق بشكل دائم ؟ .. اطمئن كل شيء على ما يرام
والحمد لله -

لم يزل عنه ارتبائه، فقال متعلثاً بعض الشيء :

-إلى أين كنتِ ذاهبة ؟ -

هزت كتفيها وقالت ببساطة:

-كنت آتية إليك-

اتسعت عيناه دهشة من جرأة جوابها، وتضاعفت دهشته عندما دفعت ما تحمل في يديها إلى صدره، فأمسك بالحقائب بحركة لا إرادية، وقالت :
-هيا .. اتركهم في مسكنك، ثم هيا بنا نعود إلى المركز-

قال بارتباك واضح:

- ما هذا ؟-

قالت :

-لا وقت للأسئلة .. هيا اسرع ، فالدكتور (علي) يريدك .. لقد علمت أنه أهداك هاتف محمول ،هيا اعطني رقمك-

تبادلا أرقام التليفونات ،ثم أمسكت بذراعه ودفعته دفعاً ليسير جوارها ،فطاوعها وهو يقول:

-أريد معرفة ما هي هذه الأشياء يا (نهى) -

شعر بالخجل لأنه يناديها باسمها مجرداً ،وهو لم يتعود على ذلك ،أما هي فقالت وهي تدفعه دفعاً نحو مسكنه:

-سأخبرك في طريقنا للمركز .. هيا أسرع بالله عليك-

وجد نفسه ينصاع لها تماماً ،وصل بالفعل إلى سكنه ،ففتح الباب ودخل إلى الصالة ،ثم ترك حمولته فوق الطاولة والتفت ،فكانت (نهى) بالباب تنظر إليه ،فتجمد في مكانه للحظات ،قبل أن ينتزعه صوتها من جموده حين قالت:

-لماذا تسمرت في مكانك ؟أسرع لنقابل الدكتور (علي)-

انتفض ،ثم خرج وأحكم إغلاق الباب ،وانطلقا صوب المركز ،فقال (عماد):

-هيا أخبريني ما هي هذه الأشياء ؟-

قالت :

-لا شيء .. مجرد ملابس أخرى ،أعتقد أنك لن تحيي طوال الشهر القادم بنفس ملابسك هذه-

قال :

-ماذا ؟ .. لن أقبل منك ..،-

قاطعته بلهجة حاسمة:

-ما الذي تقوله ؟ أنت لم تتسلم عملك ،ولا تملك أي مال ،فيمكنك الاعتماد عليّ حتى ينقضي أول شهور عملك وتتقاضي راتبك -

قال :

-لكنك سبق .. -

قاطعته مجدداً وقالت:

-عليك أن ترد الجميل من راتبك الأول .. أم أنك بخيل كخطيبتك؟-

رفع حاجباه وقال:

-أنا ؟! -

تذكر أنها ذات مرة وصفت (نهى) خطيبته بالبخل ،فابتسم وقال:

-لا أعرف ماذا أقول -

قالت:

-لا تقل شيئاً ،لكن فكر في نوع الهدية التي ستهديني إياها من راتبك الأول-

صمت وهو يتأمل وجهها ،كانا يهرولان صوب المركز ،فأدار وجهه لينظر أمامه

وهو يفكر فيما تفعله معه (نهى) ،إن لها شخصية لا مثيل لها ،وروح مبتهجة وتبث

تلك البهجة أينما كانت ،يا لحظ قرينه ليحظى بفتاة كتلك.

وصلا إلى المركز ،فحاول أن يصرف تفكيره عن (نهى) قليلاً ،ليستعد لمقابلة

الدكتور (علي)،

(٨٥)

في مكتب الدكتور (علي)، جلس الدكتور مع (عماد) وقرينه و(نهى)، كان الأول يجلس خلف مكتبه الأنيق، ويجلس (عماد) عن يمينه، وفي الجهة الأخرى يجلس (عماد) الآخر ثم (نهى)،

تكلم الدكتور (علي) أولاً:

-أتمنى أن تكون قد اتخذت القرار الصحيح بالعمل معنا يا (عماد)-
(عماد):

-في الحقيقة يا دكتور ..-

قاطعته قرينه قائلاً:

-طالما بدأت جملتك بكلمة (في الحقيقة)، فهذا يعني أنك رفضت العرض-

نظر له (عماد) شزراً ثم تابع وكأنه لم يسمع قرينه:

-في الحقيقة يا دكتور ليس أمامي خيار آخر في الوقت الراهن .. سأقبل العرض-

ابتسم (علي) ونظر نظرة ذات معنى إلى (عماد) الآخر، ثم قال:

-عظيم .. عندما تخرج من هنا ستجد العقود والاستثمارات كلها جاهزة لدى (طارق)

،وموجب هذه الأوراق سوف أبدأ في اجراءات استخراج إقامتك الخاصة-

ابتسم (عماد) وقال:

-لك جزيل الشكر يا دكتور -

قال (علي) وهو يلوح بيديه:

-لا داعي للشكر .. المهم الآن أن تستعدا للمنافسة، فلدي هنا اثنين من أكفأ

المشتغلين بالعلم -

تبادل (عماد) وقرينه نظرة سريعة ،قبل أن يقول الآخر بسخرية:
-لقد بدأت أخشى على موقعي في المركز-
تجاهلوا سخريته ،ولم يعلق أحدهم على عبارته.

قال (عماد) بجدية:

-لكن يا دكتور هناك امر واحد يجب الاتفاق عليه أولاً-
نظروا له باهتمام ،وسأله (علي):

-وما هو ؟-

-أن تفكر مرة أخرى في أمر إعادة تجربتي .،فمهما طال بي الأمد هنا ،لابد وأن أعود
إلى حيث أنتمي في يوم ما-

نظر له (علي) بتمعن ،ثم قال:

-اسمعني جيداً يا ولدي .، سبق وأفصحت لك أكثر من مرة بأنني غير مقتنع بما
حدث ،رغم أنه حدث بالفعل ،ولي أسبابي الخاصة ،أنا لا أعرف حقاً ما السبب الذي
جعلك بيننا الآن ،ويصعب عليّ تقبل كل هذا ،وأتمنى منك نسيان أمر هذه التجربة
تماماً-

حاول (عماد) أن يحافظ على هدوءه وهو يقول:

-ربما من الصعب استيعاب ما حدث بالفعل ،أنا نفسي أتمنى أن يكون كل هذا مجرد
حلم عميق ،وأفبق منه لأجد نفسي في عالمي ،لكن ما حدث قد حدث ،ووجودي
هنا أمر غير منطقي ،وربما غير مقبول أيضاً ،ولن يمكنني نسيان حقيقتي أو نسيان
المكان الذي أنتمي إليه-

صمت (علي) يفكر قليلاً ،ثم قال:

-لك الحق في التفكير في موطنك ،هذه غريزة طبيعية ،لكن لن يمكننا إعادة التجربة
في مركزنا هذا ،لن تسمح لنا اللوائح ولا القوانين باستخدام البشر في تجربة علمية
مهما كانت الفائدة-

-لقد فكرت في كل هذه المعضلات ،وأنا مستعد للتوقيع على أي إقرار أو تعهد

يعفيك ويعفي المركز من المسؤولية ،خاصة وأني لا سبيل لدي في العودة إلا خلال هذا الطريق-

قالها (عماد) ،فهز الدكتور (علي) رأسه ثم قال:
-ربما يكون كلامك هذا منطقي ،لكن هناك أشياء أخرى بعد ...-
قاطعها (عماد) قائلاً:

-لا ينقصنا أشياء كثيرة ،السيارة مجهزة ،ومتبقي مع آخر اسطوانة للمادة المضادة ،ولا ينقصنا سوى أجهزة التحكم في الضغط والجاذبية ،وهذه يمكنني تحمل كلفتها بشكل شخصي-

رفع (علي) حاجبيه وقال :
-وكيف ستتحمل التكلفة؟-
أجاب:

-من راتبي هنا .. مهما طال بي الأمد ،سوف أدخر التكلفة من راتبي -
صمت (علي) قليلاً قبل أن يقول :
-هذا الكلام سابق لأوانه-

تدخلت (نهى) في النقاش وقالت:
-هل تفسر لنا يا دكتور أسباب عدم اقتناعك بالتجربة؟-
أردف (عماد) الآخر :

-فعلاً يا دكتور ، نود معرفة سر رفضك الأمر بعد كل ما حصل-
صمت (علي) ،للحظات كان متردداً في تلبية مطلبهم ،ثم قال:
-يبدو أنكم أغلبية هنا-

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال:

-أولاً عليكم التفريق بين شيئين ،أو بالأحرى نظريتين ،نظرية التحرك خلال الزمن ،ونظرية العوالم المتطابقة أو المتوازية .. النظرية الأولى كما تعرفون مجرد نظرية ممكنة حسابياً ،لكنها لم تتحقق عملياً ،حتى (عماد) نفسه لا يعتبر إثبات لهذه

النظرية ،لأنه ببساطة لم يأت إلينا من ماضينا ،بل المفترض أنك قادم من عالم آخر- صمت لعله يستقبل تعليقا ن أحدهم ،لكنهم كانوا مصغين تماماً له ،فأكمل:
-هذا ينقلنا إلى النظرية الثانية .، العوالم المتوازية ،وهي مجرد نظرية خيالية جداً ،لا صحة لها بالمعادلات أو بالمراقبة أو بأي شيء ،مجرد نظرية مبهمة الأركان ،وهذه النظرية لا يمكنني تقبلها من الناحية المنطقية والدينية-

قال (عماد) الآخر مستغرباً:

-ماذا تقصد بقولك من الناحية الدينية يا دكتور؟-

قال (علي):

-لا يمكنني تفهم أن يخلق الله عز وجل نسختين من نفس الكون وعوالمه ،ليكونا متطابقين في الاحداث والخطوط الزمنية والتاريخية ،ما الفائدة من خلق كوناً ومستنسخه ؟ هذا هو السؤال الذي لا أجد له إجابة منطقية-

قال (عماد) الآخر:

-لكن الله يخلق ما لا نعلم ،وكما تقول أنه لا فائدة من وجود العوالم المتوازية ،فهذا حسب حدود علمنا كبشر ،لكن ربما هناك فائدة لا نعلمها نحن ،أليس عالم الجان مثلاً هو عالم مواز لعالمنا ؟-

أوماً (علي) موافقاً وقال:

-صدقت .، يمكنني اعتبار عالم الجان عالم موازي لعالمنا ،لكنه عالم له قوانينه وأحكامه الخاصة ،ولا يتطابق معنا إطلاقاً-

قالت (نهى):

-هذه المرة الأولى التي أنظر فيها للأمر من هذه الناحية ،وبكل صدق أتفق معك يا دكتور (علي) .، لكن ...-

صمتت وهي تنقل نظرها بين الوجوه ،فحثها (علي) على التكملة بقوله:

-لكن ماذا يا (نهى) .، أخبريني برأيك بصراحة -

صمت للحظات اضافية ،ثم قالت:

- كنت سأقول لكن بم نفسر ما حدث لـ(عماد)؟ -
هز (علي) رأسه وقال :
-هذا هو السؤال الذي يحيرني .. ولا أجد له إجابة-
قال (عماد) الآخر :
-إذاً وحتى تجد الإجابة يا دكتور ،فلا سبيل أمامنا إلا الإقرار بهذه النظرية-
قال (علي):
-لا يمكنني تقبل الأمر حتى الآن -
قال (عماد) :
-فلنترك الوقت يكشف لنا ما لا نفهمه يا دكتور-
أوماً (علي) موافقاً:
-معك حق يا (عماد) ،فلنترك الأمور للزمن -
كان قوله كفيلاً بإنهاء النقاش ،لكنه لا يكفي أبداً لإنهاء الجدل والحيرة حول
كل هذا الغموض.

(٨٦)

انتهى الاجتماع ،وبقي (عماد) مع (طارق) يستكملا إجراءات التعاقد مع المركز ،أما (عماد) الآخر و(نهى) ،فغادرا عائدين لمنزليهما ،كانا يجلسان متجاورين في الحافلة التي تقل العاملين من وإلى المركز ،كان (عماد) واجما ،والغضب واضح على ملامح (نهى) ،حتى أن معظم العاملين راكبي الحافلة قد لاحظوا ما هم فيه.

انتزعت (نهى) (عماد) من صمته عندا سألته:

-لماذا تتعامل مع (عماد) بهذا الجفاء؟-

قطب حاجبيه ،ثم قال دون أن يلتفت ناحيتها:

-من أين أتيت بهذه الفكرة ؟ أنا أتعامل معه بصورة طبيعية ،شأنه شأن أي أحد آخر من زملائنا في المركز -

قالت :

-لكنه ليس كأبي من الزملاء-

سألها بلا مبالاة متعمدة:

-ولم؟-

قالت بعصبية ،وقد ارتفعت نبرة صوتها قليلاً:

-لأسباب كثيرة ،أولها هو قرينك ،وهو أيضاً صاحب تجربة علمية خطيرة يجب الاستفادة منه ومن خبراته ،ثم أنه غريب هنا ،وليس له أهل أو أصدقاء أو أي شخص يلجأ إليه ،ولا يحمل أي نقود تساعد على تلبية متطلباته-

استمر على بروده وهو يقول دون إن يوليها وجهه:

-لقد اخرجته من مخفر الشرطة ،وعرضت عليه أن يقيم معي ،لأنه قريني كما قلتِ

، فأبى ،وهو يقيم بأمان في سكن العاملين بالمركز ،ثم أنني وضعت بنداً في عقده الذي يوقعه الآن ينص على أن يتقاضى نصف راتبه كدفعة مقدمة هذا الشهر فقط مراعاةً لظروفه -

زادت حداثها وهي تقول:

-وهل يمكنه التحرك بحرية خارج المركز ؟ هل لك أن تخبرني كيف سيذهب ويعود إذا أراد شراء بعض مستلزماته ؟-

قال ببرود كبير:

-إنها مسألة وقت وستحسن ظروفه بالتدريج-

قالت :

-قلت لك هو ليس له معارف سوانا ،كان من المفترض أن توليه بعض الاهتمام ،على الأقل كنت تدعوه لتناول الغذاء معك ،حتى ولو على سبيل المجاملة-

التفت نحوها للمرة الأولى منذ انطلاق الحافلة بهم ،ونظر مباشرة في عينيها

للحظات قبل أن يقول بنفس البرود:

-أعتقد أن أحدنا يوليه الكثير من الاهتمام بالفعل-

قطبت حاجبيها الرفيعان وقالت بغضب :

-افصح عن معنى كلامك هذا -

قال ببرود يثير الاعصاب:

-المعنى واضح .. أنتِ تولينه الكثير من الاهتمام .. في حقيقة الأمر أهتمامك به مبالغ فيه-

صاحت :

-أنا لا أسمح لك أن تكلمني بهذا الاسلوب -

ظل على هدوءه المستفز وهو يقول:

-لا داع لرفع الصوت يا (نهى) .. هل يمكنك أن تعددي لي هداياك التي أهديتني إليها منذ خطبتنا ؟ الإجابة صفر ،في حين أنكِ جلبتِ له ملابسه التي يرتديها منذ أيام

،ولقد علمت أنكِ جلبتِ له أشياء أخرى هذا الصباح-
حاولت أن تتحمل اسلوبه اللاذع وقالت بحنق:
-لم أعرف من قبل أنكِ تراقبني -

قال:

-دع عنكِ تلك السخافات ،لا أحد يراقبك ،لقد رأيته صباحاً بالمصادفة البحتة ،وأنتِ
تهرعين إليه ،وفي يديكِ الكثير من الأغرض .. ثم رأيته تدفعينه دفعاً لتعودي معه
إلى مسكنه و...-

قاطعته صائحة :

-اصمت .. هل جنت؟ .. ما هذا الذي تقوله؟ .. لن أسمع منك المزيد من هذه
الادعاءات -
قال ساخراً:
-ادعاءات؟! -

احمر وجهها ،واغرورقت عيناها بالدموع ،فقامت من جواره وتجاوزته بغضب
،ثم ذهبت إلى أحد المقاعد الخالية في آخر الحافلة لتجلس بمفردها ،أما هو ،فقد
شعر بالضيق من هذه العيون التي تحدق فيه ،فظل يتلفت حوله ناظراً في عيون
المحيطين به ،فأشاحوا بوجوههم عنه ،فزفر بحنق ،ثم أخرج هاتفه المحمول ،و
اشغل نفسه بمتابعة صفحات التواصل و الواقع الاخبارية.

وفي الخلف ،جلست (نهى) وقد عجزت عن كبح جماح الدمع في عينيها ،فانهمر
ساخناً على وجنتيها ،ليبلل حجابها أيضاً ،وقد رسم الدمع مجراه بلون كحلته الأسود
،وفي أعماقها اعترفت أنها أخطأت التصرف بعض الشيء صباحاً ،لكنها أيقنت أن مسألة
زواجها من (عماد) باتت مستحيلة.

(٨٧)

داخل حجرة نومها، جلست (نهى) فوق سريرها، وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها، وإلى جوارها يجلس (مصطفى) والدها على حافة السري الصغير، كانت قد هدأت كثيراً بعد ما دار بينها وبين (عماد) خطيبها أثناء عودتهما من العمل.

(نهى) هذا العالم تختلف عن (نهى) عالمنا في نواحي كثيرة، أحد هذه الاختلافات أنها في هذا العالم أقرب إلى والدها منها إلى أمها، تجمعهما علاقة خاصة، ليست مجرد علاقة أب بابنته.

بعد عودتها، تظاهرت بأنها تتناول طعامها، كي لا تُشعر والدتها بشيء، ثم انفردت بوالدها في حجرتها الخاصة، وروت له كل شيء بالتفصيل، دون أن تخفي عنه شيئاً، ودون أن تبدل تفصيل واحدة مما حدث.

أعمل (مصطفى) التفكير فيما حدث، ثم قال:

-لقد أسأت التصرف يا (نهى) .. وأجد العذر لـ(عماد) في غضبه، لكن لا أبرر ظنه السيء هذا، وسيكون لي حديث مع بهذا الخصوص-

قالت مدافعة عن موقفها:

-يا أبي لو لم آت إلى (عماد) بتلك الملابس، لما وجد ما يرتديه، إن أحداً من (عماد) أو الدكتور (علي) لم يفكر في ذلك .. كنت امد له يد المساعدة فقط-

قال (مصطفى):

-قلت لك أنك أسأت التصرف، كان من الأفضل أن تناقشي هذه النقطة مع خطيبك، كنت لتجديه يسارع هو بشراء ملابس مناسبة لهذا الشاب .. أو ربما أشرت للأمر في حضور الدكتور (علي) ليتصرف هو .. أمر كهذا لا يمكن أن يفوتهما .. ألم تخبريني بأنه

جاء إليه بهاتف وجهاز كومبيوتر ؟-

صمتت تفكر فيما قاله والدها ،ثم قالت:

-ربما معك الحق يا أبي .، لكن ما أردته هو أن أساعد الشاب العالق في عالمنا ،فهو بلا هوية أو أهل ولا حتى أصدقاء-

قال (مصطفى):

-اتفهم موقفك يا بنيتي ، لكن طريقتك في تقديم المساعدة لهذا الغريب لم تكن أفضل ما يمكن عمله -

ثم تبدلت لهجته من اللين إلى الجدية وهو يقول:

-لكنك أخطأت خطأ كبيراً بذهابك معه إلى حجرته .، حتى وإن لم تطأها قدميك ،هذه النقطة بالذات لا أقبلها من ابنتي -

شعرت (نهى) بخجل شديد أمام والدها الرزين ،وحاولت أن تدافع عن نفسها قائلة :

-حاولت فقط ألا أعطيه المجال لرفض الهدية ،ولم أفكر جيداً وقتها ،خاصة وأننا كنا في عجلة من أمرنا للحاق باجتماع الدكتور (علي)-

هز (مصطفى) رأسه رافضاً وهو يقول :

-مهما كانت الأسباب .، لا يمكن أن تفعلِ أمر كهذا ،لولا أنني من ربيتكِ ،وأعرفكِ كما أعرف نفسي ،لظننت بكِ الظنون ،وكان لي معكِ شأن آخر-

حاولت أن تبرر ،فقاطعها (مصطفى) وأكمل بصرامة:

-رغم هذا لن أسمح لخطيبك بأن يسيء بكِ الظن ،وسيكون لي معه حديث طويل ،قبل أن أجمعكما في لقاء خاص ،ويعترف كل منكما بخطأه تجاه الآخر لننهي هذه المشكلة-

كاد يقوم واقفاً بعد عبارته الأخيرة ،لولا أن أوقفته يد (نهى) التي أمسكت ذراعه

،فعاد وجلس وهو ينظر في عينيها ،فقالت بصوت متهدج:

-لا أريد الاستمرار في الأمر لأكثر من ذلك يا ابني-

صمت (مصطفى) قليلاً قبل أن يقول :

-هل هو نوع من الهروب من مواجهة المشكلة؟-

هزت رأسها نافية، ثم قالت:

-طيلة الشهور الماضية وأنا أجد ما ينفرني من (عماد) لا ما يقربني منه، لا أتخيل نفسي أكمل حياتي مع شخص كهذا، فهو يظن بأنه أكثر تفرداً عن من حوله، في حين أنه يهرب من مواجهة الأمور، ويلقي بالمسئولية على الآخرين دائماً، ويؤمن بأنه على صواب طوال الوقت ولا يخطئ أبداً -

تنهدت بعمق ثم تابعت:

-أنت تعرف يا والدي بأني لم أكن متحمسة له مطلقاً .. ربما كان خطئي أنني حاولت انجاح الأمر-

غلب الصمت (مصطفى)، وبدأت الأفكار تتصارع داخل رأسه، لقد كانت (نهى) رافضة للزواج من (عماد)، لكنها قبلت بعد إلحاح منه هو، فعليه أن يتحمل نتيجة غجبارة لبنته على الخطبة، لقد كانت (نهى) بالنسبة له هي مشروع حياته واستثمار عمره، منذ نعومة أظافرها وجد فيها شخصية مستقلة، كانت فتاة جريئة، ومتفوقة، وذات كيان، ظل ينمي فيها مبادئ الحرية والمساواة، وعكف على مساعدتها لتلتحق بأفضل الكليات، لم يعارضها حين أصرت أن تكون طالبة بقسم هندسة الميكانيكا بكلية الهندسة، رغم أنه كان يتمناها مهندسة معمارية، وعندما فاتحه (علي) في موضوع الزواج، تخيل أن (عماد) سيكون الأفضل لها، فهو ذو مكانه مجتمعية لا بأس بها، ومستقبله مشرق ولا شك، فضغط كثيراً على ابنته لتقبل الفكرة بصعوبة في النهاية.

رغم كل هذا، هو رجل عربي شرقي، ويصعب عليه فكرة أن تُفسخ خطبة ابنته، فداًئماً ما ينظر المجتمع للفتاة التي سبق خطبتها نظرة غير سوية، وداًئماً ما يصيب هذه البنت وصمة من الصعب محوها أو تجاهلها.

قال محاولاً عدم اتخاذ قرارات متسرفة:

-دعيني ألتقي بخطيبك أولاً، ثم بعدها، فليقض الله أمراً كان مفعولاً-
مطت شفيتها بعدم رضا، وهمت بالاعتراض، لولا أن سمعت طرقات على باب
حجرتها، ثم فتحت أمها الباب وهي تقول:
-الدكتور (علي) يريد التحدث إليك يا (مصطفى) عبر الهاتف-
قام من مكانه وهو يبادل ابنته نظره ذات معنى.
كان يشعر بأن هذه المكالمة الهاتفية ليست عادية.
ولن تكون.

(٨٨)

وقف (عماد) الآخر في شرفة منزله ، يراقب صخب الشارع الذي لم يهدأ ، حتى مع تساقط المطر وبرودة حرارة الجو ، وكما هو الصخب في الشارع ، كان هناك صخباً بداخل عقله .

لم يتوقف عن التفكير منذ عودته للبيت ، كان يشعر بإهانة بالغة فيما حدث . كيف سمحت (نهى) لنفسها بأن تفعل ما فعلته ؟

لقد رآها بعينه ، وهى حتى لم تنكر ما فعلته ، كان يتملكه شعور بأنها معجبه بقرينه أكثر منه هو ، ما تفعله تجاوز حدود الاحسان والامن ، وحتى الشفقة ، لقد شعر بالضيق عندما قدمت (نهى) الملابس لقرينه أول مرة ، لكنه لم يبح لها بهذا ، لكنه بعدها يسمع كلام العاملين في المركز ، لازال عدد كبير من العاملين لا يدرك أن هناك نسختان منه ، فكانوا يتحدثون عن الثنائي الشاب حديث الخطبة بشكل عرضي ، في أحاديث الثثرة التي تملأ أوقات الاستراحات .

لم يكن قادراً على تمييز اعجاب قرينه بخطيبته ، فـ(عماد) قرينه دائماً متحفظ في تعامله معها ، كما أنه خجول بعض الشيء ، هل هو حقاً هكذا أم أنه يدعي ؟ ربما كان ممثلاً بارع يخفي مشاعره بمهارة ، ليفوز هو بـ(نهى) في نهاية الأمر ، سيكون عليه أن يتقرب أكثر إلى هذا الشاب ليكتشف ما يواريه .

دخل إلى المطبخ ، وأعد لنفسه كوباً من الشاي ، ثم عاد للشرفة ، وقد جلب هاتفه معه هذه المرة ، ظل يتابع الشارع المزدهم بعض الوقت ، قبل أن يرفع هاتفه أمام عينيه ، ويطلب رقم الدكتور (علي) ،

لحظات ، وأتاه صوت (علي) عبر الهاتف ، فحياه باقتضاب ، ثم قال :

-إن لي عندك طلب خاص يا دكتور ، وأرجو أن تلبي مطلبي على أن تعفيني من ذكر الأسباب -

قال (علي) بقلق :

-أي طلب هذا يا (عماد) ؟ لا أشعر بالراحة تجاه طريقتك في الكلام-
(عماد):

-الموضوع يا دكتور أنني أود انتهاء ارتباطي بـ(نهي) ،وأود أن يتم الأمر من خلالك-
(علي) بدهشة:

-لم أفهم مقصدك .. أتود الانفصال عن (نهي)؟-
(عماد):

-بلى-

(علي) بقلق واضح:

-ماذا حدث يا (عماد) ،أخبرني ماذا حدث بينكما وسأحاول حل أي مشكلة قد ...،-
قاطعته (عماد):

-أرجوك يا دكتور.. لا تطلب مني شرح الأسباب-
(علي):

-يا ولدي كل مشكلة في هذه الدنيا ولها حل .. علينا فقط أن نبحث عن الحل ،لا
أن نحاول تعقيد المشكلة-
(عماد) :

-الحل الأنسب هو الانفصال يا دكتور ، لقد فكرت كثيراً و ..،-
قاطعته (علي) قائلاً:

-لقد فكرت وحدك يا (عماد) ،فكرت وأنت تحت تأثير الغضب والحقد ،لا يمكنك
اتخاذ قرارات صائبة في مثل هذه الحالة -

قال (عماد) وقد بدأ يمل من محاولات الدكتور (علي) أن يثنيه عن رأيه:

-لعلك تذكر يا دكتور ، أنك أنت من اختار (نهي) وحدثني عنها كثيراً ،وقد لاقى هذا

الاختيار هوى في نفس والدتي رحمها الله ، والتي كانت تلح عليّ كثيراً في أمر الزواج ،لذا فقد قبلت الأمر حين ذاك ،لكن الآن لم يعد يمكنني الاستمرار في الأمر .، وربما تجد ترحيباً كبيراً من (نهى) بهذا الانفصال-

قال (علي) محاولاً نصحه:

-يا ولدي اسمعني جيداً ،لقد خبرت من هذه الدنيا ما خبرت ، أي مشكلة تواجهك لو تفاعلت معها بهذا الشكل ،فستجد نفسك بعد مرور الوقت نادماً على قراراتك المتسرفة ،لكن من الأفضل أن تهدأ ،وتنظر للأمر من أكثر من زاوية ،بعدها ستجد قرارات أفضل بكثير مما كنت تنوي فعله-

هز (عماد) رأسه بحنق ثم قال :

-صدقني يا دكتور .، هذا أفضل لكينا .، فقط أو أن ينتهي الأمر من خلالك ،وأتمنى أن تتمه الآن -

قال (علي):

-يا ولدي فالتنتظر للغد على الأقل ،وسأتحدث مع (مصطفى) وننظر فيما .،-

قاطعه (عماد) بعصبية :

-لا لا ، لا داعي لمناقشة أي شيء ، فهذا قراري النهائي ، ولم أود أن أتصرف بدونك يا دكتور ، واتعشم أنك ستنتهي الأمور بأسرع ما يمكن -

حاول (علي) أن يقول شيئاً ما لكن (عماد) قاطعه قائلاً :

-أرجوك يا دكتور ، اتصل بهم الآن لوضع النهاية ، وسأنتظر منك الخبر-

لم يجد (علي) فائدة من محاولة النصح ،فقال :

-حسناً يا (عماد) ، سأحدث مع (مصطفى) .، وليقضى الله أمراً-

(٨٩)

في نفس الوقت تقريباً ، كان (عماد) يجلس على حافة سريره في حجرة النوم في مسكنه الصغير بالمركز ، بعدما انتهى من اجراءات التعاقد ، وتسلم الدفعة المقدمة من راتبه كما نص العقد ، فقد توجه إلى مطعم المركز ، وتناول وجبة غذائه ، ثم عاد لمسكنه.

جلس يقلب في تلك الأشياء التي أحضرتها (نهى) في الصباح ، هذه المرة كانت أشياء متنوعة وكثيرة أيضاً ، ملابس داخلية وآخري للنوم ، وقمصان وبنطلونات ، وكنزات صوفية.

عطرين من نوعيات جيدة ، وبعض أدوات العناية الشخصية كسائل الاستحمام ، معجون وفرشة للأسنان .. إلخ

كما أنها لم تنس احضار عبوات الشاي والقهوة ، والحليب المصنع ، كيس للسكر ، وبعض المعجنات ، لابد أنها تكلفت مبلغ ليس بالقليل .
وجد نفسه يقول:

-يا لك من فتاة يا (نهى) -

تفحص الملابس والأغراض مرة ثانية ، وهو منبهر لحسن اختيارها للألوان ، وذوقها الجيد في انتقاء الملابس ، ابتسم وهو يجمع الملابس ، وقال هو يقوم :
-يا لحظك يا قريني العزيز-

بعدها ، بدأ في ترتيب كل ما أحضرته (نهى) في دولاب الملابس ، ثم وضع أدوات العناية الشخصية في حمام الحجرة ، ثم واستبدل ملابسه بملابس النوم القطنية المريحة ، ووقف يتأمل نفسه في المرآة.

صف شعره ، ثم دخل إلى البوفيه الصغير المفتوح على الصالة ، وأعد كوباً من الشاي ، وهو يطلق صفير للحن أغنية مدرسة الحب لـ(كاظم الساهر) المأخوذة عن قصيدة الحزن للشاعر (نزار قباني).

كان فرحاً ومنتشياً ، حتى أنه بدأ يذنب بصوت مسموع من كلمات الأغنية:

علمني حبك أن اتصرف كالصبيان

أن ارسم وجهك بالطبشور على الحيطان

يا امرأة قلبت تاريخي

إني مذبح فيك .. من الشريان إلى الشريان

علمني أني حين أحب تكف الأرض عن الدوران

علمني حُبُّك أشياء ما كانت أبداً في الحسابان

فقرأت أقاصيص الأطفال ، دخلت قصور ملوك الجان

وحلمت بأن تتزوجني بنت السلطان

فجأة توقف عن الغناء ، وقد تنبه لشيء ما مع غنائه للبيت السابق في القصيدة

، هل يحلم بان تتزوجه بنت السلطان ؟ هل يحلم بأن تتزوجه (نهى)؟

أي (نهى)؟

خطيبته أم خطيبة قرينه ؟

شعر بضميره يصب عليه العذاب صباً ، فخرج حاملاً موب الشاي إلى الصالة ،

ثم جلس فوق أقرب المقاعد إليه ، جلس يؤنت نفسه التي لم يحكم سيطرته عليها

، فكر أنه أجرم في حق نفسه وحق قرينه لأنه معجب بـ(نهى).

هو معجب بها.

إنها تحرك فيه شيئاً لم يتحرك مع (نهى) خطيبته ، وهذا ما يصيبه بالجنون ، لقد

أصبح خائن مزدوج الخيانة.

خان خطيبته حين أعجبهت قرينتها.

وخان قرينه حين مال لخطيبته.

وفوق كل هذا قد خان نفسه ومبادئه.

عليه أن يقف في وجه مشاعره تلك.

عليه أن يعود كما كان ،ولا ينجرف وراء مشاعر قد تؤدي لدمار أشياء وأشخاص

يحيطونه ويساعدونه على ما هو فيه.

دخل إلى الحمام ، ووضع رأسه أسفل صنوبر المياه ، وتحمل برودتها ولم يحاول

فتح المياه الساخنة لتعادل الحرارة بعض الشيء ،كان وكأنه يطهر عقله من الأفكار

التي لوثته.

أغلق الصنوبر ،ورفع رأسه لينظر لنفسه في مرآة الحمام ،كان يتأمل قطرات المياه

التي تتساقط عنه ،وتبلل ملابسه على الصدر والكتفين ، كان يتمنى أن تخرج تلك

الأفكر مع هذه القطرات ، وأن يتطهر عقله منها تماماً ، لكنه نسي شيئاً هاماً.

نسي ما تخبأه له الأقدار.

(٩٠)

طوال الأيام التالية ،ركز (عماد) على عمله فقط ،لم يحاول أن يسأل عن أي شيء
لا علاقة له بعمله ، كان مندهشاً من تقرب قرينه إليه ، لقد تصور في البداية أنه لن
يجد المودة من (عماد) الآخر ، لكنه وجد كل العون والود والتشجيع أيضاً ، لدرجة
أنه بدأ يشارك قرينه في مهماته كنائب لمدير المركز .

كما حافظ (عماد) على ملابسه التي يرتديها منذ خروجه من المستشفى ، ولم
يرتد أي شيء من الملابس الجديدة التي أهدتها له (نهى) ، هاجس سيطر عليه بآلا
يرتديها الآن ، كان لا يريد أن يظهر كمن يعيش على المعونات ،وربما كان يخشى أن
يتسبب في مضايقة قرينه إذا رآه ينعم في هدايا خطيبته.

أما (عماد) الآخر و (نهى) ، فأصبحا في حكم المنفصلين ، حتى وإن لم يتم
الانفصال بشكل رسمي ، فبعدما تحدث الدكتور (علي) مع (مصطفى) ،قرر كلاهما
عدم التعجل في فسخ خطبة الشابين ، واتفقا على منحهما اسبوعا لتصفية الأجواء
، لكن الأيام مرت على (عماد) و (نهى) لتؤكد رغبتهما في إنهاء الأمر ، فلم يحاول
أيهم لقاء أو محادثة الآخر ، بل يتجنبا حتى لقاء العيون ، وعندما تجمعهما حافلة
نقل الموظفين ، يجلس (عماد) في المقدمة ،بينما تستقر (نهى) خلف الباب الأوسط
للحافلة ،فتصعد وتنزل منه دوغما المرور على مقدمة الحافلة حيث يجلس (عماد) .

بدأ الموظفون والعاملون في المركز يلاحظوا الوضع بين (عماد) و (نهى) ، لكنهم
آثروا عدم الخوض في حديث بهذا الشأن ، خشية أن ينالهم عقاب (عماد) بصفته
نائب المدير ،كما تعدوا أيضا على وجود نسختين من (عماد) ، وكلاهما يحمل نفس
الاسم ، وإن لم يفهموا أبداً من أين أتى هذا الشبيه.

انصب اهتمام الدكتور (علي) على تجربة توليد المادة المضادة من البرق ، ليس بغرض توليد المادة المضادة ، وإنما للحصول على مصدر للطاقة البديلة ، وبدأ يضع خطط ليتولى عماد رئاسة فريق توليد الطاقة هذا ، ورغم أن الفكرة نفسها قديمة منذ الربع الأول للقرن العشرين ، عندما قام بها (نيكولا تيسلا) ، لكن ما يعمل عليه الفريق كان إيجاد طريقة لتخزين هذه الطاقة لاستخدامها وقت الحاجة.

كان هذا المشروع الجديد كفيلاً ليحتل كل تركيز (عماد) ، حتى في أوقات الاستراحة كان يخالط أعضاء فريقه ولا يتركهم ، متعمدا تجنب لقاء (نهى) ، مر أكثر من اسبوعين ، وقد انفصل (عماد) عن (نهى) بشكل رسمي ، وعرض (علي) عليها أن تحصل على إجازة قصيرة فرفضت ، واستمرت في عملها بقوة ، كانت هي الأخرى تتجنب لقاء (عماد) خطيبها السابق ، كانت تعرف مواعيده فلا تذهب إلى الكافتريا عندما يذهب هو ، وصبت تركيزها هي الأخرى على عملها فقط ، لكنها كانت تفكر في (عماد) الذي دخل عالمهم بشكل مفاجئ.

ذات يوم ، وصل الخبر إلى (عماد) فصدّم له ، وأول ما جال بخاطره أنه كان سببا في هذا الانفصال ، هناك شعور مبهم يؤكد ما يجول بباله ، لكنه لم يتمكن من التفكير أو البحث في الأمر ، إذ استدعاه الدكتور (علي) بشكل مفاجئ.

أسرع (عماد) لملاقة الدكتور (علي) في مكتبه ، فاستقبله هذا الأخير بود وترحاب واضحين ، ثم جلسا متقابلين أمام المكتب الوثير ، وتناول (علي) مظلوفاً من فوق المكتب وناولوه إلى (عماد) قائلاً:

-مبروك-

أخذ (عماد) المظلوف ، وفتحته بلهفة ، وفض مافيه ، فوجد أوراق هوية وإقامة تحمل اسمه ، لقد أصبح مقيماً بشكل رسمي في هذا العالم ، ووجد أيضاً رخصة قيادة باسمه ، ثم رخصة سيارة ماركة أودي ، ففهم أنه السيارة التي أتى بها لهذا العالم. ناوله الدكتور (علي) مفتاح السيارة وهو يقول:

-الآن يمكنك التحرك بسيارتك كيفما شئت ، وقد تم تركيب جهاز منع السرقة عليها

، لكن عليك المرور على المهندس (نهى) لتثبت لك التطبيق الخاص بذلك على هاتفك-
ارتبك (عماد) لما سمع عبارة الدكتور (علي) الأخيرة ، سيكون عليه لقاء (نهى) ،
كيف حالها بعد الانفصال ؟
هل ستتهمه بأنه كان سبباً في ذلك ؟
كيف ستتعامل معه في هذا اللقاء ؟
شكر الدكتور (علي) ثم غادر مكتبه ، واتجه لقسم الميكانيكا حيث تعمل (نهى)
، تبذرت فرحته باستلام أوراقه واستلام السيارة ، وسيطر عليه قلق وحرص لا حدود
لهما ، لكنه قال في قرارة نفسه أن هذا اللقاء سيحدث عاجلاً أو آجلاً ، فليكن الآن
أفضل من الانتظار.
فكر أن (عماد) قرينه يتعامل معه كأفضل ما يكون ، رغم أنه انفصل عن خطيبته
، ربما كان هذا سبباً لیتفائل خيراً ببقاء (نهى) ، لابد وأن سبب الانفصال شيء آخر لا
علاقة له به.
على كل حال ، خلال دقائق سيتعرف على كل ما حدث.

(٩١)

في حجرتها الصغيرة ، استقلت (نهي) (عماد) ، استقبلته بحفاوة جعلته يغادر أرض مخاوفه وشكوكه.

كانت حجرتها بسيطة وصغيرة ،تحتوي على مكتب كبير ،يستقر فوقه جهاز كومبيوتر كامل ، وثلاثة خزانات خشبية بأبواب من الزجاج لحفظ الملفات ، ومجموعة مكونة من أربعة كراسي متراصة على صفين أمام مكتبها.

قامت بتوصيل هاتف (عماد) بجهاز الكومبيوتر عن طريق كابل خاص، وشرعت في تثبيت تطبيق حماية السيارة ضد السرقة ،كانت الفكرة بسيطة جداً، يتم تركيب شريحة الكترونية متصلة بلوحة التحكم في السيارة ،هذه الشريحة تتصل بالأقمار الصناعية لتحديد موقع السيارة ،فيعرف صاحب السيارة موقع سيارته من خلال التطبيق على هاتفه المحمول ،ويمكنه تعطيل المحرك بحيث لا يعمل مرة ثانية إلا عن طريق رقم سري يُفعل بواسطة تطبيق الهاتف ،كما يقوم التطبيق بتسجيل ملكية السيارة برقم هيكليها لدى أجهزة الشرطة المختلفة ،وفي حالة الإبلاغ عن سرقة السيارة ، يبدأ الشرطة هي الأخرى بالبحث باستخدام نظام خاص يستدل على السيارة برقم الهيكل.

انتهت من تثبيت التطبيق ، وقامة بطباعة دليل الاستخدام ،وناولته لـ(عماد) وهي تعيد له الهاتف.

كان (عماد) يتوقع أن تفتح معه حوار حول انفصالها عن قرينه ،لكنها لم تفعل ،وكانت أسئلتها تدور حول ندرة رؤيته ،وما الذي يشغله لهذه الدرجة ،بدخله اشتعلت نيران الفضول ،يريد أن يعرف منها أي شيء ، فلم يجد بداً من أن يسألها

هو ، فقال :

-لقد عرفت للتو بأمر انفصالك عن (عماد) .. لعل في الأمر خيراً-

مطت شفيتها وقالت :

-الحمد لله على كل حال ، كما تعلم .. الزواج قسمة ونصيب كما يقولون في الأمثال-

قال محاولاً استخراج الكلمات منها :

-لقد حزنت بشدة لما سمعت بالخبر ، فأنت انसानه ممتازة ، وكذلك (عماد) .. لقد

كان خبيراً صادمًا بالنسبة لي-

لم يبد عليها التأثير ، وقالت:

-الأمر حدث منذ أسبوعين تقريباً .. صدقني لا داع للحزن والأسى ، من البداية لم يكن

أحدنا ليناسب الآخر-

قال:

-لو كان هناك أي محاولة يمكنني القيام بها من أجل ..-

قاطعته:

-قلت لك أن الامر انتهى منذ فتر ، وقد حاول الدكتور (علي) أن يثنيها عن هذا القرار

، لكن هذا كان الأفضل لكينا-

ثم ضحكت وقالت مداعبة:

-يبدو أنك تخشى أن تفقد خطيبتك -

قطب حاجبيه ولم يفهم دعابتها ، فقالت:

-لقد قرأت أن العوالم المتوازية متطابقة في الأحداث .. الخطوط العريضة للأحداث

، لكن التفاصيل تختلف-

قال :

-وهل تتصورين أنها ما تزال تنتظري بعد كل هذه الفترة ؟-

صمتت قليلاً تفكر ، تخيلت نفسها مكان قرينتها ، فقالت:

-لو كانت تحبك حقاً لانتظرتك بالتأكيد-

تذكر فجأة أنه نهى نفسه عن التقرب منها ، ثم ها هو يتحدث معها في مسائل شخصية جداً ، لكن مهلاً ، كان قد قطع على نفسه هذا الوعد احتراماً لارتباطها بقريته ، وهو الأمر الغير قائم حالياً ، ربما هذا يجعله في حل من هذا الوعد. وجد أن أفضل ما يفعله الآن هو أن يغادرها بهدوء ، فاستأذن منها ، وصفت له أين يجد السيارة ، فانطلق إلى حيث أرشدته.

مضت دقائق قليلة في بحثه ، وجد السيارة حيث قالت (نهى) ، وقف أمامها يتأملها ، ابتسم وهو يربت على مقدمتها وقال:

-مرحباً بعودتك يا شريكة رحلتي-

دلف إليها ، وأدار محركها ، ثم بدأ يفعل تبيق حماية السرقة ، متبعاً التعليمات المكتوبة في دليل المساعدة حتى أتم الأمر.

جلس يتفقد السيارة ، كان يشعر بانسجام خاص بينه وبينها ، ابتسم مر أخرى وهو يقول:

-بيدوا أنني اشتقت إليك أيضاً -

بدأ يراجع قراءات السيارة ، كان كل شيء على ما يرام ، ثم أراد أن يطمئن على الاسطوانة الأخيرة التي تحوي المادة المضادة ، والتي سيستخدمها لعودته إلى عالمه ، ففتح المكان المخصص لحفظ الاسطوانات الخاصة تلك ، وما إن فعل حتى اتسعت عيناه في دهشة وعم تصديق.

فأمامه ، كان هناك اسطوانتين وليس واحدة.

(٩٢)

انتفض جسد (عماد) ، داخل ذلك الثقب الأسود ، هل كان نائماً ؟ لا يعلم بالضبط حالته قبل هذه اللحظة ، لكنه كان ممدداً في الفراغ ، بمعنى أدق كان معلقاً في وسط الفراغ ، ظهره للأسفل ووجهه لأعلى .
أحقاً هذه هي الوضعية الصحيحة ؟

ربما كان وجهه لأسفل وظهره لأعلى ، لا يمكنه الجزم أبداً ، فقوة الجاذبية العجيبة في هذا الوسط تبقيه حيث يكون ، ولا تجذبه للأسف كجاذبية الأرض .
ظل يتأمل اللا شيء الذي يحيطه ، كان هناك شيء ينقص هذه الصورة ، هناك شيء ما مفقود ، لكن مهلاً ، لقد اكتملت الصورة الآن ، فقد ظهرت تلك الصور المتحركة ، وكالعادة أحاطت به بشكل محكم ، وكالعادة أيضاً أصبح يسبح وسط كرة ضخمة من الفراغ يحدها تلك الصور المتحركة .

هذه المرة لم يشعر بالقلق لرؤيته تلك المشاهد والصور ، بل لقد ألفها واعتادها ، عكف يتأملها من مكانه دون أن يتحرك ليقترّب منها ، وللمرة الأولى حاول أن يصل إلى حقيقة ماهية هذه الصور بدلا من مجرد الاندهاش منها .

لقد ظن أنها ذكرياته في بادئ الأمر ، مجرد شريط حياته يعرض أمامه بشكل عشوائي غير منتظم ، إلى أن بدأ يرى مشاهد لوالده في فترات لم يكن قد خرج فيها هو للدنيا ، فما يراه ربما يكون ذكريات والده أيضاً .

يذكر أنه رأى أجداده في مشهد أو مشهدين ، ويذكر أنه شاهد استعداد أحد الجيوش العربية لمعركة هامة ، لا يمكن أن تكون تلك المشاهد مجرد ذكريات ، هي حتماً شيء آخر أكبر من مجرد كونها ذكريات .

ترى ما هي حقيقة الصور ؟

ظل يفكر في أشياء مختلفة ، كانت أفكاره تقوده إلى إجابة واحدة ، إن ما يراه أمامه ليس ذكريات ، بل هو التاريخ .

يكاد يفهم الأمر بشكل أفضل ، ما يراه أمامه هي ذكرياته مضاف إليها ما تعلمه طوال سنوات الدراسة في التاريخ ، هذا أكثر منطقية ، ويفسر له مشهد الجيش العربي وهو يستعد لمعركة ما .

أثارت هذه الفكرة شغفه ، فتحرك بطريقته المعتادة ، وأراد أن يقترب من أحد المشاهد لينظر ماذا سيري هذه المرة ، كان يتمني لو أن هناك صوت مصاحب للصورة ليتفهم المشاهد بشكل أدق .

نظر إلى يديه وهو يدفع جسده دفعاً ليقرب من الصور ، فابتسم وقال في نفسه : - يبدو أن الدكتور (علي) كان يعلم أنني سأصبح في هذا الفراغ ، فاختار لردائي حُلّة الغوص -

استمر في حركته حتى وصل للصور ، واقترب لمسافة مناسبة ، فبدأت الصورة في التحرك كالمعتاد ، كان مشهد غريب بعض الشيء ، مجموعة من الناس ترتدي ملابس تشبه ملابس البدو ، يسرون باتجاه ترعة أو قناة ما ، الغريب أن هذا المشهد وكأنه مصور من فوق جبل ، وربما من طائرة ، فالمسافة لا تسمح بتمييز الوجوه ، لكن الرؤيا واضحة .

توقفت هذه الجماعة أمام هذه القناة ، واضح أنهم يشربون منها ، ويسقوا دوابهم وأغنامهم ، من الواضح أنهم بعض الرحالة الذين يجوبون الأرض أو شيئاً كهذا ، مظهرهم يوحي بأنهم أناس بسطاء ، ليسوا أغنياء بالمرّة ، هذا ما تظهره ملابسهم ، لكن دوابهم كانت تحمل الكثير من الأشياء ، الكثير الذي لا يمكن أن يمتلكه أشخاص يرتدون مثل هذه الملابس الرثة .

فجأة ، ظهر من مكان غير بعيد جيش كبير ، يتحركون باتجاه هذه القناة أيضاً ، يبدو أنهم محاربون ذاهبون لمعركة ما ، فملابسهم ونظامهم لا يدل على جيش عائد

بعد معركة ، بل هم في طريقهم لبدأ القتال ، كان هناك فرق تمتطي لحياد العربية ، وبعضهم يسير على قدميه ، وأسلحتهم تتلأأ تحت الشمس.

ساد الاضطراب بين جماعة الرحالة على شاطئ اليم ، ربما شعروا بالقلق لاقتراب هذا الجيش منهم ، لكن مهلاً ، هذا الجيش لا يقترب منهم وهو مار في طريقه ، بل إن يحاصرهم ، بالفعل قد حاصرهم تماماً الآن ، ولا مهرب لهؤلاء الشرذمة القليلة على الاطلاق ، ستكون معركة محسومة وسريعة جداً.

حاول (عماد) أن يتذكر معركة طارد فيها جيش جرار مجموعة من البدو الهاربين على ضفاف ترعة أو قناة من نهر ما ، فلم يتذكر ، لم يذكر مثل هذه المذبحة التي على وشك الحدوث أمام عينيه ، ربما كان هؤلاء هم التتار.

تحرك شخص من وسط الجيش ، وتبعه شخص آخر ، لابد أن هذا هو قائد الجيش ، وذلك التابع هو وزيره ، كان كلا الرجلين يرتديان ملابس البدو أيضاً ، بل وحتى الجيش كان بدوياً ، فهؤلاء لا يمكن أن يكونوا تترّاً بأي حال من الأحوال.

رغم بعد المسافة التي يري منها (عماد) المشهد ، إلا أن مظاهر الثراء والجاه كانت بادية على ملابس قائد الجيش ووزيره ، اللذان يبدوا وكأنهما يخاطبا الجيش القابع على مسافة قريبة من المجموعة الفارة ، فثيابهم ذات ألوان زاهية براقية ، وكل منهما يرتدي عباءة أنيقة ، كان القائد يضع على كتفيه عباءة ذهبية مميزة ، تاجاً مميزاً فوق رأسه ، لابد أنه يحفز جنوده الآن ، تسائل (عماد) في نفسه ، ترى هل يبيدوهم عن بكرة أبيهم ؟ أم سيكتفون بأسرهم ؟ خاصة وأن بينهم أطفال ونساء.

استمر المشهد ثابتاً على هذه الصورة ، لابد وأن حوار يدور بين قائد الجيش ووزيره ، لم يتمكن من تمييز قائد المجموعة ، فلا يوجد بينهم من يبدو عليه أنه ملك أو أمير أو ذا منصب أو جاه.

وبينما هم كذلك ، لاحظ (عماد) حدوث اضطراب في سطح ماء القناة ، وكأن ريح قوية تهب فوق سطح الماء مباشرة ، لكن أي ريح تلك التي تحرك سطح الماء في اتجاهين متضادين ؟

اتسعت عينا (عماد) ، وفغر فاهه ، فقد أدرك الآن ما الذي يراه ، لقد تحرك الماء في القناة ، تحرك بالفعل ، وكأنه كومة من التراب وليس مياه جارية ، كأن يد خفية كومت المياه في كومتين ، كما يفعل الاطفال برمال الشواطئ ليصنعوا جبلاً أو قلاعاً ، وأصبح الماء وكأنه جبلين متقاربين ، وبينهما وادٍ ضيق.

هؤلاء القلة هم بني (اسرائيل) عليه السلام ، وذلك القائد ذو العباءة الذهبية هو (فرعون) ولا شك ، وها هم يعبرون بين المياه المنحسرة بالأمر الإلهي ، وسط ذهول (فرعون) وجيشه ، فلم يحرك منهم ساكناً ، رغم أن عرض القناة ليس بالقصير. لكن مهلاً ، ما هذا ؟ أكان (فرعون) بدوياً ؟

عصف هذا السؤال بعقل (عماد) ، ثم ما هذه التركة التي عبر منها نبي الله (موسي) عليه السلام ؟

ألم يجتاز البحر الأحمر ؟

كاد (عماد) أن يجن ، ما يراه ينسف كل ما تلقاه عن هذه الواقعة ، من الطبيعي أن يصور له عقله الصور التي يعرفها ، لكن كل هذا الانحراف عن الصورة التي يعرفها لا يمكن لعقله أن يختلقها ، هذا المشهد إما أن يكون غير حقيقياً ، وإما تكون المعلومات التي تلقاها كانت كلها مغلوبة.

اقترب بنو (اسرائيل) من اجتياز اليم ، فقرر (فرعون) وجنوده اللحاق بهم ، ودخلوا بين جبلي المياه ، واندفعوا للحاق بهم ، لكن سرعان ما وصل بنو (اسرائيل) للضفة الثانية ، ثم انسكبت المياه ، وكأنها كانت حبيسة بداخل كيس شفاف ، ثم خُرق هذا الكيس ، وفي لحظات انتهى (فرعون) وجيشه.

حاول (عماد) أن يميز نبي الله (موسي) عليه السلام ، فلم يستطع ، خاصة أنه لم ير لحظة ضربه عليه السلام الماء بعصاه ، ثم توقف المشهد ، توقف لتشتعل رأسه بالتساؤلات والأفكار.

من أي قوم كان (فرعون)؟

المصريون القدماء لم يعرفوا ركوب الخيل ، إلا بعد دخول الهكسوس إلى مصر.

هذه الملابس لم يرتديها المصريين القدماء ، هذه التربة يستحيل أن تكون هي خليج السويس ، ثم أنها مياه عذبة ، فقد شربوا منها.

هز رأسه وقد غرق في الحيرة ، وظل يدور في الفراغ بلا هدف وقد شرد ذهنه ، لا يمكن تحديد كم من الوقت ظل شاردًا ، لكنه عندما أفاق من شروده ، وجد نفسه في حيرة أكبر.

لقد تذكر فجأة أمر السيارة ، وأنه وجد بها اسطوانة حابسة ثانية قبل أن يدخل في هذا الحلم ، وتصاعد السؤال في رأسه بقوة: -كيف أجد اسطوانتين بعدما استعملت واحدة بالفعل؟-

تضاعفت دهشته عشرات الأضعاف ، فهو يفكر في واقعه وهو بداخل الحلم ، ويفكر فيما حدث له عند اكتشاف الاسطوانتين ، ومن يدخل في عالم الأحلام لا يفكر في الواقع بهذه الطريقة ، إلا إذا لم يكن هذا حلمًا.

دار حول نفسه عدة دورات ، ثم توقف بغتة ، فقد ملح ضوء مصابيح السيارة ، كيف أتت السيارة إلى هنا هذه المرة ؟

اندفع بقوة وسرعة نحو سيارته ، يجب أن يتأكد من الاسطوانات الحابسة ، من المستحيل أن يجد اثنين منها ، وقد احرق واحدة بنفسه.

وصل إلى السيارة في الأخير ، واحتل مكانه خلف مقودها في لحظتين ، ومد يده وفتح الدرج الجانبي حيث يحتفظ بالاسطوانات ، وكانت صدمة ما بعدها صدمة.

فقد وجد اثنين من الاسطوانات الحابسة.

ثم أظلم كل شيء.

(٩٣)

شعر (عماد) بسقوط الضوء على عينيه ، ففتح عينيه بصعوبة ، ولم يكد يفعل حتى اجتفف رأسه ألماً رهيباً ، وأغشى الضوء عينيه للحظات ، قبل أن يتعود عليه تدريجياً.

بالإضافة إلى الصداق الرهيب ، كان يشعر بالأم منتشرة في جسده كله ، اعتدل جالساً بصعوبة كبيرة ، وبدأ يميز ما حوله.

هو الآن ممدداً على فراشه ، في حجرته بمسكنه في المركز ، يرتدي ملابس النوم ، جسده يغرق في بركة من العرق رغم انخفاض درجات الحرارة ، كانت هناك سحابة ضبابية تحجب ذاكرته عنه ، فلا يتذكر شيئاً مما حدث ، نظر إلى جواله الموجود بجوار السرير ، ليرى الوقت ، كانت الساعة السادسة والنصف صباحاً ، استغرب من أنه نسي الحجرة مضاءة قبل نومه ، كيف استطاع النوم في هذا الضوء المبههر؟

قام ، ودخل إلى الحمام ليغتسل ، كان يحتاج لهذا الحمام السريع ، خرج من الحمام مرتدياً ملابسه الداخلية ، وأسرع يرتدي ملابسه المعتادة ليستعد للذهاب إلى عمله ، ثم دخل إلى البوفيه يعد لنفسه قدح من القهوة ، ثم جلس يتناول بعض ثمار الفاكهة وهو يحتسي قهوته.

بدأ يستعيد صفاء ذهنه ، كما تحسن حاله إلى حد ما ، وخفت آلام رأسه وجسده ، وفجأة ، ودون أي مقدمات ، تذكر كل شيء ، تذكر سيارته ، الاسطوانتين الحابستين ، ثم ذلك الحلم الغريب.

توقف أمام هذا الحلم ، أكان حلم حقاً؟

لم يعد قادر على ترتيب الأمور بشكل منطقي ، ولا على فهم هذه التفاصيل

المتناقضة ، لقد كان الحلم واضحاً تماماً كما في المرة السابقة ، لكن هذه الأحداث التي رآها تناقض كل ما تعلمه في كتب التاريخ.

عليه أن يدون ما رآه بسرعة ، وفوراً قام ليسجل ما عاشه في الليلة الماضية ، قام باحضار الكمبيوتر المحمول ، وعكف على كتابة كل شيء ،وكالعادة كانت التفاصيل حاضرة كلها.

بعدما انتهى من الكتابة ، أغلق الكمبيوتر ، واستقبل موجات الحيرة العاتية ، وحاصرته الأسئلة التي بلا إجابة من جديد.
كيف عاد إلى مسكنه؟

متى استبدل ملابسه بملابس النوم ؟
ومتى نام أساساً ؟

هل أحضر أوراق هويته الجديدة معه ؟

والأهم من كل هذا ؟ ما حقيقة الاسطوانتين في السيارة؟

قام وعاد لحجرة نومه ، ووقف يصفف شعره أمام المرأة ، وهنا تسللت إلى تفكيره (نهى) ، وجد نفسه تفكر في حالها ، وقصة انفصالها عن قرينه ،شعر برغبة في الحديث معها ،ربما ليسمع منها ما لم تخبره به يوم أمس ،وربما ليخبرها بما رآه في منامه ، لكنه يريد لقائها ، ويريد تبادل الحديث معها.

بدأ يستجيب إلى مشاعره تجاهها ، وعاد يفكر فيها بشكل كبير ، يشعر بأنها الشيء الجميل الوحيد الذي يفرحه في هذا العالم ، ربما هي تنتمي إليه ، وربما هو ينتمي إليها ، حتى وإن لم ينتمي لعالمها كله ، لابد وأنها ستكون سلواه في هذا العالم. عليه الآن الذهاب إلى عمله ، وعليه أن يقص عليها ما حدث معه ، بل عليه أن يشارك الأمر مع الدكتور (علي) و(عماد) قرينه أيضاً ، فربما يجد أحدهما أي تفسير لما مر به ، حتى ولو كان تفسيراً غير منطقياً.

(٩٤)

اصابت الدهشة الدكتور (علي) ، للدرجة التي وصل إليها الحاح (عماد) الجالس أمامه ، وهو يطلب منه الاجتماع في حضور قرينه و(نهى) ، حقيقة الأمر ، كان الدكتور (علي) يدرك أن مطلباً كهذا سيحدث في وقت ما ، كان متأكد من أن (عماد) لن يتراجع عن محاولة إعادة التجربة مرة أخرى ، ليتمكن من العودة إلى عالمه ، لكن لم يتوقع أن يأتي طلبه بهذه السرعة ، ولا يفهم لما يصر على حضور زميله ، إلا إذا أراد أن يستخدمهما كويسلة للضغط عليه.

بطبيعة الحال ، لم يستنتج (علي) أو (عماد) الآخر سبب هذا الاجتماع ، وإن ظل كل منهما يضع الاحتمالات في خياله ، وذلك أثناء انتظارهم وصول (نهى) ، وفي حين ظن الدكتور (علي) أن هذا الاجتماع سيدور حول مبدأ إعادة التجربة ، ذهب خيال (عماد) الآخر إلى فكرة مغايرة تماماً ، فقد ظن أن (عماد) أصر على وجوده هو و(نهى) لمناقشة أسباب انفصالهما ، وربما سيعترف أنه كان سبباً في هذا الانفصال بطريقة أو بأخرى ، مما جعله يشعر وكأنه جالس على جمر مشتعل في مواجهة (عماد) أمام مكتب الدكتور (علي) الأنيق ، كان كل واحد منهما يتنبأ بسبب الاجتماع طبقاً لما يتوقعه أو حتى يخشاه من (عماد) ، الأول يخشي مناقشة التجربة ، والثاني يخشى مناقشة الانفصال.

أما (عماد) ، فكان القلق والاضطراب واضحين عليه بشكل ملفت ، وكانت الأسئلة التي تعبت برأسه تكاد تصل به لمشارف الجنون ، فكّر أنه قد يكون جُن بالفعل ، ولم لا ، من الممكن أنه قد تخيل ما رأى ، من الممكن أنه لا يحلم ، خاصة وأنه لا يتذكر أنه نام ليرى رؤيته الأخيرة.

ذلك الصمت الذي غرق فيه الجميع ، دام لأكثر من خمس دقائق ، كانت كافية لتشتعل أعصاب (عماد) القرين ، فسأل (عماد) بعصبيه واضحاً:
-ألا يمكنك أن تعطينا فكرة عن سبب هذا الاجتماع المبالغت ؟-
نظر إليه (عماد) بنظرة خاوية ، ثم قال:

-لم تأت (نهى) بعد -

تصاعدت الشكوك برأس القرين ، عندما نطق (عماد) اسمها مجرداً ،الآن لا مجال للشك في الأمر ،لقد توطدت علاقتهما واصبح كل منهما ينادي الآخر باسمه مجرداً.
لم يلاحظ (عماد) نفسه ذلك ، فقد كان عقله يعمل بكامل طاقته للبحث عن
جواب اسؤال واحد فقط - هل قد جُنت ؟-

وصلت (نهى) ،دخلت بعدما طرقت باب الحجرة ،خطت واثقة قوية ،وقالت
لتحية الجميع:

-السلام عليكم !-

تنهد (علي) بارتياح ،وقام وهو يقول :

-مرحباً أيتها المهندسة .. هيا نجلس هناك-

قالها وهو يشير إلى طاولة الاجتماعات، تبعه ثلاثتهم ،وجلس هو على رأس الطاولة ،وإلى يمينه جلس (عماد) ، وعن يساره جلس القرين ،أما (نهى) فقد اختارت أن تجلس بجوار (عماد) ، مما جعل نار الغيظ تشتعل في ملامح القرين ،وقد أوشكت ظنونه تتجسد حقيقة أمام عينيه.

سألت (نهى) الدكتور (علي):

-ترى ما سبب هذا الاجتماع ؟-

فرد (علي) راحتيه ،ثم نظر إلى (عماد) وقال:

-كلنا نريد أن نعرف السبب-

تعلقت كل العيون بوجه (عماد) ، والذي فكر كثيراً كيف سيبدأ في الكلام ، ثم قال:

-أنا بحاجة إلى مساعدتكم .. جميعاً-

قال (علي):

-خيراً يا (عماد) ؟ هل تمر بمشكلة ما ؟-

صمت (عماد) ، و طال صمته حتى قال القرين بغضب:

-عليك البدء في الحديث ، فقد جمعنا بشكل مفاجئ لا لتجلس صامتاً ، أليس كذلك ؟-

أحنقت طريقته في الكلا (نهى) ، فمالت قليلاً نحو (عماد) وقالت بهدوء:

-تقول بأنك تحتاج ألى مساعدتنا .. أخبرنا بالأمر ، ولن نتأخر عن المساعدة أبداً-

قالتها وهي تضغط حروف جملتها الأخيرة ناظرةً في عيني خطيبها السابق ، الذي حاول كظم غيظه بقوة ، فكشف لون وجنتيه الأحمر عن هذا الغيظ.

جال (عماد) بنظره في وجوههم ، ثم قال :

-حسناً .. سأقص عليكم ما يحدث لي ، بكل التفاصيل ، فاسمعوني جيداً .. فأنا أحتاج منكم تركيز كبير فيما أقول -

انتظر أن يعقب أحدهم ، لكنهم كانوا مستعدين للاستماع جيداً له ، فتنهد مرة أخيرة ، ثم انطلق يقص عليهم رؤياه المتكررة ، وقد استرعى كلامه انتباههم تماماً ، صحيح أن (نهى) كانت قد سمعت منه سابقاً إحدى هذه الرؤى ، لكنها أولته كل اهتمامها وكأنها تستمع إليه للمرة الأولى.

كان (عماد) يروي رؤياه بحماس كبير ، ولمع جبينه ببضع قطرات العرق ، حتى وصل إلى رؤياه الأخيرة ، فنقل لهم تساؤلاته أولاً عن كيف عاد إلى مسكنه ؟ ومتى ؟

ومتى ابدل ثيابه ؟

متى غط في النوم ؟

من أين جاءت الاسطوانة الحابسة الثانية ؟

ثم بدء يروي الرؤيا ، بكل تفاصيلها ، فأخذت الدهشة والاستنكار بكل من (علي)

، و (عماد) الآخر ، أما (نهى) فظلت على انصاتها بنفس الاهتمام ، وإن حملت شفيتها ابتسامة غامضة ، وكأنها تعرف ما يقوله سلفاً.

انتهى (عماد) من روايته ، فضرب قرينه سطح الطاولة براحته ، وهو يقول بلهجة تحمل مزيجاً من السخرية والغضب:

-الأمر بسيط يا صديقي .. لا يزال عقلك مضطرباً جراء ما مررت به ، فتتخيل ما ترى .. مشكلتك أنك تصدق تلك الخيالات-

لم يلاحظ (عماد) السخرية في كلام قرينه ، فقال بجدية :

-لقد فكرت مثلك أيضاً .. لكن تبقي تساؤلاتي نفسها بلا تفسير منطقي واحد-
قال (عماد) الآخر بسخرية أكبر :

-أتقصد كيف عدت لسكنك وتلك الأسئلة التي ذكرتها ؟ .. ربما سقط هذا الجزء من ذاكرتك .. فقد سبق لك وأسقطها كلها-

لم تغيب السخرية هذه المرة عن (عماد) ، لكن الدكتور (علي) تكلم ولم يعطه مجالاً للرد على قرينه وقال:

-لو أردت رأيي يا (عماد) ، فكلام (عماد) يحمل الكثير من المنطق ، ربما لا تزال تعاني بعض الاضطرابات في الذاكرة ، وقد تكون تمر ببعض الاضطرابات أثناء النوم ، فترى ما تراه -

أطرق (عماد) للحظات ، ثم سأل (علي):

-أتراني بحاجة لاستشارة طبيب -

سأله (علي) :

-أتقصد ..؟-

أوماً (عماد) وقال:

- بلي ، طبيب أمراض نفسية-

أقلت من (عماد) الآخر ضحكة سخيفة ، جعلت الدكتور (علي) يرمقه بنظرة نارية ، فقالت (نهى):

-أنا أخالفكم الرأي ، الأمر لا يحتاج إلى طبيب-

التفت (عماد) نحوها بسرعة وقال متسائلاً:

-كيف؟-

قالت:

-لقد أخبرتني بأمر هذه الرؤى سابقاً ، وكونها تتكرر معك بنفس الطريقة في كل مرة ، يجعلني لا أظنها مجرد هلاوس أو أضغاث أحلام ، لكن أظنها شيء آخر .. شيء لا يمكنك تخيله حتى-

سألها (عماد) باهتمام:

-فيم تفكرين؟-

اندفعت قائلة بحماس:

-انتم جميعاً -بما فيهم أنت نفسك يا (عماد)- تظنون أن (عماد) تعرض لتأثير نفسي وعصبي من جراء التجربة الغير طبيعية التي قام بها ، لكم لماذا لم يفكر أحدكم أن يكون هذا التأثير عضوي أكثر منه نفسي؟-

جذب حديثها انتباههم ، فسألها الدكتور (علي) أن تكمل بقوله:

-أكملي يا (نهى) .. ما الذي ترمين إليه بالتحديد؟-

قالت:

-في حقيقة الأمر ، لابد أن يكون هناك تأثير عصبي قد وقع بالفعل ، هذا الأثر يفسر لنا عدم فهم (عماد) لأمر كثيرة ، كعدم فهمه لطريقة عودته للمنزل مثلاً ، أما الجانب العضوي ، فلديّ اعتقاد بأن عقله قد اكتسب قدرة غير مألوفة .. قدرة خارقة .. تمكنه من رؤية الماضي في صورة أحلام-

قال (عماد) الآخر بسخرية فظة:

-تقولين أنه حوال السفر بالزمن إلى المستقبل فاكسب قدرة على رؤية الماضي .. أي حديث هذا؟!-

نظرت (نهى) إليه بعناد وقالت بغضب:

-وكيف تفسر ما يراه من مشاهد قديمة لا تنتمي لذاكرته الشخصية ؟ .. لو كان لديك ما يستعدنا فمرحباً بك ، أما أن تظل تسخر من الأمر هكذا طوال الوقت ، فمن الأفضل أن تصمت-

قال (علي):

-هدئي من روعك يا (نهى) ، كلنا نحاول المساعدة هنا ، و(عماد) لا يقصد أي إساءة لا سمح الله-

قالها ونظر إلى مساعدة بغضب ، فسكت القرين ، فتابعت (نهى) :
-مهما استطاع (عماد) استحضار ذكرياته وماضيه ، فلا يمكنه أبداً رؤية ماضي غيره ، كوالديه و أجداده مثلاً ، لكنه يرى هذه الأحداث ، في صورة خيالية لواقع يحاكي ما مر به داخل الثقب الأسود ، فهذه الطريقة ، يمكن لعقله أن يتقبل المشاهد وكأنها أحلام عابرة -

صمت الجميع ، وقد أخذهم التفكير فيما قالت ، وقد كان كلامها مقنعاً إلى حد ما ، ثم قال (علي) :

-لكن ما رواه عن قصة (موسى) عليه السلام .. لا أفهم هذه القصة أبداً ، وربما كانت هذه القصة سبباً لضعف نظريتك يا (نهى) -
ابتسمت وقالت بثقة:

-هذه القصة تحديداً ، وكما رواها (عماد) ، هي ما يثبت صحة نظريتي حول اكتساب قدرة خارقة لرؤية الماضي -
سألها (عماد) هذه المرة :

-وكيف ؟ هذه الرؤيا تحديداً أجدها غير واقعية-
هزت رأسها نافية وقالت:

-ألم تسمع عن تزييف التاريخ يا (عماد) ؟ .. لقد عكف اليهود على ذلك طيلة قرون كاملة من الزمان ، وأغلب ما نقر به على أنه حقيقة تاريخية ، هو في حقيقة الأمر محض افتراء وكذب .. منذ أيام ، قرأت كتاب بعنوان فرعون ذو الأوتاد ، لباحث ومؤرخ

يدعى (أحمد سعد الدين) هذا الكتاب يثبت بالدلائل والقرائن المختلفة حقيقة كون (فرعون) أحد ملوك الهكسوس اللذين احتلوا مصر قديماً .. عليكم بقراءة هذا الكتاب ، ومراجعة ما جاء فيه ، وستكتشفون وقتها أن عددا من التاريخيين حول العالم يعترفون بنظرية حقيقة (فرعون) -

هز (علي) رأسه وقال:

-هذه أول مرة أسمع فيها عن هذه النظرية-

قالت بسرعة :

-وأنا كذلك ، لكنني بحثت كثيراً عن هذا الأمر ، ووجدت كثير من العلماء يؤنون بهذه النظرية ، حتى أن الدكتور (مصطفى محمود) رحمه الله من مؤيديها-

قال (علي) باهتمام:

-ينبغي أن تعيريني هذا الكتاب في أقرب وقت يا (نهى)-

ثم التفت إلى (عماد) وقال:

-أما أنت يا (عماد) ، فعليك أن تهدأ وتستريح قليلاً ، ولننظر للأمر من وجهة نظر (نهى) ، وربما تصبح أحد مشاهير هذا العالم لو صح أمر قدرتك الخارقة تلك-

شعر (عماد) ببعض الهدوء والطمأنينة ، ثم قال (علي):

-يمكنك أخذ باقي اليوم راحة يا (عماد) ، فعد لمسكنك ، وحاول أن تنل قسطاً من الراحة -

ثم ضحك وقال :

- وعليك أن تخبرنا بكل ما ستره -

قالها لنتهي الاجتماع.

ولتبدأ مرحلة جديدة من رحلة (عماد).

(٩٥)

مرت الأيام التالية رتيبة ممله على (عماد) ، ينتظم في عمله طوال النهار ، وقد جمعته فترة الاستراحة مع (نهى) مرة أو مرتين فقط ، ثم يقضي بقية يومه أمام كومبيوتره المحمول ، يطالع صفحات الانترنت المختلفة ، ويقرأ بعض الكتب الإلكترونية.

هذه الفترة جعلت تفكيره يتغير بعض الشيء ، فأصبح ذو ميل كبير للبقاء في هذا العالم ، العالم الذي يجده أفضل من عالمه ، بمشكلات أبسط وأقل تعقيداً ، فهنا القانون يخدم الانسان ، وليس فقط يقومه ويضبط مساره . كانت الوقائع التاريخية تكاد تكون متطابقة بين العالمين ، لكن أحداث تلك الوقائع مختلفة كل الاختلاف.

ذات مرة ، قرر القراءة عن ثورة الخامس والعشرون من يناير في العام الحادي عشر بعد الألفين من الميلاد ، تولد لديه تصور مسبق عن اختلاف الاحداث ، إلا أنه لم يتصور مطلقاً كيف هو ذاك الاختلاف ، فبداية الثورة الشعبية لم تكن تنديداً بما حدث للشباب (خالد سعيد) على أيدي بعض عناصر الشرطة ، بل كانت بداية الاحتجاجات لتفشي الظلم والفساد بين أفراد القائمين على الحكم آنذاك ، وقد اختار الثوار هذا اليوم تحديداً لأنه يمثل العيد الخاص للشرطة ، فهم يعلنون بهذا انهم يشورون ضد الفساد في حماية الشرطة يوم عيدها ، حتى وإن كان هناك بعض الرؤس التي وجب حصادها من عناصر الشرطة.

وقد كان ، قام جهاز الشرطة بحاية المتظاهرين السلميين ، في كل أماكن التظاهرات التي اجتاحت البلاد شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، ولم تحدث سوى بضع حالات التجاوز

والتي تم السيطرة عليها من فورها ، لدرجة أن قوات الجيش لم تتدخل مطلقاً في الأحداث ، كان مطلب الثوار في عموم البلاد هو تغيير النظام الحاكم ، النظام كله. فكر حينها (عماد) ، لابد وأن الشاب (خالد سعيد) قد لقي ربه في موعده المحتوم ، لكن لم يكن الأمر حادث جنائياً ، وربما كان الشاب في فراشه يعاني مرضاً ما مات على إثره ، فكل نتائج البحث عن مقتل الشاب تفض إلى شيء ، وعلى نفس المنوال ، لابد وان من سقطوا شهداء في عالمه ، قد فارقوا هذا العالم أيضاً ، لكن لأسباب أخرى ليست جنائية.

تنحى رئيس الجمهورية نزولاً على طلب شعبه الغاضب ، وخرج في خطاب أخير عبر شاشات التليفزيون أمام العالم كله ، يعلن اعتذاره للشعب عن أي خطأ اقترفه هو ومعاونيه ، مؤكداً سلامة النية ، ومستعداً للمثول أمام القضاء ليقصص الشعب منه ، وهو ما كان بالفعل ، وكانت محاكمات سريعة ، لم ينكر فيها أفراد النظام أي تهمة وجهت إليهم ، وتوالت الأحكام القضائية بحبسهم وتغريمهم ، ثم خرج الكثير منهم بعدها مراعاة لظروفهم الصحية ، إلا أنهم قيد الإقامة الجبرية لما بقي لهم من عمر ، وممنوع عليهم ممارسة العمل العام مرة أخرى ، وللأبد.

وكما فعل النظام السابق ، فعل الاخوان ، فهم قد جاءوا بدايةً مخالفة لهوى أجهزة الدولة ، لكنهم لم يكونوا أقل شجاعة من سابقيهم ، وتخلوا عن الحكم عندما لفظتهم جموع الغاضبين ، وامثلوا كذلك أمام القضاء ، ولا تزال المحاكمات منعقدة. مدة توليهم مقاليد الحكم القصيرة ، لم تجعلهم كسابقيهم من حيث حجم وكم الأخطاء ، لذا فالجميع يتوقع أن تكون أحكامهم أقل ممن سبقوهم من الحكام والمسؤولين.

كل هذا مهد السبيل أمام عقل (عماد) ليمضي قدماً مستمراً في هذا العالم ، الأمان الذي يشعر به هنا من الصعب جداً التخلي عنه ، وبشكل عملي فهو لم يخسر كثيراً إذا بقي هنا ، وقد أصبح مقيماً بصفة رسمية ، ويعمل في نفس مجاله ، ومع الوقت ستتحسن أوضاعه المالية ، لكنه سيخسر عمله في الجامعة ، وعلى الصعيد الأسري ،

فقد خسر اخته واسرتها ، وأصبح وحيداً بلا أهل أو أقارب.
لكن هناك فرصة ليتزوج من (نهى) ، هي أيضاً سبباً رئيسياً في رغبته العارمة
ليستمر في هذا العالم ، ورغم أنه لا يثق في ردة فعلها إذا ما صرح لها بمشاعره نحوها
، إلا أنه متفائل من أن لديه الفرص للظفر بقلبها.
أفضل ما كان في تلك الأيام ، هو انقطاع الكوابيس والهواجس الجنونية التي يراها
، و تمنى أنها تكون قد ذهببت بغير رجعة ، فهو لم يعد متحمس للبحث فيما رآها ،
ولم يعد يهتم بمعرفة الحقائق التي يجهلها ، يريد أن ينعم بحياة هادئة وطبيعية.
فهل تستجيب له الحياة ؟

(٩٦)

تحسنت العلاقة بين (العمادين) بمرور الوقت ، تحديداً من ناحية (عماد) الآخر ، والذي لم يعد يحمل أي مشاعر تجاه (نهى) ، واستطاع أن يتجاوز بغضه لهما وحنقه منهما ، خاصة وأن كليهما يعطي للعمل كل الاهتمام ، وهذا ما يريده من الموظفين في المركز.

أثناء فترة الراحة في أحد الأيام ، جمعتهما طاولة واحدة ، يتناولوا بعض الأطعمة السريعة ، بداخل كفتيريا المركز المكتظة بالعاملين في هذا الوقت.

كانا يتبادلان حديثاً عادياً حول بعض أمور العمل ، لكن (عماد) الآخر قال فجأة:
-أود أن أطلعك على سر يا صديقي -
نظر له (عماد) باهتمام ، وسأله :
-أي سر ؟-

لاك الآخر لقمة في فمه ، ثم قال :
-عندما ظهرت في عالمنا فجأة ، لم أكن اطيع فكرة وجودك بيننا -
ابتسم (عماد) وقال:
-يمكنني تفهم هذا -
قال الآخر:

-لم يكن من السهل أن اتعامل مع قريني ، كان أمراً مربكاً وغير مستساغ ، وكم تمنيت أن تختفي فجأة كما ظهرت فجأة -
لم يجد (عماد) ما يقوله ، خاصة أمام هذه الصراحة المفردة التي يتحدث بها قرينه ، الذي تابع كلامه قائلاً :

- أتذكر يوم أخرجتك من مخفر الشرطة ؟-

أوماً (عماد) برأسه موافقاً ، ثم استمر في الأكل لكي لا يتحدث ، فيظهر ارتبাকে ، فقال الآخر:

-كان هذا أول لقاء مباشر يجمعنا ، وقتها تأكدت من أننا نختلف عن بعضنا البعض ، ربما نكون متطابقين من ناحية الشكل ، لكن هذا هو التشابه الوحيد بيننا -
ابتسم (عماد) وقال مازحاً:

-لقد نسيت أمراً آخر .. الصوت-

ابتسم الآخر وقال :

-يظل ذلك في حدود التشابه الظاهري ، لكن من النواحي الشخصية فكلانا يختلف كثيراً عن الآخر-

شعر (عماد) بأن عليه قول شيء ما ، ليبقي الحوار متبادلاً ، بدلاً من قيامه بدور المستمع فقط ، فوجد نفسه يقول:

-أتمنى أن يتغير رأيك هذا بشأني -

ضحك الآخر ، ثم قال :

-بالطبع تغير .. وإلا لما كنت أتبادل معك حديث كهذا أبداً ، يمكنك أن تقول أنني أريد فتح صفحة جديدة بيننا ، و أردت أن أصفي كل ما في ضميري ناحيتك -
قال (عماد):

-صدقني .. أنا لم أحمل لأحد هنا أي مشاعر سلبية منذ قدومي لعالمكم ، بل أنني أشعر بالراحة هنا أكثر من عالمي-

قال (عماد) الآخر بسرعة:

-وهذا ما شجعني لأقول لك ما أقوله ، أنت شخص طيب جداً يا (عماد) ، ولا تحمل ضغينة لأحد بالفعل ، حتى عندما يضغط عليك أحداً في العمل ، سواء كان أنا أم الدكتور (علي) ، وكذلك الأمر بخصوص رأينا في تجربتك و أحلامك ، كنت دائماً تجد وسيلة لتقبل الأمور-

صمت لتناول رشفة من كوب العصير أمامه ، ثم أكمل قائلاً :
-أما فيما يتعلق بالعمل ، فقد أثبت جدارتك بسرعة ، وحزت ثقة الجميع في المركز ، ولديك براعة خاصة في انجاز المهام الموكلة إليك-

قال (عماد) :

-هذا لأنني أحب هذا العمل -

قال الآخر :

-أرى ذلك بوضوح .. لكنني لم أخبرك بالسر بعد -

ارتفع حاجبا (عماد) ، وتسائل بدهشة:

-أهناك ما هو أكثر من ذلك ؟-

أوماً (عماد) الآخر موافقاً ، لكنه صمت قليلاً ولم يجب ، كان واضحاً أن الأمر صعب ليتحدث به ، أو أنه لا يجد سبيلاً لبداية الكلام ، فشعر (عماد) بالقلق ، فقال:
-هات ما لديك يا رجل ، فلقد أشعلت اعصابي-

تنهد الآخر وقال:

- الأمر بخصوص (نهي) -

كانت مفاجأة غير متوقعة لـ(عماد) ، فقال بتلقائية وعلى وجهه علامات الدهشة:
-نهي ؟!-

أوماً الآخر موافقاً ، ثم قال:

-أتذكر تلك الأيام قبيل إنفصالي عنها وحتى بعد الانفصال ؟-

قال (عماد) بقلق:

-بلى -

قال الآخر:

-كنت أظن وقتها أنك سبباً من أسباب ما حدث-

و أسقط بين يدي (عماد) ، لم يتخيل أبداً أن يتبادل نقاش مع قرينه بهذا الخصوص ، ولا بهذه الصراحة ، وظهر عليه الاضطراب وهو يتسائل بقلق واضح:

-أنا ؟ .. وما علاقتي بالأمر ؟-

قال الآخر:

-استمع إلى كلامي ولا تقاطعني-

لم يكن لدى (عماد) نية في المقاطعة حقاً ، فتابع قرينه قائلاً:

-لقد لاحظت اهتمام (نهى) الزائد بك ، وتقديمها الهدايا إليك في غير مناسبة ، وهو الأمر الذي أثار غضبي منكما أنتما الاثنين ، وبعد انفصالنا ، عكفت على مراقبتك بعض الوقت ، لكنك كنت تتصرف بشكل طبيعي ، وهي كذلك .. ومع الوقت بدأت الصورة تتضح أمام عيني ، فأنا و (نهى) لا نصلح لنكمل عمرنا معاً ، حقيقة الأمر كان ارتباطنا بعض ضغط من الدكتور (علي) شخصياً ، ولم يكن أي منا متحمس لإتمام الأمر ، واصبحت متأكداً من أن انفصالنا كان القرار الصائب والصحيح-

صمت ونظر إلى (عماد) ، الذي غرق في الارتباك والاضطراب ، ولمع جبينه عرقاً ، فقال محاولاً الخروج من هذه المحادثة:

-كل شيء في هذه الحياة قدراً مكتوباً ، وخاصة أمر الزواج -

قال الآخر:

-أعي هذا جيداً ، وأؤمن به .. لكن لا تقلق ، فلم أعد أحمل أية ضغينة لأي منكما -
لم يجد (عماد) ما يقوله ، بل أنه لم يحاول أن يعقب ، فقال الآخر وهو يغمز بعينه :

-لقد أصبح الطريق أمامك ممهداً -

ارتبك (عماد) أكثر وهو يقول :

-لا أفهم ما الذي ترمي إليه يا (عماد) -

هز الآخر رأسه ، ثم قال:

-ربما نكون مختلفين عن بعضنا البعض ، لكنني أفهمك جيداً ، وأرى ذلك في عينيك بوضوح -

قطب (عماد) حاجبيه وسأله:

- ما هذا الذي تراه ؟-

هز (عماد) الآخر رأسه مجدداً وقال:

- لا داع لهذه التصرفات يا صديقي .. لو كان في ضميري أي شيء تجاهكما لما فتحت معك هذا النقاش-

قال (عماد) بعصبية:

-أما أنا فلا أفهم ماذا تريد .. لكنك يجب أن تعرف جيداً ..،،،-

قاطعته الآخر :

-أنا أعرف جيداً بالفعل-

ثم مال قليلاً للأمام وقال:

-أعرف أنكما يلائم أحكمم الآخر ، ولا أجد في نفسي أي أحقاد أو بغض .. لقد قلتها لك سلفاً ، لنفتح صفحة جديدة بيننا كأصدقاء -

تلاعبت الأفكار برأس (عماد) ، هل قرينه صادقاً فيما يقوله ؟

أم أنها حيلة وفخ متقن يود أن يوقعه فيه؟

وهل مشاعره تجاه (نهى) واضحة لهذه الدرجة ؟

قام من مقعده وهو يقول:

-لا أعرف من الذي أوحى لك بهذه الأفكار ، وأعتقد أنه من الأفضل أن نعود للعمل -

فجأة ، دارت الأرض تحت قدميه ، وشعر بوهن يسري في جسده ، ولم تقو قدميه

على حمله أكثر ، فسقط فوق مقعده ، وذلك الدوار يتزايد به ، ودارت عينيه في

محجريهما ، ثم فقد وعيه.

(٩٧)

استفاق (عماد) ، وجد نفسه جالساً خلف مقود السيارة ، وسط الظلام البهيم ، أول ما خطر على باله كان الحوار الذي دار بينه وبين قرينه قبل لحظات. لم يعبأ بمكانه ، ولا عالم تواجدته ، لم ينتبه لما حوله جيداً ، فقد كان عقله مشغولاً بالتفكير في أمر واحد.

هل كان قرينه صادقاً فيما يقوله ؟

ألح عليه هذا السؤال ، ربما كان يتمني أن لو كان قرينه صادقاً فيما قال ، ولا توجد أي خدعة أو أي مكر من (عماد) الآخر ، تمنى لو كانت (نهى) تبادله نفس المشاعر ، وأنهما يلائم أحدهما الآخر.

بدء ذهنه في الصفاء تدريجياً ، فانتفض جسده عندما رأى ما حوله ، لقد عادت إليه رؤياه مرة أخرى ، بعدما ارتاح منها لفترة غير قصيرة ، ها هو يعود لهلوسة العجيبة من جديد.

لكن مهلاً ، هل يمكن أن يفكر بهذا الشكل في العالم الآخر أثناء الهلوسة ؟ أم أنها ليست هلوسة؟

ما الذي يراه الآن ؟ أهو حلم ؟

لا يمكنه التفكير بشكل منطقي وسليم أثناء الأحلام ، فكيف يفعل الآن ؟ ملأت هذه التساؤلات عقله ، بغير جواب شافي كالعادة ، لكن هذه المرة كانت أفكاره ومشاعره أكثر وضوحاً وهو في هذا الوسط المجهول ، فهو يعلم أنه يمر بأمر طارئ سينتهي قريباً كما حدث له من قبل ، سواء كان ما يعيشه حلماً أو كابوساً أو هلوسة أو أي شيء ، المهم أنه سينتهي قريباً ، وسيعود ليجد (عماد) الآخر أمامه ،

وربما يكملا حديثهما السابق.

هذه المرة سينتظر ، سيبقي في مكانه حتى نهاية الكابوس البغيض ، لن يغادر السيارة ، فهو لا يريد أن ينشغل بمشاهدة أمراً عجباً من تلك الأمور التي تملأ كوابيسه.

وكما في كل مرة ، اندفعت الشرائط الطويلة من اللا مكان وهي تحمل صوراً جديدة بلا شك ، ثم التفت الشرائط لتشكّل محبسا كرويا مظلماً ، تماماً كالمرات السابقة.

كانت الأمور تجري كعادتها ، باستثناء أمراً واحداً ، (عماد) نفسه ، هذه المرة لم يكن لديه أي فضول لاكتشاف صورة جديدة أو مشهداً جديداً ، وفكر في نفسه ، ما الفائدة مما يراه ؟ هذه المرة لا يريد لغزا جديداً يضاف لما سبقه.

وجد نفسه يتذكر مشهد غرق الاغية (فرعون) ، ربما كان هذا اللعين غير مصرىً كما رأى هو بعينه ، خاصة بعدما أكدت له (نهى) أن هناك نظريات كثيرة لعلماء كبار تؤكد ما واقعه عيناه.

لقد كان قرب قوسين أو أدنى من رؤية نبي الله (موسى) عليه السلام ، يا لحظه التعس ، ربما لو دقق النظر في تفاصيل المشهد ، لعرف سيدنا (موسى) بسهولة ، فهو من ضرب اليم بعصاه فانفلق له.

أشعلت هذه الفكرة فضوله من جديد ، فهناك احتمالية ان يرى عظماء الزمان ، ربما يجد مشهداً لنبي الله (يوسف) عليه السلام ، فيتأمل جماله ، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى نصف الجمال بالتمام والكمال ، أو ربما يرى كلمة الله وروحه المسيح (عيسى) عليه السلام.

لوو جرى الأمر بهذه الطريقة ، فستسعد عيناه ربما برؤية وجه أشرف الخلق وسيد المرسلين.

هذه الفكرة دفعته دفعاً ليتحرك من مكانه ، فلم يهدر الكثير من الوقت ، وفز من مكانه بسرعة ، سابحاً نحو أقرب الحدود إليه ، ممنيا نفسه بالكثير هذه المرة.

سبح في السواد والظلام كما اعتاد ، مقترباً من رؤيا مجهولة تنتظره ، لم تكن المسافة بينه وبين الحد الخارجي قصيرة ، لكنه وصل سريعاً ، فقد حركته اللهفة بعدما تغلبت على اللا مبالاة.

توقف أمام مشهداً عجيب ككل مرة ، مشهد لا يجمع أي من عظماء الزمان ، أي زمان ، أو ربما كان.

هذه المرة يرى جيشاً غير قليل ، يحاصر مدينة جبلية ، مدينة يمكن أن تتصف بالحسن والجمال ، رغم أنها في أحضان هذا الجبل الذي يميل لونه للأحمر ، وفي أسفل الجبل يقبع الجيش الكبير.

لم تكن الصورة قريبة بشكل كاف لميز التفاصيل ، لكنه فكر أن هذا المشهد يعود للقرن الرابع عشر أو ربما الخامس عشر من الميلاذ ، كان ما يلاحظه من ملابس الجنود دليل على ذلك ، كان السلاح الواضح أمامه هو المدافع ، مدافع قديمة جداً ، ربما لا يمكنها أن تصيب هذه المدينة العالية.

ظلت الصورة على حالها ، بلا حركة وبلا حياة ، باستثناء تحرك بعض الجند ، لن حركات لا تغير من الصورة شيئاً ، خصوصاً من هذه المسافة التي يرصد منها المشهد. ومع غياب أي شيء مثير في هذه الصورة ، وجد نفسه يفكر بشكل مختلف ، ربما لم يكن الجيش أسفل المدينة ليعمل على الهجوم ، فمن السهل أن يواجههم أهل المدينة العالية ، حتى ولو لم يكن لديهم الكثير من الأسلحة ، فهم في مكان عال ، يسهل لهم محاربة هذا الجيش إذا اقترب صاعداً لدرجة تمكنهم من النيل منه.

قد يكون هذا الجيش محاصراً لأهل هذه المدينة منذ فترة طويلة ، وقد قطع عنها الإمداد بالطعام والمؤن ، فيستخدم سلاح الوقت ضدها ، وعاجلاً أم آجلاً ستستسلم المدينة بعد أن تنفذ منها وسائل الحياة.

كان تفكيره في محله هذه المرة ، فقد دبت الروح في جسد الجيش القابع عند أسفل القرية ، وبدء التحرك صعوداً بسرعة ، ولم تظهر المقاومة ، لقد استسلم المحاصرون ولا شك.

تسائل (عماد) في نفسه:

من هؤلاء القوم؟

ومن هم المحاصرون لهم ؟

والهمم ، لماذا يرى رؤيا كهذه لا يفهم منها شيئاً ؟

لقد أصبحت هلاوسه بلا معنى واضح ، أو ربما كانت ذات معنى لا يدركه هو ،
يجب أن تنتهي هذه الحالة سريعاً ليعود إلى ذلك العالم ، فيسأل (نهي) عما رأى ،
فهي المهتمة بالتاريخ ، وربما تتذكر شيئاً عن هذه الواقعة.
ظل جامداً في مكانه ، وهو يراقب حركة الحدود الخارجية لهذا الفراغ ، لكن هذه
المره صدمه ما يراه.

هذه المره لا تتحرك الحدود ببطيء في اتجاهه ، حتى تنكمش علي نفسها لتنتهي
الرؤيا ، وحتى أنها لا تتحرك بسرعة ، في حقيقة الأمر أنها لا تتحرك على الإطلاق.
أمعن النظر جيداً ، وأقترب تماماً من الصور والمشاهد ، ومد يده يلمس الصورة
التي شاهدها قبل قليل ، فالتسعت عيناه عن آخرهما.
لقد استجابت الصورة لضغط راحته ، وكأنها من المطاط ، عاود الضغط عليها ،
فتجاوبت للضغط ، ثم يحرر يده بعيدا عنها ، فتعود كما كانت.
هذه المره يبدو أن الأمر سيطول.

(٩٨)

جمد (عماد) في مكانه ، محاولاً استيعاب ما يمر به هذه المرة ، خاصة بعدما لمس تغير في طبيعة هذا الفراغ الغامض حيث يسبح الآن ، لعل طبيعة هذا الفراغ لم تتغير ، وإنما هو في وسط فراغ جديد يشابه إلى حد بعيد ما عايش سلفاً . غاب في تأملاته ، لم يختلف هذا الفراغ عن سابقه ظاهرياً ، نفس الظلمة الوحشة ، نفس الجاذبية الغير منطقية ، نفس طريقة ظهور اللقطات والمشاهد ، الاختلاف أن هذا الثقب الاسود لم يتقلص على نفسه بسرعة كالآخرين .

خطرت على بال (عماد) فكرة عجيبة:

لابد أن هذا هو اللامكان واللازمان كما وصف اينشتاين وهل هذا المكان هو بالفعل ثقب أسود؟

تشكك في صحة هذا السؤال ، وعليه أن يعترف بأن خوضه لتلك التجربة أثر على دماغه وعقله ، وساء كان ما يراه أحلام أثناء نومه أو حتى هلاوس ، فهي حالة مرضية ، ربما تزول مع الزمن ، وربما يظل يعانيها بقية حياته ، لكنه بعيد كل البعد عن أي حالة من حالات الجنون ، فهو يحتفظ بقدرته على التفكير والتحليل المنطقي ، كما أن (نهى) و (عماد) قرينه وجدا تبريرات لما يعانيه ، بالتأكيد هي حالة مرضية ، ويتمناها حالة مؤقتة .

عاد بنظره إلى اللقطات التي تحيط بالمكان ، أول ما وقعت عليه عيناه كان نفس المشهد الذي عاينه قبل قليل ، جيش كبير يحاصر المدينة اليائسة على قمة الجبل ، لكن مهلاً ، كيف وصلت الصورة إلى هذا المكان ؟

لقد تحرك (عماد) ، لملامسة الحدود التي تحبسه ، تحرك مبتعداً عن مكان تلك

الصورة بقليل ، هذه الصورة تتبعه في تحركة!

دقق النظر في الصورة ، وتبين أنها ليست نفس الصورة التي رآها ، كيف لم يلاحظ أن الجيش الذي يحاصر المدينة أقل عدداً من الجيش في الصورة السابقة ، هذا له معنى واحد ، أن هذه المدينة الجبلية تمت محاصرتها أكثر من مرة ، وربما بجيوش مختلفة.

هاجمت رأسه تساؤلات عدة.

ترى كم مرة تعرضت المدينة للحصار؟

وهل استسلمت أم قاومت عكس المشهد السابق؟

لم هذه المدينة بالذات ؟

هل تحتوى من الكنوز والخيرات ما يجعلها مطمعا بهذا الشكل؟
إنها قرية عادية ، تحتل منطقة عالية في جبل شاهق ، فما هو المميز في بلدة كهذه؟
حاول أن يبحث في ذاكرته عن أي معلومة ترتبط بما يراه ، فلم يجد شيئاً ، هو لم يكن مهتماً بالتاريخ لهذه الدرجة عندما كان طالباً.

فجأة ، تحرك المشهد ، تحرك ليعرض أمراً غير مألوفاً ، هذه المرة لم تستسلم القرية ، بل قررت المقاومة ، قرر أهلها الدفاع عن أرضهم وممتلكاتهم ، رغم ضعف إمكاناتهم الحربية والعسكرية ، لكنهم لجئوا للطبيعة ، وبفكرة بسيطة ، لكنها ناجحة ، درئوا ذلك الجيش الغازي.

لقد بدأ جيش الدفاع عن هذه القرية الصغير في إلقاء الكتل الحجرية الكبيرة ، على الجيش المرباض أسفل الجبل ، فانهاالت الكتل الضخمة من تلك القمة ، لتسحق الأبدان والرؤوس ، وقد أخذت الجيش تلك المفاجأة ، فهلك الكثير والكثير منه ، والقللة المتبقية بادرت بالفرار هرباً من الويل الساقط من القمة.

ثم توقف المشهد ، لقد انتصرت القرية هذه المرة ، تدبر (عماد) فيما رأى ، وقد سيطر عليه الانبهار من عبقرية الفكرة البسيطة التي حفظت القرية واهلها ، لكنه لم يترك الموضوع لينتهى عند هذا الحد ، لأول مرة لم يعجز أمام دهشته أو مفاجئته

مما يرى ، هذه المرة بدء يفكر في منطقية ما يراه.

ورغم جهله بتلك القرية ومكانها والزمن الذي وقعت فيه تلك الأحداث ، إلا أنه كون فكرة منطقية ، فكرة مفادها أن ما شاهده قبل لحظات لابد وأنه يسبق زمنيا ما رآه قبلاً.

هذا هو الحل المنطقي ، لقد حاصر جيش متوسط العدد والعتاد هذه المدينة الجبلية ، فلجأ أهلها لإهالة الكتل الحجرية الضخمة على الجيش ، فسحقت معظمه ، واحتفظت بعزتها ، لكن البقية من الجيش الهارب ، عادت لقيادتها ، فجمعوا جيش أكبر وأكثر قوة ، وحاصروا المدينة من جديد ، هذه المرة كان العدد كبيراً جداً ، ومجهزين بمدافع البارود الكبيرة ، وسيتعاملون مع الأحجار بشكل جيد ، فلن تفلح فكرة الكتل الحجرية مع هؤلاء ، لهذا دام الحصار طويلاً بالتأكيد ، فتقطعت السبل بأهل القرية ، حتى استسلمت في النهاية.

ابتسم (عماد) ، ابتسم لأول مرة وهو يعيش تلك الحالة من الهلوسة ، فقد شعر بالرضى لما هداه إليه تفكيره ، وشعر بثقة أكبر لأنه يتعامل بعقلانية مع ما يمر به ، عندما تنتهى هذه الهلوس ، سيعكف على البحث عن قصة القرية الجبلية التي رآها.

وجد نشوة غريبة تسري في جسده ، يبدو أن (نهى) كانت على حق عندما فكرت أنه اكتسب قدرة عقلية خارقة ، تمكنه من رؤية أحداث الماضي بتفاصيلها ، عليه أن يتكيف مع هذا الوضع ، ويستفيد من كل لحظة تمر عليه.

تحرك بسرعة ، لبحث عن مشهدٍ آخر ، وقد تبدلت لامبالاته بالمكان ، إلى نههم وشغف كبيرين ، عليه أن يلاحظ ويدقق ، ثم بعد ذلك عليه أن يبحث ، وربما سيصبح ذات يوم أشهر وأعظم مؤرخ على الإطلاق.

(٩٩)

بدافع النهم للمعرفة ، تحرك (عماد) ، سبح كثيراً في فراغه الغامض ، كان يمر على مشاهد كثيرة جداً لأناس يلقون من العذاب الوانا ، غير أنه لم يهتم بهذه المشاهد رغم كثرتها ، وذلك لسببين وجدهما منطقيين.

أولهما ، ما الفائدة من قصص التعذيب الوحشي هذه ، لقد رأى أدوات عجيبة تستخدم في تعذيب الضحايا المغلوبين على أمرهم ، لكن يظل الاهتمام بالأمر بلا فائدة من وجهة نظره

ثاني الأسباب الذي دفعه لعدم الاهتمام بتلك المشاهد ، هو الوحشية والدموية المفرطتين ، أشياء تصيبك بالغثيان فوراً ، رجال تم تعليقهم من أقدامهم ، بعدما ربطت الأقدام متباعدة ، وجلادون مجانيين ، يشقون الأجساد المعلقة بالعكس من منتصفها ، وكان الضحية يرى جسده يشق ، وهو يموت ألماً.

رجال ونساء ، مثبتين على عجلات خشبية عملاقة ، مثبتين على حافتها المنحنية من الخارج ، هذه العجلات مثبتة فوق أرضية مائلة من الصلب مليئة بنتوءات حادة ، تترك العجلة لتسقط متحرجة فوق الأرضية المعدنية تحت تأثير الجاذبية ، فتنسحق الأجسام المثبتة إلى العجلة ، وتمزقها النتوءات ارباباً.

وهناك ثوراً ضخماً من المعدن ، على الأرجح أنه من النحاس ، مجوف من الداخل ، وبه فتحة على ظهره ، يقوم الجلادين بتجريد رجل من ملابسه تماماً ، وتكبل يديه وقدميه ، ويضعونه بداخل جسد الثور من خلال الفتحة العليا ، ثم يحكمون إغلاق الفتحة على الرجل ، ويشعلون ناراً كبيرة أسفل بطن الثور ، ليُشوى المسكين المحبوس في داخل هذا الفرن ، والعجيب أن للثور فتحتان عن الأنف ، تخرجان الدخان

والأبخرة المتصاعدة من جسد الرجل بالداخل.

أي مجانين هم هؤلاء القوم ؟ أية وحشية تلك ؟ أكثر ما أثار اشمئزازه هو أن الجلادين والحراس كانوا في قمة الفرح والغبطة وهم يفعلون تلك الجرائم المشينة ، رغم أنه يجهل بهؤلاء القوم ، إلا أن ملابس بعض الرجال كانت ملفتة للنظر . كان بعض الرجال ، وربما كانوا جنداً أو حرساً ، يحاصرون الأماكن التي تقام بها تلك الفواجع ، يرتدون أثواباً سوداء بالكامل ، وتغطي رؤسهم أقماع من القماش الأسود ، تغطي الرأس وتنسدل على الأكتاف ، وتخفي الوجوه باستثناء فتحتين عند العينين فقط ، والغريب أن كل مراسم التعذيب هذه تتم في حضور رجال يبدو كأنهم رجال دين ، بملابس تشبه ملابس القساوسة بشكل أو بآخر ، ويحمل كل منهم في راحتيه كتاباً يتلو منه ما يتلو .

قرر (عماد) عدم الاهتمام بهذه المشاهد المرعبة ، رغم أنها مادة جيدة تصلح لعشرات الكتب ، لكنه كان يبحث عن شيء ما ، شيء مميز يجد فيه معلومة . توقف أمام صورة الوانها زاهية ، جذبتة الصورة لأنها لم تكن داخل ساحات التعذيب التي حفظ شكلها وهيئتها ، بل كانت صورة لشارع في حي شعبي ، به الكثير من المحلات ، كان الوقت نهاراً ، وطبيعة المباني الأنيقة تشعره بألفة غريبة ، وكأنه يعرف هذا الأسلوب المعماري ، كثير من الناس في ثياب بسيطة ، يتحركون في كل مكان ، هذه الملابس تنتمي للقرن الرابع عشر أو الخامس عشر ، يبدو أن هذه الهلوس الأخيرة مرتبطة ببعضها .

فجأة ، دخلت المشهد مجموعة من الرجال ، أحدهم في ملابس القساوسة ، والباقيين يبدو أنهم عساكر نظاميين ، ملابسهم وأسلحتهم الموحدة تؤكد ذلك ، وهناك قائد يتميز عنهم قليلاً ، توقفوا أمام منزل أنيق ، وأحدهم يطرق بابه بعنف ، فتوقفت الحركة في الشارع خوفاً ، ووقف الناس يراقبون ما يحدث من بعيد ، يبدو وأن هذه القوة على وشك إلقاء القبض على مجرم خطير .

بالطبع لم يجب أحد من داخل المنزل ، فاضطر العساكر لاقتحام المكان ، بعدما

حطموا الباب الخشبي ، وغابوا داخل المنزل لدقائق قبل أن يخرجوا.

اندفعوا خارجين ، وهم يدفعون أمامهم امرأة مقيدة بالحبال ، وتقافز حولها أولادها الصغار في رعب وهلع ، هل كل هؤلاء للقبض لعى امرأة واحد فقط ؟ إنها تبدو مسالمة ومسكينة ، ويظهر أنها تصرخ مستنجدة بمن حولها ، لكن أحداً لم يحرك ساكناً.

دفعوها دفعاً بمنهى القسوة لتسير أمامهم ، فتعثرت وسقطت ، وارتقى فوقها الأطفال الصغار ، فجن جنون العساكر ، وانهالوا ضرباً عليها وعلى أطفالها ، وهنا تبدل الحال.

استشاط الغضب بالناس المتجمهرين ، فاندفعوا إلى العساكر ، وانهالوا عليهم بالضرب المبرح ، وطاردوا من فر منهم هرباً ، وحرروا المرأة واطفالها ، وقد فتكوا بالعساكر ، بل أنهم قتلوا قائدهم أيضاً.

من تكون تلك المرأة؟

وما التي اقترفته لتخرج لها هذه القوة الكبيرة للقبض عليها؟

أسئلة سألها (عماد) في نفسه ، كان لديه ثقة في أن كل ما رآه مترابط بطريقة أو بأخرى ، المدينة الجبلية المحاصرة ، عمليات التعذيب الوحشية ، محاولة القبض على المرأة الوحيدة ، شعور مبهم يؤكد أن الأمور مترابطة.

تحرك مجدداً وقد أشعلت هذه المشاهد شغفه ، وبات يطلب المزيد ، لم يتحرك كثيراً ، فقد لفت نظره صورة تشبه ما شاهده قبل لحظات ، بألوان زاهية في تحت ضوء النهار ، فاقتّر أكثر منتظراً مفاجأة جديدة.

امامه ساحة كبيرة ونظيفة ، بل هو ميدان فسيح ، تحيط به مباني غاية في الروعة ، ذات نفس الطابع المعماري الرائع ، كان هناك الكثير من الجند ذوي القبعات المخروطية الغريبة ، التي تخفي الوجوة والرؤوس ، كان منظر هؤلاء الجند وحده كفيلاً ببث الرعب في القلوب ، لكن على العكس ، ارتاح (عماد) لرؤيتهم فهذا يؤكد نظريته بأن كل المشاهد لنفس الحقة وتربطها صلة وثيقة.

هؤلاء الجند يحيطون بحدود الميدان ، ويمنعون أي من المتواجدين من الدخول إلى الساحة الدائرية حيث يقوم الكثير من الجند بعمل شيء غير متوقع. في منتصف الميدان تماماً ، عكف مجموعة كبيرة من الجند على رص آلاف الكتب فوق بعضها البعض ، حتى أنك لتظن أنهم يبنون تبة من الكتب والمخطوطات والقراطيس.

اندهش (عماد) لما يراه ، وحاول فهم سبب ما يفعله هؤلاء الرجال ، وزاد تعجبه أكثر كلما زاد ارتفاع واتساع صفوف الكتب والمخطوطات ، لقد أصبحت الكتب والمخطوطات أكداً ، وقد رفعها الرجال لأقصى ارتفاع تطوله أيديهم ، ثم دخل إلى الميدان رجل يرتدي ملابس الكاردينالات ، بألوانها البيضاء والحمراء المميزة ، وعباءة مذهبة فوق كتفيه ، يمشي بوقار حتى يقف على بعد خطوة واحدة من الصرح ، صرح الكتب الضخم ، لابد وأنهم استخدموا عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات لبناء هذا الصرح الهائل.

وقف الرجل ينظر فيما حوله ، ويجول الميدان كله بناظريه ، ثم بدا وكأنه يلقي خطبة عصماء على الناس المحتشدة خلف سياج الجنود الأشداء ، كان يبدو كممثل مسرحي يلعب دوراً في رواية كلاسيكية.

وكما جرت العادة ، لم يكن هناك أي صوت ، وقد طالت خطبة هذا الرجل ، فبدء (عماد) يتفحص الصورة جيداً ، كان الجميع ينصتون لذلك الرجل الذي يخطب فيهم ، فلا جديد يحدث في المشهد يمكنه لفت النظر ، فتأمل (عماد) المباني والمنازل ، كانت المنازل ترتفع لطابقين ، وأحياناً ثلاثة طوابق ، وشرفاتها تترزين معظمها بالورد الطبيعي ، وأسفل تلك المباني كان هناك الكثير من الحوانيت ، والتي أغلقت جميعها الأبواب ، ربما كان هذا يوم احتفال خاص لأهل هذه المدينة.

وقعت عيني (عماد) على لافتة مثبتة فوق أحد المحال ، استطاع على الفور معرفة نوع التجار التي يقوم عليها هذا المحل تحديداً ، إنه متجر للخضروات والفاكهة ، لا يمكن لعاد أن يخطئ فهم اللافتة ، ببساطة لأنها مكتوبة باللغة العربية.

وانساب نهر الأسئلة المحيرة من جديد ليغمر (عماد)،

ما معنى وجود اللغة العربية في مكان كهذا ؟

هل كل تلك الأحداث والوقائع الرهيبة وقعت في بلد عربي ؟

أي من العرب يرتدون ملابس كهذه ؟ خاصة كالتى يرتديها هؤلاء الجنود الفوارس.

متى حدثت كل تلك المجازر والحروب ؟

من منا ذاق هذا المزار ؟

توترت أعصاب (عماد) بشدة ، فلم يعد الأمر مجرد عرض تاريخي بالنسبة له

، بل أصبح تاريخاً ذا صلة به ، ترى إلى ما سينتهى هذا المشهد ؟

دخلت إلى المشهد عربات ذات صناديق كبيرة ، يجرها الخيل ، ويقودها رجال لا

يرتدون ملابس الجنود ، الغريب أنهم كانوا يرتدون ملابس الرهبان ، كانت صناديق

العربات محملة ببراميل خشبية غطائها من الخشب كذلك ، توقفت تلك العربات

بجوار الكتب المرصوفة ، وتعاون الرجال في تنزيله من العربات ، ثم خلعوا أغطيها

، وتناول كل منهم سطلاً من داخل صناديق العربات ، وبدءوا في ارتكاب جريمة

جديدة.

كان كل منهم يملأ سطله من سائل ما بداخل البراميل ، ثم يقذفه على الكتب ،

وهم يتسابقون فما بينهم ، بعض البراميل الأخرى كانت تحمل البارود ، وكان هناك

عدد من أولئك الرجال يتسابق في رش البارود على الكتب والمخطوطات.

لم يكن المشهد يحتاج للكثير من الذكاء ، هؤلاء المجانين سيحرقون هذا الكم

الهائل من الوثائق والكتب والمخطوطات.

وبالفعل ، جلب أحدهم مشعلاً وغمسه في السائل الذي لابد وأنه أحد الزيوت

، ثم أشعل النار في المشعل ، وناولته للرجل في ملابس الكاردينال ، والذي أمسك

المشعل ، ودار حول نفسه ببطئ رافعاً المشعل لأعلى في حركة مسرحية ، ثم ألقى

به على الكتب ، فاشتعلت فوراً ، وفي لحظات انتشرت النيران على الكتب كلها ،

وتأججت كجحيم مستعر ، وذلك الرجل يضحك بشكل جنوني ، وهو يشير بيده

لمعاونيه.

جلب له أحد معاونين صندوقاً خشبياً ، ووضعه عند قدميه ، فانحنى بسرعة فوق الصندوق فاتحاً إياه ، وبدء يخرج الكتب كتاباً كتاباً ، ويلقي بها في النار المشتعلة ، والتي ارتفعت ألسنتها بشكل مخيف.

هنا جن جنون الناس المحتشدين ، وبدء الصراع بينهم وبين الجنود ، وكانت الغلبة للجنود بهزواتهم الثقيلة ، وسيوفهم البتارة ، فلم يتمكن الحشد من تجاوز سياج الجنود لينقذ ما يمكن انقاذه من الكتب والوثائق.

- هؤلاء القوم مجانيين بحق -

هكذا فكر (عماد) في نفسه ، لكن عند هذا الحد لم يجد رغبة في مطالعة المزيد من الصور ، وهو يشعر في أعماقه بغضب هادر ، متى كان العرب بهذا الوهن والامتهان؟ ، كيف يترك الملوك والأمراء الناس تحت وطئة هذا الجنون ؟

دار حول نفسه يريد العودة إلى السيارة ، ليجلس قليلاً حتى يفكر جيداً فيما رأى ، لكنه توقف عندما لم يجد السيارة في مكانها ، فقط كان الفراغ الأسود ، الظلام الحالك ، فتحرك في اتجاهات عشوائية بلا هدف ، ثم ضرب رأسه فجأة صداد أليم. صداد مباغت ، ألمه لا يحتمل ، وطنين يصم أذنيه ، وبدأت الرؤية تهتز أمام عينيه ، وبات يرى كل شيء ضبابي من حوله ، وذلك الطنين يرتفع أكثر وأكثر ، فوضع كفيه على أذنيه بقوة ، وبكل ما يعاني من ألم صرخ.

صرخ صرخة مدوية ، لكنها لم تتجاوز حدود خوذة رأسه.

وأظلم كل شيء.

وسكن كل شيء.

(١٠٠)

-أين أنت ؟-

انتفض (عماد) عدما سمع هذا الهاتف ، وفتح عينيه بسرعة ، لتصل دهشته لذروتها.

كان لا يزال جالساً على نفس المقعد ، وعلى نفس الطاولة في كافيتريا المركز ، التي ضجت بالموظفين والعاملين ، لكن لم يكن (عماد) قرينه هو من يجلس أمامه كما كان قبل أن تداهمه تلك الرؤى ، بل كانت (نهى) ، وهي التي هتفت بذلك السؤال. ظل يحدق فيما حوله بدهشة كبيرة ، قبل أن يسأل (نهى):

-أين ذهب (عماد) ؟-

هزت كتفيها وأجابته :

-لا أدري أين هو .. أنت تعلم انه لا يأتي كثيراً إلى هنا-

مال برأسه يمينا وهو يحدق في وجهها بدهشة ويقول:

-لقد كان معي قبل قليل هنا وكنا ... -

قاطعته متسائلة :

-هل أتيتم إلى هنا قبل وقت الاستراحة ؟-

هز رأسه نافيا وقال بعصبية:

-بل جئنا مع بداية الاستراحة ، وكنا نتناول هذه الشطائر سوياً -

قالها وهو يشير إلى أطباق الطعام التي أمامهما ، فقالت مندهشة:

-لا بد وأنتك تمزح !-

نظر إليه للحظة وقال :

-لقد كان (عماد) يتحدث معي بشكل ودي ، ولا أدري ماذا حدث -
قالت ضاحكة:

-ما الذي تقوله ؟ أنا معك منذ بداية الاستراحة هنا ، وكنا نتناول طعامنا ، ولم تخبرني
ما الأمر الذي أردت رؤيتي بشأنه ، وعندما سألتك فيما أردت لقائي ، أجعت رأسك
للخلف وأغمضت عينيك وسكنت تماماً ., حتى ظننتك نائماً -

ضربت الصواعق رأس (عماد) ، هل ما تقوله (نهى) هو الصدق ؟ هو متأكد أنه
كان بصحبة (عماد) ،من الواضح أن عقله أصابه خلل ما.
كان يحدق في (نهى) ، فقالت له مداعبة:

-هل تخطط بيني وبين (عماد) ؟ -

هز رأسه وقال:

-أنا لا أفهم شيئاً-

قالت:

-أخبرني بما لديك ., لعلني اساعدك -

صمت للحظة ثم قال بتوتر وعصبية:

-كنت أنا و(عماد) هنا ., على نفس الطاولة ، نتناول نفس الأطعمة ، ونتحدث حديثاً
لا تنقصه الصراحة ، ثم لا أدري ما حدث بعدها ، ربما غفوت للحظة ، لكنني فتحت
عيني لأجدك أمامي -

قالت بدلال :

-وهل هذا شيء يغضبك ؟-

قال بعصبية :

-حاولي أن تفهميني يا (نهى) ., أكاد أجن -

قالت باسمه:

-هون عليك ., كنت أمازحك وحسب ، لكن ما تقوله لم يحدث أبداً ، لقد اتصلت
بي هاتفياً قبيل الاستراحة واخبرتني انك تريد رأيي في أمر هام ، وتقابلنا هنا ، وكنا

نتناول طعامنا ، وأنا انتظرك لتخبرني ما الأمر الهام ، ثم حدث أنك غفوت فعلاً-

سألها بحيرة :

-أأنت متأكدة -

قالت:

-بالطبع ., ويمكنك أن تسأل عمال الكافيتريا ., أخبرني بسرعة ، هل أأتك رؤيا جديدة ؟-

أوماً برأسه موافقاً ، فقالت بحماس :

-فلتخبرني بما رأيت فوراً ., إلى أن تتذكر لما أردت رؤيتي -

تعجب (عماد) ، فقد كانت لديه الرغبة في الحديث معها بشأن ما رآه وهو يعيش الحلم ، ليفتح عينيه فإذا بها هي أمامه ، وقد اختفي قرينه.

قال :

-سأخبرك ., سأخبرك بكل شيء ، واستحضري كل درجات تركيزك فيما سأقصه عليك -
وانطلق يروي.

(١٠١)

استمعت (نهى) جيداً لكل كلمة نطق بها (عماد) ، طيلة خمس عشرة دقيقة كاملة ، قص عليها تفاصيل ما عايشه ومنتهى الدقة ، كان يشعر بالحماسة لأنها تشاركه أمره ، ولما انتهى من السرد قال :

-لقد بُتّ متأكداً من وجود خطب ما في دماغي ، خاصة بعدما خلط بين وجودك معي ووجود (عماد) -

أومأت برأسها موافقة ثم قالت:

-ربما نحتاج لاستشارة متخصصا في طب المخ و الأعصاب-
قال:

-ليس الآن .. ربما يكون مجرد عرض ناتج عن التجربة وسيزول مع الوقت-

ثم مال قليلاً للأمام وقال:

-سأخبرك بأمر سيثير دهشتك .. لقد كنت محافظاً على وعيي وإدراكي في تلك الهلاوس-

أمالت رأسها وسألته:

-كيف ؟-

هز كتفيه ثم قال:

-لا أدري كيف ، لكنني كنت أفكر وأحلل الأمور بطريقة منطقية ، واستنتجت أن كل المشاهدة مترابطة مع بعضها البعض ، وأنها حدثت في حقبة زمنية واحدة .. وهناك شيء آخر-

سألته:

-وما هو ؟-

قال مبتسماً :

- لقد فكرتُ فيكَ أيضاً -

رفعت حاجبيها وقالت :

-حقاً؟! وفيم فكرت تحديداً-

قال :

-عندما وصفت لكِ مشهد غرق (فرعون) الغريب ، وجدت أنك على علم بالقصة كما رأيتهَا ، في حين كنت أنا نفسي أجهل حقيقة القصة .، هذه المرة ، عندما احترت في أمر المدينة المحاصرة ، فكرت أنه ربما لديك بعض المعلومات عن الأمر-

لوحث بيدها بلا معنى وهي تقول :

-لا تنخدع فيّ يا (عماد) ، فأنا لست باحثة تاريخية ، حتى أنا نفسي لم أكن أعلم أنني أحبُّ التاريخ حتى أنهيت دراستي الجامعية ، وبدأت أقرأ بعض الكتب التاريخية- هز كتفيه وقال:

-المهم أنكِ تملكين قدراً من المعلومات لا أملكه أنا على الأقل .، وبحث الأمر معكِ أحب إليّ من البحث فيه مع جوجل- ابتسمت لدعابته وقالت:

-ربما يضللنا صديقنا جوجل ، فهو ينقل أي موضوعات ذات صلة بكلمات البحث ،ولا يثبت أو ينفي صحة أي معلومة- قال :

-بالضبط .، والآن ، هل يمكنك تفسير ما رأيته ؟-

قالت:

-موضوع القرية الجبلية التي شاهدتها في مناسبتين مختلفتين لا يمكنني مساعدتك بشأنه ، كما سبق وقلت لك أنا لست باحثة في التاريخ ، أنا مجرد قارئة لكن .،،- صمتت للحظة ، فسألها بلهفة:

-لكن ماذا؟-

سألته هي:

-هل لديك تطبيق (WhatsApp) على جوالك؟-

تفاجئ من سؤالها ،وأجاب:

-لا ، لِمَ تريدین هذا التطبيق؟-

قالت :

-سأقوم ببعض البحث على طريقتي بعد عودتي للمنزل ، وسأراسلك عبر هذا التطبيق

بما أصل إليه-

قال:

-حسناً .. سأقوم بتنصيبه على الهاتف-

قالت:

-جيد .. والآن أخبرني بما تعرفه عن محاكم التفتيش -

قال :

-محاكم التفتيش ؟! .. أنقصدين تلك التي أقامها المولك الاسبان لمحاكمة كل من لا

ينتمي للمسيحية في اسبانيا ؟-

قالت :

-هي بعينها .. لم تكن محاكمات حقيقية ، بل كانت أوامر بالتنكيل والتعذيب تنتهي

بالموت غالباً ، لكل من لا يعتنق المسيحية ، فوقع الويل والعذاب على المسلمين

والأقلية اليهودية في بلاد الاندلس-

قال :

-أنا أتذكر الآن .. أذكر أنه عند انهيار دولة الاسلام في الاندلس ، تم توقيع اتفاقية

خاصة تنص على حقوق المسلمين في اقامة شعائرهم وممارسة عاداتهم وتعاليمهم

ووجود قضاء خاص بهم وما إلى ذلك ، لكن تم نقض هذه المعاهدة ، وأقاموا محاكم

التفتيش-

قالت:

-لم يعهدوا إلى محاكم التفتيش بالعمل فوراً ، لقد بدءوا أولاً بالتنصير القهري ، ثم أضافوا الطرد من البلاد وترك جميع ممتلكاتهم ، ثم انتهى الحال بعد فترة زمنية إلى محاكم التفتيش أو دواوين التفتيش ، وقد بدأت عملها في غرناطة بعد القضاء على الثورة الموريسكية -

سألها:

-وما هي الثورة الموريسكية ؟-

نظرت حولها ، فوجدت أن معظم الموجودين في الكفاتيريا يهتموا بالمغادرة ، فنظرت إلى ساعة يدها ، ثم رفعت عينها إلى (عماد) وقالت:

-فترة الاستراحة تكاد تنقضي ، وعلينا العودة للعمل سريعاً -

قام من مكانه وهو يقول :

-حسناً ., لكن بشرط أن نكمل حديثنا غداً في الاستراحة -

قامت بدورها ، وبدأت تجمع حاجاتها وهي تقول:

-اتفقنا-

ثم انصرفا عائدين للعمل.

(١٠٢)

في المساء ، تمدد (عماد) فوق فراشه ممسكاً بهاتفه المحمول ، بعدما انتهى من تدوين هلاوسه الأخيرة ، وكذلك متابعة بعض الاخبار عن ما يحدث في سوريا ، وراودته الافكار المتلاحقة ، والاسئلة المعقدة.

هل حالنا كعرب في هذه الأيام أفضل أم أسوأ من حقبة انهيار دولة الاندلس ؟ لقد تمزقنا تمزيقاً ، وانحنت هاماتنا ، وبكت عيوننا دماً ، لقد ابتعدنا عن بعضنا كأخوة ، ابتعدنا حتى عن اصولنا وعراقتنا ، وتجاهلنا ماضيها ، أو أجبرنا على نسيانه ، لم تفرقنا المسافات والأبعاد ، لم تفرقنا الحدود والأسوار ، وإنما قد فرقنا العقول والقلوب.

كم من بلد ذي حضارة ضاربة في القدم تمزق وتشردم ؟ تارة يدعون أنهم يريدون لهذه البلد تطبيق الديمقراطية ، وتارة بتهمة رعاية الارهاب ، وتارة بتهمة وجود أسلحة محرمة ، وفي الأخير كل النهايات واحدة ، تمزق وتشردم هذه البلدان الأصيلة ، وتحويلها إلى دويلات مفككة خاوية.

لماذا لم نسمع يوماً عن لجان تفتيش دولية تذهب إلى دولة الكيان الصهيوني المحتلة لأرض فلسطين ، وهي التي تستخدم ، وبشكل سافر ، كل أنواع الأسلحة المحرمة أو غير المحرمة ، في مواجهة جنود سلاحهم الحجارة. وها هي سوريا الآن ، حبة الخرز الجديدة التي سقطت من مسبحة العرب التي انقطع حبلها.

انتهى (عماد) من تنصيب تطبيق (WhatsApp) على جواله ، وأرسل إلى (نهي) رسالة بذلك ، وانتظر ردها ، لكن الرد تأخر ، فرجع لمطالعة صفحات التواصل

الاجتماعي لبضع دقائق ، ثم بحث عن الرد على رسالته فلم يجد ، فعاد إلى صفحات التواصل.

وهكذا ، ولمدة ساعة كاملة ، كان ينتظر الرد فلا يجده ، فيتلهى قليلاً ثم يعاود الكرة ، مرات ومرات ، لكن لا جديد ، حتى ظن أنها خلدت إلى النوم. قام واحضر لنفسه علبة للعصير من الثلاجة ، ثم عاد إلى موضوعه الأول ، وبدء يرتشف العصير ، وقد تذكر بداية علاقته بخطيبته (نهى) في عالمه ، وقتما كانا يتبادلان الرسائل عبر برامج المحادثة في مواقع التواصل الاجتماعي لساعات. تراقصت على شفثيه ابتسامة حنين ، حنين للماضي ، حنين للوطن ، حنين لمحبووبته ، يا للعجب ! ها هو يعيد نفس الحكاية مع قرينة خطيبته.

اغمض عينيه ليسرح في (نهى) ، لكنه وقع في حيرة كبيرة ، أيهما يحب أكثر ، خطيبته في عالمه ، أم زميلته في هذا العالم ، لقد شجعه كلام (عماد) قرينه معه ، وقد ألمح إلى أن مشاعره تجاهها واضحة للجميع ، فلماذا يتجاهل هذه المشاعر. لم تعد (نهى) الآن مرتبطة بأي شخص ، وهو أيضاً لا يمكن أن يكون على اتصال بخطيبته أبداً ، ربما حان الوقت لأن ينفذ عنه خوفه قليلاً ، ويحاول اخبارها بما يكنه لها ، أو على الأقل يعطيها تلميحاً.

انتفض على صوت استلام رسالة صدر من جواله ، فالتقط الهاتف بسرعة ، وفتحه ليجد رسالة من (نهى) تقول فيها:

-عذراً لتأخرى في الرد .. كنت مشغولة بمساعدة والدتي في أعمال المنزل-
ابتسم فرحاً وهم بالكتابة ، لكن وصلته رسالة جديدة :

-مرحباً بك في عصر التكنولوجيا-

اتسعت ابتسامته لدعابتها وكتب قائلاً:

-وهل ترينني من العصور الوسطى مثلاً-

ردت :

-الاطفال الآن يتعاملون بتطبيق (WhatsApp) أما أنت فلا-

كتب قائلاً:

-وما حاجتي لتطبيق مثل هذا ؟ أنا امتلك في سجل الاتصال أربعة أرقام فقط -
جائته رسالتها تقول:

-تبقى جديداً على التكنولوجيا مهما كانت اسبابك-

رد عليها:

-حسناً ، لا يمكنني مجاراتك ، فليكن ما تشائين ، المهم أنه مُرَحَّب بي في زمن
التكنولوجيا هذا-

جائه منها هذا الرد:

-مرحبا بك دائماً ، في هذا الزمن أو أي زمن آخر-

أعاد قراءى رسالتها الأخيرة هذه أكثر من مرة ، لأبد وأنها تحمل له بعض المشاعر
أيضاً ، وربما هذه فرصته ليصارحها بما يحمل في قلبه لها ، لكن مهلاً ، ربما لا تعدو
رسالتها أكثر من كونها مجاملة رقيقة من شخصية مرحة مثلها.

قرر تغيير دفة الحوار ، فسألها:

-هل قمتِ بالبحث اللازم ؟-

اجابته برسالتها قائلة:

-سأبدأ فوراً ، فقد انشغلت مع والدتي ، لكن لا تقلق ، سأخبرك بما وجدته غداً إن
شاء الله-

راسلها قائلاً:

-حسناً ، إلى لقاء الغد إن شاء الله-

هم بإغلاق الهاتف ، لكن وصلته منها رسالة ، فتحها فوجدها تقول:

-انتظر-

سألها:

-ماذا هناك ؟-

أجابته برسالتها:

-اذكر فقط بأنك ستدعوني للغداء على حسابك -

وأتبعت جملتها ببعض الصور لوجه يضحك ، فضحك هو قبل أن يكتب لها قائلاً:

-بالطبع ., لعلي أسدد بعض ديوني المتراكمة-

قالت منهية المحادثة:

-إلى اللقاء-

قال:

-إلى اللقاء-

وانتهت المحادثة وقد تركت في نفسه أثر كبير ، في حقيقة الأمر كان الأثر في نفسه وفي نفس (نهي) هي الأخرى ، لكن كما في القول المأثور لنتظر -فإن غداً لناظره قريب-

(١٠٣)

في اليوم التالي ، وفي فترة الاستراحة المعتادة ، جمعت نفس الطاولة (عماد) و(نهى) ، لكن قبل أن يتبادلا الحديث ، دخل عليهما (عماد) الآخر ، حاملاً في يده وجهه سريعة ، فجلس مباشرة بجوار (عماد) وهو يقول بلهجة غير مريحة:
-أتمنى أن تقبلا انضمامي إليكما ، وألا أكون أقاطع أمراً خاصاً-
رمقته (نهى) بنظرة نارية وقالت بسرعة:
-على العكس .، قد أتيت في الوقت المناسب لتناقش معنا مسألة هامة-
لم يبد عليه أنه استمع لقولها وهو يقول:
-المهم أن يكون لي مكان بينكما-
قالت:

-بالطبع .، مرحبا بك دائماً يا (عماد) -
لم يستوعب (عماد) ما يحدث أمامه ، وتسائل لماذا يعامل قرينه (نهى) بهذا الأسلوب ، خاصة بعد الحديث الأخير الذي دار بينه وبين قرينه ، ربما كان قرينه يخدعه وقتها ، وأنه لازال يجد أنه كان سببا مباشر لانفصاله عن (نهى) ، وربما هذا الحوار لم يحدث من الأصل ، وكان مجرد هلوسة أخرى ، خاصة أن (نهى) أكدت ذلك ، لابد وأن عقله تضرر بشكل كبير ليتخيل كل هذه الخيالات.
قال (عماد) الآخر:

-ما هو ذلك الأمر الذي تودان مناقشته معي ؟-
قالت (نهى):

-لقد رأى (عماد) رؤية جديدة بالأمس -

قطب حاجبيه والتفت إلى (عماد) وقال:

-ولماذا لم تخبرني أنا أو الدكتور (على) بهذه الرؤيا ؟-

هم (عماد) بالنطق لولا أن سبقته (نهى) قائلة:

-قلت لك أنها كانت بالأمس فقط ، وقد طلب مني (عماد) أن أبحث له في أمرها قبل أن يطرحها عليكما-

قالتها وهي تضغط حروف كلماتها بشكل مستفز ، فقال (عماد) الآخر بغضب:

-كان ينبغي أن يبلغنا أولاً ، مهما كان الأمر الذي رآه ، سيجد لدينا أفضل تفسير-
قالت ببرود:

-بالطبع .. ما قلته انه أراد أن يعرف هو عن ماذا كانت الرؤيا تدور ، قبل أن يطرح الأمر للمناقشة ، فهو لم يكن يعلم ما رأي-
سألها بحدة:

-حقاً ؟ وما هو ذلك الموضوع الغامض يا ترى ؟-

عقدت ساعديها أمام صدرها وقالت باقتضاب:

-الثورة الموريسكية-

سألها باستنكار:

-ماذا ؟-

تدخل (عماد) لأول مرة في مناقشتها وقال:

-بالفعل .. ولم أكن أعرف تفاصيل كثيرة عنها ، و(نهى) هي من تقرأ في التاريخ بيننا ، لهذا لجأت إليها-

بدا الارتباك على القرين رغم لهجته الساخرة وهو يسألها :

-وماذا وجدت ؟-

سألته :

-أتعرف عنها أي معلومة ؟-

ارتبك بشكل واضح وقال بتعلثم:

-ربما .. ربما قرأت عنها هنا أو هناك -

قالت بتحد :

-حسنا .. أنت لا تعرف شيئاً عنها -

ثم التفتت إلي (عماد) وسألته بسرعة :

-عن أي جزء تريد التحدث بالتحديد ؟-

قال (عماد) :

-عن كل شيء .. هاتِ ما عندك-

قالت :

-أنت تعرف أن الأحداث كانت في بلاد الأندلس بعد سقوط الدولة الاسلامية هناك ، ولقد بدأ الأمر بحريق الكتب ، لقد كانت واقعة كارثية في تاريخ العلم بشكل عام ، وليس في تاريخ علماء العرب فقط ، فقد قام الكاردينال خيمينس مطران غرناطة بجمع عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات العربية ، وللأسف جمع أيضاً المصاحف المزخرفة وكتب التفسير ، وأحرقها كلها في ميدان الرملة ، تماماً كما شاهدت أنت في رؤياك-

قال (عماد) حانقاً:

-كيف يعقل هذا ؟ يحرق المصاحف وكتب التفسير ؟!-

قالت:

-كان رجلاً متعصباً ويحاول طمس أي معلم عربي واسلامي ، كان من الرجال المؤمنين بمبادئ ديوان التفتيش ؟-

تسائل (عماد) الآخر بجدية هذه المرة:

-ديوان التفتيش ؟ أتقصدا محكمة التفتيش؟-

نظرت إليه (نهى) نظرة خاصة وقالت:

-هي كذلك .. لقد انضمت إلينا الآن-

سألها (عماد) :

-لكن ما هي الثورة الموريسكية هذه ؟ لم تخبريني عنها أي شيء منذ أمس-
قالت:

-لقد أطلق الاسبان على العرب المسلمين من أهل الاندلس لقب الموريسكين ،
وحقيقة الأمر لا أعرف سبب التسمية ، ربما لها معني باللغة الاسباني أو شيء من
هذا القبيل ، وبالتالي الثورة الموريسكية تعني الثورة العربية أو الثورة الاسلامية -
قال (عماد):

-لقد فهمت الآن ، إنها تسمية للعرب هناك ، لكن أخبريني هل وجد شيئاً يتعلق
بالقرية فوق الجبل ؟-
قالت:

-لم أجد الشيء الكثير ، الجبل يسمى بالجبل الأحمر ، ولقد فر إليه العرب المسلمون
بعدما أجبرهم الاسبان على التنصر قهراً ، فبنوا البيوت الجبلية ، وسرعان ما حاصرتهم
قوات الاسبان ، فلجئوا لإسقاط الكتل الحجرية عليهم ، وانتصروا في هذه المرة ، لكن
جاءهم جيش جرار بأوامر من من الملك شخصياً ، وحاصرتهم لشهور طويلة حتى
كادوا يموتون جوعاً ، فاستسلموا في نهاية الأمر-

مط (عماد) شفتيه وهو يوماً برأسه متفمماً ، فقالت :

-بسقوط أهل الجبل الأحمر ، بدأت نهاية تلك الثورة التي استمرت بضعة سنوات ،
لكن أتعرف أحد اهم الاسباب الرئيسية لقيام الثورة ؟-

هز رأسه نافياً ، فتابعت هي:

-انها المرأة وأطفالها الصغار-

رفع حاجبيه وقال بدهشة:

-حقاً ؟-

قالت :

-لقد كانت امرأة اسبانية ، تزوجت من رجل عربي مسلم ، واعتنقت الاسلام ، فحاول
الاسبان القاء القبض عليها لإجبارها على الرجوع للمسيحية ، ولكنها قاومت رغم ما

تعرضت له من ضرب ومهانة هي وأطفالها ، مما دفع الناس المحتشدة للدفاع عنها ضد الجنود ، حتى أنقذوها وأطفالها من براثنهم ، ومن هنا قرر المسلمون العرب مقاومة هذا القهر والذل ، واندلعت الثورة الموريسكية-

شعر (عماد) الآخر بالحرج ، فهو لا يعلم شيئاً بالفعل من تلك المعلومات التي قالتها (نهى) ، كما أنه كان يستهزئ بهما في بداية الجلسة ، فقال محاولاً الدخول معهما في النسق :

-هذه المعلومات أسمعها للمرة الأولى ، كل ما أعرفه عن سقوط الاندلس هو محاكم التفتيش-

قال (عماد) :

-ربما طريقة تدريس مادة التاريخ في المراحل الدراسية كانت سبب رئيسي في كرهنا كطلاب لهذا العلم -
صدق عليه قرينه :

-صدقت ، لم أكن يوماً من محبي هذا العلم -
قالت (نهى):

-ولا أنا حتى ، لكن أن تقرأ في التاريخ بدون ضغوط الدراسة لهو أمر مختلف تماماً ، وستجد المتعة فيما تقرأ ، والفائدة أيضاً-
قال (عماد) الآخر بحسرة:

-لو شئت الصراحة يا (نهى) ، لا أجد في قصة سقوط الاندلس سوى الألم والحسرة-
قالت :

-بل هي العبرة في الحقيقة .. علينا أن نعتبر من الأمر ، ونتعلم منه ، حتى لا نقع في نفس الأخطاء ، لو نظرت لحالنا كعرب الآن ، فستجد أننا نتمزق ، ولم نتحد سوياً لمواجهة أزماتنا ، فتضيع بلادنا وإن ظلت تحت حكم أهلها-

صدق على كلامها (عماد) الآخر :

-صدقت يا (نهى)-

أما (عماد) ، فقد توقف أمام جملتها الأخيرة ، إنها تفكر نفس تفكيره هو ، لقد
جال الأمر برأسه ليلة أمس ، أي رابط عجيب بينهما.
أخرجه صوت قرينه من بحر افكاره وهو يقول:
-أعتقد أنني يجب أن أسمع منك يا (عماد) تفاصيل رؤياك ، فقد سمعت تفسيرها
من (نهى) قبل أن أسمعها هي -
التفت إليه (عماد) ، ثم نظر إلى الساعة في تليفونه المحمول ، وقال:
-حسنًا. , فلنبداً في تناول الطعا قبلما تنتهي ساعة الراحة ، وسأقص عليكما ما رأيته
بالتفصيل -
وبدأوا في تناول طعامهم.
وأعاد (عماد) الرواية من جديد.

(١٠٤)

جلس (عماد) أمام شاشة التلفزيون ، في الصالة بمسكنه الصغير ، يتابع البرامج الاخبارية ، لم يكن محتوى هذه البرامج هو ما يجذبه ، واقع الأمر أنه لم يكن يعطي أي تركيز لما يتم بثه ، فقد كان تركيزه كله في محادثة يجريها مع (نهى) عبر هاتفه المحمول.

تسللت (نهى) بروحها وشخصتها إلى أعماقه في صمت ، فتملكت منه ، ولم يقاوم هو احتلالها لذاته ، بل أيده وعضده ، وبين عشية وضحاها أصبح فؤاده كوكباً في فللكها ، يدور حولها بتأثير جاذبيتها الفاتنة.

حتى عقله أيضاً اعتكف في محرابها متصوفاً والهاً ، فلا يغادرها ولا تغادره ، ويتجاذب من باطنه أي ذكرى معها ليشغل بها.

اعترف (عماد) إلى نفسه ، بأنه لم يعد معجب بها ، فقد تجاوز مراحل الإعجاب بكثير ، وبات متيمماً ، يفعل أي شيء ليلتقي بها في النهار ، وفي الليل لا تتوقف المحادثات ، ثم يظل هائماً في خيالها إلى أن ينام.

كل ما يقلقه ، وينغص عليه حياته ، هو كيف ومتى يخبرها بحبه ، من ناحية يخشى أن يبدء معها علاقة رسمية قبل أن يشفي مما يعانيه ، أو يتأكد من أن ما يحدث له ليس خيالات وهلاوس ، وأنها قدرة خارقة وشيء ايجابي ، وربما لو طال به الأمد على نفس هذا المنوال ليستشير طبيب متخصص.

من ناحية أخرى يريد أن يتأكد من أنها خرجت من تجربتها السابق ، ويمكنها البدء معه من جديد ، وهو الذي تخلى عن عالمه بأسره ليبقى بجوارها.

فوجئ أن (نهى) تسأله عن هذه النقطة الأخيرة تحديداً عبر الرسائل ، حين

كتبت:

-أمازلت تفكر في العودة إلى عالمك ؟ أجب بصراحة فأنا استشعر الكذب -

هل تقرأ أفكاره ؟ أم أنهما متوافقين لدرجة بعيدة جداً ، هذه ليست المرة الأولى التي تفكر فيما يفكر هو فيه ، قد حدث كثيراً أيضاً أنها تعطي رأي يطابق رأيه في أمور كثيرة ، بل ربما تكون لها فس هواياته.

وجدها فرصة سانحة لبيوح لها ببعض ما يكنه في قلبه ، يمكنها أن يخبرها ببساطة بأنه يود البقاء لأجلها ، فتلاعبت به أمواج الحيرة ، ما بين البوح والكتمان ظل يتخبط ، لكنه آثر الكتمان والصبر قليلاً ، فأجابها كاتباً:
-أنا مرتبك جداً بهذا الشأن ، فلماذا أعود ؟-

قالت:

-لأنه مكانك الذي تنتمي إليه ، فأنت جزء منه وسيبقى عالمك جزء منك أيضاً-

قال :

-هو كذلك حقاً ، لكن في قلبي وذاكرتي فقط ، اما واقعياً فرجوعي لا يفيد في شيء-
سألته :

-هل تتخلى ببساطة عن كل شيء ؟-

أجاب:

-فعلياً لم يعد لدي شيء هناك لأفقده ، عندما وجدت نفسي هنا اكتشفت وجود فارق زمني بين عالمينا ، لو أضفنا هذا الفارق الذي لا استطيع حسابه بدقة إلى ما قضيته هنا من وقت ، سنجد أنني رحلت عن عالمي من فترة كبيرة ، فترة تكفي لأخسر وظيفتي بسبب الانقطاع الطويل بلا سبب ، وتكفي لأخسر خطيبتي التي لن يتركها أهلها مقيدة بغائب لا ينتظر رجوعه ، حتى أنهم ربما اعتبروني ميتاً في الأوراق الرسمية ، ومن الصعب إصلاح كل هذا بعد عودتي ، ولا تنسن أنهم لا يملكون أي فكرة عن مكاني وكيف اختفيت ، فالتجربة لم تتم بشكل رسمي في العلن كما تعلمين-

جائته رسالتها تقول:

-كلامك منطقي ، لكن توقعت أن تقاتل من أجل العودة ، أم أنك استمتعت ببقائك هنا؟-

رد كاتباً:

- أجل ، استمتعت ، فلقد لمست هنا عدلاً أكثر من عالمي ، ويسراً أكثر من عالمي ، وأمناً أكثر من عالمي ، هذا العالم بالنسبة لي هو المدينة الفاضلة -
سألته :

-لهذه الدرجة ؟-

أجاب:

-إننا نعي حالة أمنية مضطربة منذ اندلاع الثورات في المنطقة ككل ، والفرد لا يأمن على نفسه في أبسط الأشياء اليومية ، فربما يتفاجئ بعمل إرهابي أو فلتة أمنية أو أي شيء ، لقد تعايشنا مع القلق والاضطراب -
سألته :

-وكيف ترى مستقبلك هنا ؟-

كتب لها وهو يبتسم:

-يمكنني شراء شقة بالتقسيط ، هذا ما عرفته من زملائي في العمل ، وبسعر جيد أيضاً ، وسأسعى للحصول على الإقامة الدائمة ، وبعدها سيمكنني الزواج وتأسيس أسرة صغيرة ، فراتبي جيد والحمد لله كما تعرفين .. ألم أقل لك أنها المدينة الفاضلة -
جائته رسالتها تقول:

-من الواضح أنك حسمت أمرك تماماً وستبقى معنا للأبد ، وتتعجل الزواج كذلك ، يبدو أنك وضعت أحد الزميلات في العمل نصب عينيك ، فلا يمكن أن تكون قد تعلقت بأحد من خارج المركز وأنت الذي قلما تغادر المكان حتى بعد امتلاكك لسيارتك الخاصة -

ضحك وهو يكتب قائلاً:

-ليس لهذه الدرجة ، لم أتعلق بأحد -

قالت:

-لا تخشى أن تخبرني الحقيقة ، يمكنني مساعدتك في التقرب من هذه الفتاة-

قال :

-أي فتاة ؟ لا يوجد شيء مما تفكرين به -

جاءته رسالتها تحمل عنادها المعروف :

-لا يمكن .. لا يوجد شاب يفكر في الزواج لمجرد إيمانه بنظرية الزواج وتكوين الأسرة

وهذا الكلام التقليدي ، لابد وأن تكون هناك فتاة جذبت انتباهك -

وجد نفسه أمام فرصة جديدة ليعترف لها بحبه ، لكن عقله أبقى الانصياع لمشاعر

قلبه ، فكتب قائلاً:

- صديقي لا توجد فتاة بعينها -

جاءه الرد سريعاً تقول:

-طالما بات كلامك بكلمة صديقي فلن اصدقك -

وأتبعت الجملة بصورة لوجه يغمز بعينه.

شعر عماد أنه قد يضعف أمام إلحاحها ، فكم هي عنيدة ، إذا أرادت معرفة

شيء أو الوصول إلى شيء فإنها ستفعل بطريقة أو بأخرى ، وجد أنه من الأفضل أن

ينهى المحادثة ، خاصة مع تاخر الساعة ليلاً فقال:

- فلنكمل حديثنا في وقت لاحق فقد أوشك الليل على الانتصاف-

جاءته رسالتها تقول:

-حسنًا سنكمل في وقت قريب .. أعرف أنك تتهرب الآن من الجواب ، لكن سأترك

لك اختيار الوقت للتحدث ، على كل حال تصبح على خير-

قال :

-أتمنى لك أحلاماً سعيدة-

ثم ترك الهاتف بجواره على الأريكة ، وأراح رأسه للخلف مستنداً إلى ظهر

الأريكة ، وأغمض عينيه يفكر في (نهى) ، عبارتها الأخيرة جعلته يشعر وكأنها تعلم بما يعتمل في قلبه ، ربما كانت تدفعه دفعاً ليعترف لها بحبه الذي تشعر هي به ، شخصيتها وعقليتها تسمحان لها بمعرفة ما يجيش به فؤاده حتى وإن أخفاه لسانه ، لكن يل هناك احتمال بأنها تتحدث بشكل عادي ولا تدري عن مشاعره شيئاً وأن ما دار بينهما مجرد ثرثرة لا أكثر.

شعر بالألم يكتنف رأسه ، وباغته ذلك الصداع العنيف ، وبدأ الطنين المزعج يصم أذنيه ، فأمسك برأسه بقوة ، لكنه انتفض مفزوعاً ، فلم يتمكن من الإمساك برأسه بشكل مباشر ، بل أنه أمسك بخوذته التي تحمى رأسه . فتح عينيه بسرعة ، ليجد أن كل شيء قد زال واختفى . كل شيء .

(١٠٥)

هذه المرة ، شعر (عماد) بالضيق ، لماذا تهاجمه تلك الرؤى الآن ، لقد كان على وشك السباحة في بحر العشق والهيام بعقله ، فإذا به يسبح في هذا الفراغ الحالك السواد.

قد أصبح الصداق والطينين مصاحبين لهذه الحالة التي تباغتته بكثرة هذه الأيام ، يبدو أن حالته العقلية تسوء شيئاً فشيئاً ، أو أنها على وشك التحسن والشفاء ، فلا يعقل أن يكون على مشارف الجنون وهو يفكر الآن بهذه المنطقية.

كان يمني نفسه بنوم هنيء ، وربما يحلم يجمعه بمحبوبته ، التي تملئ حياته وعايا ونائماً أيضاً ، فإذا به يدخل في هذه الحالة المزعجة.

بحث بنظره في الفراغ الدامس عن أي شيء ، فوجد اللاشيء ، لم تكن لسيارته أي أثر هذه المرة ، ولم تظهر مشاهد الماضي وصوره بعد.

ترى ماذا سيخبره التاريخ هذه المرة؟

هل سيري أحد العظماء كما يتمنى دائماً ؟

أم سيجد جزءاً مؤلماً ومؤسفاً من التاريخ كما حدث آخر مرة؟

ربما يعود إلى مصر القديمة ، وزمن الأجداد ، ليشاهد أحد أسرارهم العجيبة.

قد يرى حرباً من حروب الممالك القديمة ، وربما تتكشف له حقيقة وصول الاسبان لشواطئ أمريكا للمرة الأولى.

أم يعاين أسرار (ذي القرنين) وقوم يأجوج ومأجوج.

من الممكن أن يكون التاريخ رحيماً به هذه المرة ، ويأخذه في رحلة ممتعة لمشاهدة (دافنشي) أو (مايكل أنجلو) أثناء العمل ، وربما كانت الرحلة في عصر أكثر

حادثة ليطالع أعمال (فان جوخ) وهي تولد من العدم ، أو ربما كانت رحلة قريبة إلى اسبانيا كما في المرة الأخيرة ،وبدلاً من مشاهدة المذابح ، سيستمتع بفن (سيلفادور دالي) ، هل يعوضه التاريخ عن المشاهد المؤلمة والواقع المرير الذي شاهده؟
وارد أن يشاهد اقتحام الضباط الأحرار لقصر الملك (فاروق) ، وقيام ثورة يوليو ،ورحلة الملك الأخيرة خارج الأراضي المصرية .

كل شيء وارد.

كل الأبواب مفتوحة.

وهو مستعد ومتأهب.

ليس لشغفه وولعه بالأمر ، بل على العكس ، فهو يريد لهذه الحالة أن تنتهي سريعاً ، لا يهمه كثيراً ما سيراه هذه المرة ، فلتأتي المشاهد ، ليرى منها ما يراه ، ويعود للعالم الحقيقي بسرعة ، حتى وإن جائه لتاريخ بمشهد هدف مصر اليتيم في كأس العالم لكرة القدم عام ١٩٩٠ أمام هولندا ، سيفرح به فقط لأنه إشارة لانتهاة الحالة ، أو قرب انتهائها.

لكن وعلى عكس رغبته ، تأخرت المشاهد والصور ، وبقي الفراغ معتماً بهيماً ،
وتسائل (عماد) في نفسه هل يمكن لهذا المكان أن يقرأ أفكاره ؟

وإن كان الأمر كذلك ، هل سيلبي رغباته أم سيعمل ضدها؟
أم أنها ربما يفرض عليه مشاهدة أشياء مختلفة ، لا يرغبها ولا يرفضها ، مجرد مشاهد عادية لأمر عادية ، كل شيء جائز.

سبح (عماد) طويلاً في هذا الفراغ تحت تأثير الجاذبية العجيبة التي بات يألفها كلما مر بحالة كتلك ، سبح حتى أصابه الكلال والملل ، لا جديد هذه المرة ، لا وجود لأي شيء.

بدء يفكر في سبب هذه الحالة ، فلا يوجد شيء ليراه ، فقط الظلام والسواد ، لماذا هاجمته الحالة إذًا ؟

هل تعبث معه الهلاوس؟

كيف ستنتهي هذه الحالة في ظل وجود الاشياء ؟

لاحظ ان آلامه قد خفت كثيراً ، غير أن طنين أذنيه لم يهدأ مطلقاً ، وربما تصاعد بعض الشيء ، وأصبح أكثر حدة وأكثر وضوحاً ، مع هذا الصمت المطبق.

عاد مرة أخرى يتحرك بلا هدف ، فقط ليدفع عن نفسه الملل والضيق ، هذه المرة الأمر أكثر سوءاً ، لابد أن يفكر في شيء ما يسلي عنه قليلاً هذه الرتبة ، فخطرت على باله فكرة غريبة ، لماذا لا يطلق على هذا المكان الذي تأخذه إليه هلاوسه اسماً ما ؟ لم يفكر في هذا الأمر من قبل ، فقد كان دائماً مشغولاً بالعرض الذي يعرض أمامه ، أما الآن ، وع غياب العروض ، وجد الفكرة تتصاعد في عقله.

ربما يطلق عليه مركز العقل.

لا ليس اسماً جيداً ، قد يكون واحة الأسرار ، هذا الاسم يبدو كاسم مقال أو رواية.

فليكن خفايا الماضي.

لا ، هذا الاسم يصلح لبرنامج تلفزيوني ممل.

سيكون عين التاريخ.

ربما هذا الاسم مناسب لحد كبير ، فهو يرى التاريخ بعينه المجردة ، من الآن فصاعداً سيقول أن هلاوسه تأخذه إلى عين التاريخ.

فكر (عماد) في أنه يشعر الآن بما يشعر به من فقد البصر ، فهو لا يري إلا الظلام كلما دخل في حالة من حالات الهلاوس المتلاحقة ، يظل أعمى فيها إلى أن تخترق ظلمته المشاهد و الصور القديمة ، أما هذه المرة ، فهو مجرد رجل لا يبصر شيئاً ، أعمى سابح في الفراغ الموحش هذا ، لا يرى كفه التي أمام وجهه مباشرة ، حتى أنه لا يرى خوذة رأسه ، فهو غارق في الظلام ، حتى السيارة لم تظهر له ، ليرى ضوء مصابيحها فيتأكد من سلامة عينيه.

هل يمكن لعين التاريخ أن تكون غير مبصرة هذه المرة؟

لقد أصبح يستجدي ظهور الصور ، أياً ما كانت تحمله له ، يريد أن يرى شيئاً ،

أي شيء ، فهذا الظلام بدء يصيبه بالذعر ، وهو لا يفهم حالة الهلوسة هذه ، فهو لا يجد فيها أي شيء بالمعنى الحرفي للكلمة.

من جديد ، اشتدت آلام رأسه ، وأصاب الصداع دماغه بعنف ، وشعر بالألم في عينيه أيضاً فأغمضهما ألماً ، وهو يضغط أسنانه بقوة ، فتح عينيه ، لتتسعان بدهشة عظيمة ، فها هو جالساً على نفس الأريكة في الصالة من جديد ، ولأزال جهاز التلفزيون يعمل.

انتفض لما سمع صوت طرقات قوية على بابه ، من هذا الزائر الذي يأتي في منتصف الليل؟

يا لها من ليلة لن تنتهي.

(١٠٦)

فتح (عماد) الباب لتضربه صاعقة المفاجأة ، مفاجأة شخصية الزائر ، ومفاجأة الوقت ، فقد كان الوقت نهائياً ، أما زائره فكان (عماد) قرينه ، والذي ارتسم القلق على ملامحه وهو يسأل (عماد):

-أأنت بخير؟-

لم يبد على (عماد) أنه سمع ما قاله وهو يسأله بدهشة بالغة:

-في أي ساعة نحن؟-

قال الآخر:

-إنها الثالثة عصراً ، أين أنت منذ الصباح؟-

حك (عماد) رأسه وقال:

-لقد رحمت في النوم ولا شك -

ثم أشار لقرينه بيده وقال :

-تفضل بالدخول -

دلف الآخر إلى الداخل هو يقول :

-هذا ليس نوماً أبداً ، راجع هاتفك لترى كم الاتصالات التي حاولنا أن نجريها معك-

جلسا متجاورين على الأريكة الكبيرة امام التلفزيون ، فلاحظ (عماد) الآخر أنه

يعمل ، فسأل (عماد) قائلاً:

-أأناام أمام شاشة التلفزيون؟-

نظر (عماد) ناحية التلفزيون ، ثم قال:

-لقد كنت أشاهده بالأمس ، ويبدو أنني نمت دون أن أشعر-

قال الآخر :

-أي نوم هذا ؟ لقد اتصلت بك عشرات المرات ، وأرسلت أحد العمال الذي كَلَّ من طرق بابك دونما اجابة ، فعدت للاتصال بك بلا نتيجة أيضاً ، فقررت أن أمر عليك لأطمئن على حالك ، فقد أشعلت أعصابنا جميعاً-

قالها ، ثم أخرج هاتفه من جيب سرواله ، وطلب رقما ما ، ووضع الهاتف على أذنه إلى أن سمع صوت محدثه فقال :

-اطمئن يا دكتور (علي) ،. صديقنا كان نائماً ، وهو بخير أمامي الآن-
ثم ناولهاتفه إلى (عماد) وهو يقول:
-إنه يريد الاطمئنان عليك بنفسه-

تناول الهاتف ووضع على أذنه وقال:

-عذراً يا دكتور (علي) لا أدري ما الذي أصابني هذه الليلة -
أتاه صوت (علي) يقول :

-أأنت متأكد من أنك بخير ؟ لقد حاولنا الوصول إليك كثيراً من الصباح-
قال (عماد) :

-لقد رحت في نوم عميق لم أعده أنا نفسي ، فلم أسمع رنين هاتفي -
قال (علي):

-المهم أنك بخير الآن ،. أهنأك أي شيء يمكنني تقديمه إليك ؟-
قال (عماد) :

-أنا بخير والحمد لله يا دكتور (علي) ، وأعتذر مرة ثانية عن غيابي المفاجئ-
ثم أنهى المكالمة ، وأعاد الهاتف إلى قرينه الذي قال:

-لقد أربعتنا يا رجل ، خاصة عندما لم تفتح الباب للعامل ، خشينا أن ،،-
بتر عبارته وهو ينظر إلى (عماد) ثم قال:

-على أيه حال ، حمداً لله على سلامتكم ، كنت أخشى أن يكون ما حدث بالأمس سبب لغيابك هذا الصباح-

قطب (عماد) حاجبيه وسأله بدهشه :

-وما الذي حدث بالأمس؟-

قال الآخر :

-أقصد ما دار بيننا في فترة الاستراحة و...-

لم يتم عبارته ، إذ هب (عماد) واقفاً فجاً ، وهو ينظر إليه نظرة متشككة ،
فارتبك وسأله :

-ماذا هناك؟-

قال (عماد) بعصبية:

-أخبرني أنت -

قال البخر :

-لا أفهم بالضبط ماذا تقصد -

مال (عماد) منحنيّاً فوقه ، وحصره بذراعيه عندما ارتكز عليهما ، فأصبح يفصل
بين وجهيهما سنتيمترات قليلة ، وهو يحدق مباشرة في عيني قرينة ويقول ببطء:
-أهي لعبة ما تمارسونها معي؟-

دفعه قرينه بقوة ، وانتصب واقفاً هو الآخر ، وقال بعصبية وغضب:
-ما الذي تتحدث عنه ؟ كنت أظن أننا قد وضعنا أي أحقاد أو ضغائن جانباً بعد
حديثنا يوم أمس-

لوح (عماد) بذراعيه وقال:

-أي حديث ؟ هل تريدون اصابتي بالجنون .، لم أعد أفهم شيئاً-

هز (عماد) الآخر رأسه ومط شفتيه ثم قال :

-يبدو أنك فقدت عقلك بالكامل -

قالها ، ثم استدار منصرفاً ، وتوقف عند الباب والتفت وألقى نظرة أخيرة على
(عماد) ، قبل أن يخرج ويغلق الباب بقوة.

ألقى (عماد) بجسده على الأريكة ، وهو يفكر أنه قد أصيب بلوسة ولا شك ،

فقد بدأ يتخيل أشياء كثيرة ، لم يعد يمكنه أن يفرق بين ما هو حقيقي وما هو من خياله.

فرد جسده وتمدد فوق الأريكة ، ونظر جانباً فوجد هاتفه المحمول فوق الطاولة الصغيرة بجوار الأريكة ، مد يده والتقط الجوال ، وهو يبحث عن تلك المحادثة التي جرت بينه وبين (نهى) ، لم يجد شيئاً مطلقاً ، بل لم يجد أثر لتطبيق (WhatsApp) ، وكأنه لم يكن يوماً قد استخدمه.

ألقى الهاتف بعيداً بغضب ، فسقط أرضاً وقد انخلع غطاءه الخلفى وسقطت البطارية من مكانها ، كان يشعر بحيرة كبيرة ممزوجة بالغضب.

لم يعد قادراً على فهم ما يحدث.

أغمض عينيه للحظات ، وهو حانق من هذا الموقف ، ثم فتح عينيه ، وكأنه لم يفعل ، فلم يرى غير الظلام.

يبدو أن كابوساً جديداً سيبدأ.

(١٠٧)

الظلام ولا شيء سواه.

من جديد ، سقط (عماد) غارقاً في الظلام التام ، أول ما خطر بباله أن هذا المكان لا يمكن أن يعرف بعين الحقيقة ، ربما من الأفضل أن يسميه بوابة الجحيم.

تماماً كما في المرة السابقة ، لا يوجد سوى اللاشيء.

شعر (عماد) بالغضب ، أكثر مما شعر بالحيرة.

لماذا يتلاعبون به ؟

ما هي مصلحتهم فيما يقومون به ؟

في البداية يجتمع مع (عماد) قرينه أثناء الاستراحة ، يغفو ويستفيق ليجد (نهى) أمامه ، وتنكر وجود قرينه كل الإنكار.

ثم يجتمع ثلاثتهم في اليوم التالي في نفس المكان ، ويبد على قرينه وكأن ما دار بينهما لا وجود له كما ادعت (نهى) ، ويقضي ليلته يرسلها عبر الهاتف ، بعدها يغفوا من جديد ، ليجد (عماد) الآخر أمامه ويخبره بأن اجتماعهما الأول قد حدث بالفعل ، مما يعني أن كل ما حدث بعده لم يحدث ، ولا يجد أي أثر لما دار بينه وبين (نهى) من محادثات.

أي جنون يعيشه ؟

أين هي الحقيقة في كل هذا ؟

هل يدسون له حبوب تتسبب له في تلك الهلاوس ؟

وإن كانوا يفعلون ، فلماذا ؟ ولأي غرض ؟

أعمل عقله بكل قوته ، لعله يجد اجابة لأي من تساؤلاته ، لعله يجد خيطاً

ما ممكن أي يكشف له الحقيقة ، فكر وفكر ، حاول جاهداً ، لكن عقله عجز عن التفسير ، ولم يجد أي نور في هذه الظلمة الموحشة ، ظلمة الجهل والحيرة. أراد أن يصرخ معترضاً ، لكن صوته لن يتجاوز خوذته رأسه.

كان جسده ممد ومفرد ، وهو معلق في هذا الفراغ الكثيب ، لم يعد لديه حماس لأي شيء ، ولا رغبة في أي شيء ، لقد فقد شغفه ، ربما بالحياة ذاتها ، نعم ، لا يريد هذه الحياة ، قد اكتفى بمعاناته.

لا يفهم ما يحدث له ، عاجز عن معرفة واقعه من خيالاته ، لا يقدر على تمييز الصادق من المخادع ، وفوق كل هذا ، تداهمه هلاوس لا تنتهي ، وربما أنها لن تنتهي.

فكيف يجد في نفسه رغبة في الاستمرار في حياة كهذه التي يعيشها. الفكرة الوحيدة التي يجدها منطقية ، هو أنه قد فقد عقله تماماً ، كما قال له قرينه قبل هذه الهلوسة الحالية ، ربما جن جنونه من آثار تعرضه للسرعات الجنونية التي تعرض لها في أثناء التجربة ، أو ربما أنه جُن مؤخراً مع تداعي نوبات الهلاوس ، بل وربما أنه مجنون منذ قديم الزمن ، من الممكن أنه فقد عقله يوم وفاة والدته ، كانت هذه أكبر صدمة تعرض لها في حياته ، صدمة كافية لتجعل منه مجنوناً ، قد يكون هو مجنون عبقرى ، اختلق كل ما عاشه ، فلم يحدث من كل هذا أي شيء ، ولا توجد تجربة للسفر خلال الزمن.

تباً لهذه التجربة.

ظن أنها ستكون طويقه لمجد علمي لا يبلى ، ونجاح لم يصل إليه بشر ، فإذا بها تتحول إلى مسار قصير ينتهي به في مصحة للأمراض العقلية.

هل قام بالتجربة حقاً؟

أمن الممكن أن يكون كل هذا مجرد كابوس طويل ؟ يستقيظ فيجد نفسه في بيته ، وأمّه الغالية تعد له طعام الافطار ، ثم يذهب بعدها إلى الجامعة حيث يعمل ، ويلقي الدكتور (علي) ، ويخبره برفضه الانضمام إليه في مشروع السفر خلال الزمن

، وينعم بحياته الهادئة كما كان.

أين الحقيقة ؟

بل أين هو نفسه ؟

في أي مكان ؟ في أي زمان ؟

فجأة سمع صوت طرقات تأتي من خلفه.

كيف يسمع الاصوات في هذا الفراغ ؟

التفت للخلف بسرعة ، فهاله ما رأى ، نعم ، إنه يرى.

يرى لأنه لم يعد في ذلك الفارغ ، بل هو واقفاً في مسكنه ، تماماً أمام الباب ، الذي

طريقة أحدهم مرة أخرى.

مد يده إلى الباب بحذر وخوف ، ثم فتح الباب بشكل مفاجئ ، فانسعت عينيه

وصاح:

-دكتور (علي) -

لم يتفوه الرجل بكلمة واحدة ، وإنما دخل بهدوء إلى البيت ، وجلس على أحد

الكراسي الخشبية التي تحيط بطاولة الطعام في منتصف الصالة ، وظل يحدق في

وجه (عماد) بصمت.

أخذت (عماد) دهشة لا حدود لها ، وأول ما خطر بباله أن الدكتور (علي) يشارك

في محاولة إصابته بالجنون ، وربما هو صاحب الفكرة والمخطط لها ، وقرينه و (نهى)

مجرد منفذ لهذه الخطة ، ربما سيقومون بتنفيذ التجربة بأنفسهم ، ويجب عليهم

التخلص منه حتى لا ينسب الفضل لنفسه ، فكان أضل ما يفعلوه أن يجعلوا منه

مختل العقل.

تحرك ببطء ليقترّب من الدكتور (علي) ، ثم توقف على بعد خطوتين فقط منه

، وسأله :

-لماذا يا دكتور ؟-

قال (علي) بهلامح جامدة بلا أي تعبير :

-لماذا ماذا ؟! -

سأله (عماد) :

-لماذا فعلتم بي ما فعلتم-

قال (علي):

-لا أحد يفعل شيئاً .. إنه أنت ، فقط أنت-

لم يفهم (عماد) اجابته ، فسأله مجدداً:

-لماذا تدفعوني إلى الجنون-

لم يجب (علي) ، وظلت ملامحه جامدة ، فصاح به (عماد) بغضب:

-تحدث إليّ ولا تجلس صامتاً .. أجبني الآن لتجلس صامتاً-

قال (علي) بلا أي انفعال :

- أنا لم آتي بإرادتي ، أنت من أحضرني-

هز (عماد) رأسه وقال :

- أي قول هذا ؟ لا تستمر في لعبتك هذه .. لقد اكتشفت حقيقتك ، وحقيقة ما

تدبر له-

قال (علي)

-أنت لم تفهم بعد-

(عماد):

-لا ، لا .. لقد فهمت كل شيء ، لقد عرفت هدف تلك المؤامرة ، ولن أسمح لكم

بالاستمرار فيها أبداً-

عاد (علي) إلي صمته من جديد ، وعلى وجهه نفي النظرة الخاوية التي يرمق بها

(عماد) ، الذي استشاط غضباً ،فصاح:

-قلت لك لا تجلس صامتاً .. تكلم وأخبرني بكل شيء-

قال (علي) :

-عليك أن تهذا أولاً لتفهم الأمر-

رفع (عماد) حاجبيه وقال:

-تدفعني للاعتقاد بأنني مختل عقلياً ، ثم تطالبني بالهدوء -
(علي) :

-لا أحد يدفعك لأي شيء ، إنه أنت ، أنت فقط -
(عماد) :

- كف عن محاولاتك السخيفة هذه ، لم تعد حيلك تنطلي عليّ بعد الآن ، أنا أعرف أنكم تمتلكون مسارع الجزيئات ، وأنكم تفوقتم علينا علمياً ، لكن تجربتي لم تتخليلون حدوثها ، والآن تحاول أنت ومن معك إعادتها ، لتنسبوا النجاح لأنفسكم ، وتسرقوا نجاحي -
(علي) :

-إن شيء مما تقوله لم يصب كبدا الحقيقة-
أشار (عماد) إليه بيده وهو يقول :

-حسناً ، سأستمع إليك ، لكن عليك أن تخبرني بالحقيقة فقط -
قال (علي) بلامحة المتجمدة:

- كل هذا غير حقيقي يا (عماد) ، كل شيء حولك ، حتى أنا لست الدكتور (علي)-
هجم (عماد) عليه ، وأمسك بتلابيبه ، وجذبه بقوة ليجره على الوقف في مواجهته ، ثم قال بغضب هادر :

-قلت لك دع محاولاتك السخيفة تلك ، أنا لست بمجنون ، وسوف ...-

بتر عبارته ، وترك الرجل وتراجع مذعوراً للخلف ، فتعثر وسقط أرضاً في هلع حقيقي ، فقد بدأت ملامح الدكتور (علي) في الذوبان ، أو بالأحرى أخذت في التغيير ، حتى تبدلت تماماً ، ليس ملامح وجهه فقط ، بل أن جسده نفسه تبدل ، وأخذ هيئة شخص آخر ، شخص يعرفه (عماد) ولا يخطئه.

فلقد تحول الواقف أمامه في ثواني إلى نسخة طبق الأصل منه هو شخصياً.

تلاحقت أنفاس (عماد) الساقط أرضاً ، وتصعب عرقاً في خوف ورعب ، وقرينه

يقف منتصب القامة بثبات ، وهلامح خاوية من أي تعبير.

سأل (عماد) بصوت مبجوح:

-ما الذي يحدث بالضبط ؟-

قال القرين:

-أنت فقط من يعرف -

لم يفهم (عماد) شيئاً ، وجاهد ليقف على قدميه ، وأخذ يتأمل قرينه ، وفي رأسه

سلسلة من الأسئلة المحيرة.

هل هذا الواقف أمامه بشراً ؟

كيف تحول من هيئة الدكتور (علي) إلى هيئته هو شخصياً ؟

لماذا يجيب بنفس الاجابة دائماً ؟

قال وقد استعاد الكثير من ثباته:

-اسمع يا هذا ، أيا ما تكون .. أنا لا أفهم شيئاً مما يحدث ، وعليك أن تخبرني

بالحقيقة-

قال القرين:

-بل تعرف الحقيقة ، لكن عقلك يأبى تصديقها ، ويصر على النكران ، فتشاهد ما

يريد أن يراه عقلك-

لم يستوعب (عماد) ما قاله القرين ، فسأله :

-هلا وضحت ما تعنيه يا هذا ؟ لا تتكلم بالألغاز -

قال القرين:

- لقد أخبرتك .. كل هذا غير حقيقي يا ، كل شيء حولك ، حتى أنا لست الدكتور

(علي) وولا حتى أنا أنت-

سأله (عماد) بغضب:

-فمن أنت ؟-

قال :

-أنا مجرد خيال ، صنعني عقلك الذي يرفض ما هو فيه ، ويرفض الاعتراف بالحقيقة ، فصنع لك هذه الخيالات وعاش فيها ، وحاول أن يصدق أنها الحقيقة ، لكن في النهاية الحقيقة فقط هي ما سيتبقي لك ، وستزول كل تلك الخيالات -

اقترب منه (عماد) وقال:

-إذا فأنت من صنع خيالي-

قالها ، ثم هوي على وجه القرين بصفعة قوية ، فكاد (عماد) أن يسقط أرضاً علة وجهه ، وقد اتسعت عيناه في فرع.

فلقد اخترقت يده ذلك الكيان الواقف أمامه والمتجسد في هيئته ، وكأنه هواء لا كتله له ، تماسك (عماد) بصعوبة ، وهو ينظر إلى ما يحدث في رعب ، فقد اهتز كل شيء من تأثير الصفعة ، كل ما حوله يهتز وتخلخل ، وكأن كل شيء مجرد لوحة من الزيت مرسومة على صفحة ماء ، وقد حركها أحدهم ، فهتزت الألوان وكاد كل شيء أن يتداخل ، لكن بعد لحظات مربعة ، هدأ كل شيء ، وعاد كل شيء لشكله الذي كان عليه.

قال القرين بلامح لا تحمل أي تعبير أو انفعال :
-هل اقتنعت الآن ؟-

صمت (عماد) ، ربما كانت فكرة كونه مجنوناً أكثر عقلانية مما يحدث ، فهل بعد ما حدث يجب أن يعترف بأنه لا وجود لأي شيء ، وأن كل هذا مجرد خيال ، الأمر ليس سهلاً ليفهم.

سأل (عماد) قرينه :

-أخبرني أين أنا ؟-

قال القرين ببرود:

- في اللا مكان -

تعجب (عماد) من هذه الاجابة ، فسأله وعلى ملامحه ابتسامة ساخرة:
-وفي أي زمن نحن ؟-

قال القرين :

- في الا زمان-

ضخك (عماد) وقال:

-كنت أعرف أن هذه ستكون اجابتك-

قال القرين بلا مبالاه :

-قد فهمت إذأ -

قال (عماد) بغضب :

-ما هذا الذي تحاول أن تفهمني إياه ؟-

نظر إليه القرين وقال :

-أنت بداخل الثقب الأسود ، منذ اختلت التجربة ، وكاد الثقب ينهار ، فرفض عقلك تصديق الأمر ، واخترع لك هذا العالم الافتراضي ، ليحاول الهرب من الواقع ، بأنه على وشك النهاية -

صمت (عماد) للحظات ، ثم انفجر ضاحكاً ، ظل يقهقه حتى ارتج جسده ، واغرورقت عيناه من فرط الضحك ، ثم توقف فجأة ، ومسح عينيه بكفه ، قبل أن يتراجع مصعوقاً .

هذه المرة فاق الأمر حدود الجنون .

فلقد تحول ذلك الكيان من جديد ، وتجسد في شخصية (نهى) هذه المرة ، لكن بملامح جامدة وباردة ، فقال (عماد):

- متى سينتهى هذا العبث ؟ لقد مللت-

قال الكيان المتجسد في شكل (نهى):

-عقلك فقط هو ما سينهي الأمر برمته-

هز رأسه وقال:

-حتى أنتِ يا (نهى) -

قالت:

-أنت تدرك بأنني لست (نهى) ، أنا لست أي شيء-

قال:

-حسناً. سأسير معك في طريقك هذا ، أنا عالق في ثقب أسود ، يوشك أن ينهار ، ولا وجود لهذا العالم ، أليس كذلك ؟-

قالت بجمود:

-بلي-

هز رأسه وقال:

-فقط أخبريني بشيء واحد ، ما هي حقيقة الهلاوس التي أراها باستمرار- صمتت قليلاً ، ثم قالت:

-عقلك خلق هذا العالم ، وجعله كما كنت تتمنى أن يكون عالمك ، حاول عقلك في البداية أن يجعلك فاقداً للذاكرة ، فعجز عن ذلك ، لأن الثقوب السوداء لها جاذبية رهيبية ، جاذبية قادرة حتى على جذب الذكريات والمعلومات من داخل عقلك نفسه ، لهذا لم يستمر طويلاً في إدعاء فقدان الذاكرة ، وقرر أن يجعل هذا العالم كما يتناه ، لكن جاذبية الثقب الأسود أجبرته على أن يعود من هذه الحالة الخيالية كل فترة إلى داخل الثقب -

قال (عماد):

-معنى هذا أنني كنت هناك طوال الوقت ، وأتخيل وجود هذا العالم ، وأن الهلاوس التي أراها هي فقط الحقيقية-

قالت :

-هو كذلك بالفعل-

سألها :

-لكنني خرجت بالفعل من الثقب الأسود أول مرة-

قالت:

-كلا ، فقط أنت تتمنى ذلك ، والذليل وجود الاسطواناتين الحابستين كما هما في

مكانهما بالسيارة-

صمت مصدوماً ، فرغم أن اجابتها تحمل معاني مرعبة ، إلا أنها الإجابة المنطقية الوحيد لوجود الاسطوانة الثانية من المادة المضادة.

حاول التماسك وتجاوز هذه النقطة ، فسألها:

-تقولين أن الجاذبية أخرجت الذكريات من عقلي ، لكنني رأيت ما هو أبعد بكثير من ذكرياتي الشخصية-

قالت:

-العقل البشري أعظم جهاز الكتروني في الكون ، بل هو أعظم شيء في الكون على الإطلاق ، ربما لا تعلم أن الذاكرة تورث مثلها مثل الصفات الوراثية ، وتظل موجودة في مكان ما من العقل اللا واعي ، لهذا فإن الطفل عندما يولد ، يكون لديه القدرة على التواصل مع الاطفال في نفس عمره عن طريق التخاطر ، ومع المضي في الحياة قدماً ، تقل هذه القدرات لأن الانسان لا ينميها ، ولهذا أيضاً قد ترى شخص ما فتشعر بأنك تعرفه رغم أنك تراه للمرة الأولى ، وتتفاجئ بأنه أحد أقاربك ، فهو موجود بالفعل في مكان ما داخل اللا وعي -

قال:

-لا زلت لا أفهم سبب ما رأيته هناك-

قالت:

-ببساطة ، كل ما مر به البشر من لدن (آدم) عليه السلام ، وحتى الآن ، موجود في ذاكرة كل منا ، نتناقله ونحتفظ به دون حتى أن نعرف أننا نفعل-

سألها:

-أتعنين أن ما رأيته كان صحيحاً بالكامل ؟-

قالت بلا انفعال:

-مائة بالمائة-

قال:

-لو عدت الان إلى هناك ، هل سأجد الصور موجودة ؟ أريد أن أجد الكثير من أسرار
البشر ونشأة الحياة-

قالت :

-كل ما أعرفه أنك كنت هناك وكان يمكنك ذلك -

قال :

-هل تعنين أن الهلاوس ستختفي ؟-

صمتت ولم تجبه ، ليس هذا فحسب ، بل عاد كل شيء حوله يهتز ويضطرب
كما حدث ، لكن هذه المرة كان الأمر مربعاً لأقصى درجة ، فقد كانت الاشياء من
حوله تهتز صورتها حتى تتلاشي وتتحول إلى العدم ، ورويداً رويداً بدء الظلام يزحف
على كل شيء.

لكن ظل الكيان محتفظاً بشباته بعض الشيء ، وهو لا يزال في هيئة (نهى) حتى
أصبحا كليهما في داخل العدم من جديد ، ووضح لـ(عماد) أنه الآن في زيه الخاص
بالتجربة ، ظل ينظر إلى (نهى) وقد دمعت عيناه.

لقد عاد للثقب الاسود من جديد ، أو في حقيقة الأمر ، أنه كان هناك طوال
الوقت ، فاستسلم عقله للحقيقة ، وتوقف عن بناء العوالم الافتراضية الخيالية ،
وأدرك (عماد) أن النهاية وشيكة ، هذه المرة لم يكن له أي قدرة على التحرك ، كانت
الجاذبية رهيبة بحق ، وكأن كل كيانه مكبل بقيود لا تراها عيننفس الشعور الذي
داهمه أول مرة أفاق في هذا الثقب ، وقتها ظن أنه لم يتمكن من السيطرة على
عضلاته فحسب.

ظل الخيال الذي يتخذ صورة (نهى) يتراقص أمامه ، تكاد تتلاشي هي أيضاً ، ثم
خيل إليه أن صورتها تبتسم له ، وكان هذا آخر ما وقعت عليه عيناه.
في لحظة واحدة تلاشت الصورة تماماً ، وأصبحت عدماً.

وأصبح كل شيء حوله معتم.

عاد تماماً كالأعمى.

أيضاً كالأصم ، فلا وسط لينقل له أي صوت.
حاول أن يبك ، فلم يدر هل فاضت عيناه أم لا.
فهو لم يعد يشعر بشيء .
أي شيء.

-تمت بحمد الله-

المراجع

كتاب أسرع من سرعة الضوء (جواو ماجيويجو)
كتاب اينشتاين والنسبية (مصطفى محمود)
نظرية الثقوب السوداء وأفق الحدث (ستيف هوكينج)
كتاب فرعون ذو الأوتاد (احمد سعد الدين)
مجلة كان التاريخية (العدد ٢٢ بقلم عمر بكر محمد قطب)

تقييدك للكتاب

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....



بتكتب روايات .. قصص .. شعر أو مقالات
بتكتب عربي أو انجليزي ..
أو حتي بترسم .. تواصل معنا و لنساعدك
تلاقي مكان لابدي ابداعك

تواصل معنا:-

٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

website : www.fasla.org

E-mail :- Fasla.Pub@Gmail.com

Fasla - فصلة للنشر والتوزيع
Publishing